قصائد من الجارم



المجلس
الأعلى
للثقافة

قصائد من الجارم

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٤٤٨٥ / ١٩٩٨

الترقيم الدولى (I. S. B. N. 977 - 305 - 005 -X)

المجلس الأعلى للثقافة

قصائد من الجارم



١٩٩٨

الإشراف الفنى والغلاف : محمود القاضى

تقديم

للأستاذ الكبير عباس محمود العقاد

كان « على الجارم » زينة المجالس كما كان يقال فى وصف الظرفاء من أدباء الحضارتين العباسية والأندلسية .

تجلس إليه فتسمع ما شئت من نادرة أدبية أو ملحة اجتماعية أو شاهد من شواهد اللغة أو نكتة من نكت الفكاهة ، ولا تدرى كلما تهيأ للكلام : ماذا أنت سامع بعد هنيهة ... فقد تترقب النكتة فتسمع الفائدة ، وقد تسأل عن الشاهد فتسمع «القافية» التى لا تعذر كما يقول أبناء البلد كلما عرضت المناسبة « لقفشة » من القفشات لا تهمل فى سياقها ، ولكنك واثق فى النهاية أنك خرجت بفصل ممتع من طراز فصول العقد أو الكامل أو نفح الطيب ، وأنك لو اخترت الحديث واقترحته لما ظفرت بخير مما استوفيته عفو الخاطر بغير سؤال .

كنا فى جلسة بعض اللجان بمجمع اللغة فقلت له جوابًا على تحية من تحياته : أجزيا أستاذ :

علىٌّ « بيكٌ » الجارمْ أديب ، شاعر ، عالم

فما تردد أن قال على عادته من سرعة البديهة : إنها إجازة لا تجوز «لعلىٌّ بيكُ » قلت : ولكنها تجب علينا إذا أعجبتك القافية !

والبيت توحيه الفكاهة كما هو ظاهر ، ولكنه صميم الجد إذا أردنا أن نجعلَ الرأى فى مقام النقد والتقدير للزميل الفقيد ، فهو أديب وافر المحصول من زاد الأدب أو زاد الرواية الأدبية من قديمها إلى حديثها ومن مبتكرها إلى منقولها ، وهو عالم باللغة ، وعالم مع اللغة بفنون التربية وفروعها ، وهو الشاعر الذى زوّده الأدب والعلم بأسباب الإجادة والصحة ، فكان شعره زادًا لطالب البيان فى عصره ومثالاً صالحًا للثقافة التى أسهم فيها بأدبه وعلمه .

وقد تعوّد نقادنا عند الكلام على جيل الجارم والجيل الذى تقدمه أن يقرنوا كل شاعر حديث بشاعر مجيد ممن تقدموه ولاح للناقد أنه قدوة للناشئين من بعده ، ولكننا لا نحسب أننا نقيّم الجارم فى مقامه إذا قلنا إنه شبيه بالبارودى أو بصبرى أو بشوقى أو بحافظ أو بشعراء هذه الطبقة السابقين لجيله . فإن للجارم مدرسة خاصة من مدارس الشعر الحديث تقوم على قواعد غير تلك القواعد كلها عند إجمالها أو إفرادها وتخصيصها باسم كل شاعر معدود فى أولئك الشعراء .

إن الجارم ركن من أركان مدرسة شعرية تستحق الآن أن تعرف بملامحها وأن تستقل بعنوانها ، فلا تلتبس بمدرسة أخرى تنسب إلى علم من أعلام الشعر المخضرمين بين القرن التاسع عشر والقرن العشرين .

إنها مدرسة يجوز لنا أن نسميها بمدرسة « دار العلوم » ونعجب لأنها لم تتميّز بهذه الميزة الواضحة وهى أدلّ عليها من كل جامعة أخرى تفرّقها ولا تقارب بين أوصالها .

فإذا سمّينا أركان هذه المدرسة الثلاثة، وهم : حفنى ناصف ومحمد عبد المطلب وعلى الجارم بترتيب السن أو الجيل ، فمن اليسير جدًا أن نلمس وجوه الشبه بين كل منهم وصاحبيه وإن لم يكن شبهًا من أشباه القوالب المصنوعة يمنع الفوارق الخاصة أو يخفى دلائل الاستقلال بطابع الشخصية المستقلة .

ومنهم عبد المطلب - مثلاً - أقرب إلى البداوة التى نشأ بين أحضانها وحرص على ألوانها وسماتها ، ولكن من ذا الذى يعرض قصائده عرضًا ويستطيع أن يجد له زميلاً أقرب إليه من ناصف فى لباقته أو الجارم فى رقّته ؟ من ذا الذى يقارب بينه وبين حافظ أو محرم ولا يشعر بالغرابة بينهم؟ ومن ذا الذى يقارب بينه وبين ناصف أو الجارم ولا يشعر بملامح « الأسرة » تقرنه بأخيه وإن اختلفا كاختلاف الغرباء فى بعض الشيات والأزياء.

نكاد نقول إن الشعر قد انقسم بعد نشأة أدباء دار العلوم إلى مدرستين : مدرسة «الأفندية» والمدرسة المعمّمة أو الدرعمية .

ونكاد نقول إن الأديب الدرعمى سيقول ولو بدّل زيه كما قال الجارم بين جده الباسم وفكاهته الصادقة :

لبست الآن قبّعة بعيدًا　　　عن الأوطان ، معتاد الشجون

فإن هى غيّرت شكلى فإنى　　　« متى أضع العمامة تعرفونى »

وهل هى ملامح « زى » بين العمامة أو الطربوش أو القبّعة ؟ وهل هى ملامح «عنوان» بين الأزهرية والجامعية والدرعمية ؟

كلاً ، بل هى ملامح « أسرة » فكرية نفسية خلقتها « طبيعة الدراسة » التى انفردت بها « دار العلوم » ولم تشبهها دراسة من قبيلها فى لغتنا ولا فى لغة أخرى من لغات الثقافة المعروفة لدينا .

فالدرعمى « لغوى عربى سلفى عصرى » ولكن على منهج فريد فى بابه بين مناهج المعاهد السلفية والمدارس الإفرنجية ، وبين مناهج المحافظة والتجديد ، ومناهج الابتداع والتقليد .

ولا يسعك وأنت تقرأ قصيدة الشاعر من أركان المدرسة الدرعمية أن تحجب فكرة « اللغة » عن خاطرك وأن تنكر أن قائل هذا الشعر يثبت على القديم وإن أخذ بنصيبه من الجديد وحرص على انتسابه إليه حرصه على انتسابه إلى التراث القديم .

إن قافية « معتاد الشجون » فى بيت الجارم قد تكون من ضرورات القوافى التى يقبلها الشعراء غير مختارين ، ولكن لا يسعك وأنت تتوقف لديها أن تنسى أن لابس القبعة الذى قالها قد وضعها فى دار الغربة ؟ وأن الشجون ترد هنا على البال ولا ترد كلمة أخرى بديلاً منها ؟

وإن قراءة « الدرعمى » هى التى جذبت هذه الكلمة من محفوظات الأدب العربى ليقولها غريب تعتاده شجون وتذكره بها القبّعة وذكرى العمامة ؟

واقرأ هنا وهناك ما شئت من قصائد الصفحات التالية فإنك ترى التشطير وبيت التخلص ومحسنات الأشباه والنظائر ولكنك لا تلبث أن ترى القبّعة إلى جانب

العمامة ، وأن ترى « الشجون المعتادة » بين الوطن الثقافى الأصيل والوطن الثقافى المستحدث ، وهما حيث كانا يتلاقيان « وبينهما برزخ لا يبغيان » .

على أن الطابع المستقل من «الشخصية الجارمية» يبدو على كل لمحة «درعمية» تصادفها بمعانيها أو ألفاظها فى قصائد هذا الديوان .

إننا نرى « عليًا » برقته ودعابته حين نسمع حنينه إلى الشباب فى قوله :

هات عهد الشباب إن غاص فى الما ... ء ، وإن غاب فى السماء فهاته
ما أرانى من غيره غير ثوب ... ضم أردانه على علاّته
ربّ شيخ فى عالم الطب حى ... ويراه الزمان من أمواته

و « علىّ » برقّته ودعابته هو الذى يقول فى الشيخ المتصابى :

لنا شيخ تولّى أطيباه ... يهيم بحب ربات القدود
يغازل إذ يغازل من قيام ... وإن صلى يصلى من قعود

والظريف الحكيم هو الذى يقول فى خطابه للمكروب :

لست كالواو ، أنت كالمنجل الحصّا ... د ، إن أحسنوا لك التمثيلا
ما غلبتَ النفوس بالعزم لكنْ ... هكذا يغلب الكثير القليلا
ربّ طفل تركت من غير ثدى ... يضرب الأرض ضجّة وعويلا
وفتاة طرقتها ليلة العر ... س ، وقبل الحليل كنت الحليلا
كحّلوا جفنها فكحّلت فيها ... كل جفن أسى وسُهدًا طويلا

وهو الذى يحيي الإذاعة فيقول :

ونبّهتِ وسنانَ جفن الصبا ... ح ، بآى من الكلم المنزل
وغنّيتِ حتى تعزّى الحز ... ين وقرّ الشجىّ وهام الخلى
وكم قد هزلت لتشفَى النفو ... س فكان من الجد أن تهزلى

وهو القائل مفتخرًا بالعرب :

صعدوا للعلا بريش نسور ومضوْا للردى بعزم أسود
أينما ركّزوا الرماح ترى العد ل مقيمًا فى ظله الممدود
وترى العلم يلتقى بهدى الد ين على منهج سوى سديد
فسحوا صدرهم لحكمة يونا ن وآداب فارس والهنود
تلك آثارهم شهودًا على المجـ ـد ، وما هم بحاجة لشهود

وهو القائل مخاطبًا العربية :

أنت علمتنى البيان فمالى كلّما لحت حار فيك بيانى
لغة الفن أنت والسحر والشعر ونور الحجا ووحى الجنان

نعم . ويعود المقام - إن لم نعد نحن إليه - لنقول « الأديب الشاعر العالم » يستوى على منبره حين يزجى التحية إلى اللغة العربية ، وإنها لتحييه بأحسن منها كلما ذكرت له مأثرته ومآثر أصحابه فى إحياء بيانها و إطلاق لسانها وبقائها على الأزمان نورًا للحجى ووحيًا للجنان .

عباس محمود العقاد

أبو الزهـراء

فى ذكرى المولد النبوى الكريم جادت قريحة الشاعر بهذه القصيدة العصماء عام ١٩٤٨م .

أطَلّتْ عَلى سُحْبِ الظّلامِ ذُكَاءُ ... وَفُجِّرَ مِنْ صَخْرِ التَّنُوفَةِ مَاءُ (١)
وَخُبِّرَتْ الأوْثَانُ أنَّ زَمَانَهَا ... تَوَلّى ، وَرَاحَ الجَهْلُ وَالجُهَلاءُ (٢)
فَما سَجَدَتْ إلاّ لِذِى العَرْشِ جَبْهَةٌ ... وَلَمْ يَرْتَفِعْ إلاّ إلَيْهِ دُعَاءُ (٣)
تَبَسَّمَ ثَغْرُ الصُّبْحِ عَنْ مَوْلِدِ الهُدَى ... فَلِلأرْضِ إشْرَاقٌ بِهِ وَزُهَاءُ (٤)
وَعَادَتْ بِهِ الصَّحْرَاءُ وَهْىَ جَدِيدَةٌ ... عَلَيْهَا مِنَ الدِّينِ الجَدِيدِ رُوَاءُ (٥)
وَنَافَسَتْ الأرْضُ السَّمَاءَ بِكَوْكَبٍ ... وَضِئِ المُحَيّا مَا حَوَتْهُ سَمَاءُ (٦)
لَهُ الحقُّ وَالإيمَانُ بِاللهِ هَالَةٌ ... وَفِى كُلِّ أجْوَاءِ العُقُولِ فَضَاءُ (٧)
تَألّقَ فِى الدُّنْيا يُزِيحُ ظَلامَهَا ... فَزَالَ عَمًى مِنْ حَوْلِهِ وَعَمَاءُ (٨)
وَرَدّ إلَى العُرْبِ الحَيَاةَ وَقَدْ مَضَى ... عَلَيْهِمْ زَمَانٌ والأمَامُ وَرَاءُ (٩)
حِجابٌ طَوَى الأحْدَاثَ وَالنَّاسَ دُونَهُمْ ... فأظْهَرَ مَا تَجْلُو العُيونُ خَفَاءُ (١٠)
بَنَتْ أُمَمٌ صَرْحَ الحضَارَةِ حَوْلَهُمْ ... وأقْنَعَهُمْ إبْلٌ لَهُمْ وَحُدَاءُ (١١)
عُقُولٌ مِنَ الأحْجَارِ هَامَتْ بِمِثْلِهَا ... وَكُلُّ بَكِيمٍ لَلبَكِيمِ كِفَاءُ (١٢)
فَكَمْ كَانَ لِلرُّومَانِ وَالفُرْسِ صَوْلَةٌ ... وَهُمْ فِى بَوَادِى أرْضِهِمْ سُجَنَاءُ (١٣)

(١) ذكاء : الشمس ، صخر التنوفة : الحجارة بالمفازة والمقصود صحراء الحجاز

(٥) رواء : حسنة المنظر .

(١١) حداء : سوق الإبل والغناء لها .

عِـــرَاكٌ وَأحْقَـــادٌ يَشُبُّ أُوَارُهــــا جَحِيمًـا ، وَكِبْـرٌ أجْـوَفٌ وَغَبـاءُ (١٤)
عَجِبْتُ لأمْـرِ القَـوْمِ يَحْمُـونَ نَـاقَـةً وَسَـادَاتُهُمْ مِـنْ أجْلِهـا قَتَـلاءُ (١٥)

* * *

بَـدَا فِـى دُجَى الصَّحْـرَاءِ نُـورُ مُحَمَّـدٍ وَجَلْجَلَ فِى الصَّحْـراءِ مِنْـهُ نِـداءُ (١٦)
نَبِيٌّ بِـــهِ ازْدَانَتْ أبَــاطِحُ مَكَّــةٍ وَعَــزَّ بِـهِ ثَـــوْرٌ وَتَـاهَ حِـرَاءُ (١٧)
يُنَـادِى جَـرِئَ الأصْغَـرَيْنِ بِـدَعْـوَةٍ أكَبَّ لَهـا الأصْنَـامُ وَالـزُّعَمَـاءُ (١٨)
دَعَـاهُـمْ لِـرَبٍ وَاحِـدٍ جَلَّ شَــأْنُـهُ لَـهُ الأمْـرُ يُـولِى الأمْـرَ كَيْفَ يَشاءُ (١٩)
دَعَــاهُمْ إلَى دِينٍ مِنَ النُّـورِ وَالهُـدَى سَمـــاحٌ وَرِفْـقٌ شَــامِلٌ وَوَفَــاءُ (٢٠)
دَعَـــاهُـمْ إلَى نَبْــذِ الفَخَـــارِ وَأنَّهُمْ أمــامَ إلـــهِ العَـــالَمِينَ سَــواءُ (٢١)
دَعَـــاهُم إلَى أنْ يَنْهَضُـــوا بِعُفَـــاتِهِمْ كِـرامًــا ، فَطَـاحَ الفَقْـرُ وَالفُقَـراءُ (٢٢)
دَعَـاهُم إلَى أنْ يَفْتَحُـوا القَلْبَ كَىْ تَـرَى بَصِيـرَتُـــهُ مــا يُبْصِـــرُ البُصَــراءُ (٢٣)
دَعَــاهُم إلَـى القُــرْآنِ نُـورًا وَحِكْمَـةً وَفِيـــهِ لأدْوَاءِ الصُّـــدُورِ شِفَـــاءُ (٢٤)
دَعَـاهُم إلَى أنْ يَهْـزِمُـوا الشِّـرْكَ طَـاغِيًـا تَسِيلُ نُفُــوسٌ حَـــوْلَـهُ وَدِمــاءُ (٢٥)
دَعَــاهُمْ إلَى أنْ يَبْتَنُـوا المُلْكَ رَاسِخًـا لَــهُ العَــدْلُ أُسٌّ وَالطُّمُـــوحُ بِنَـاءُ (٢٦)
دَعَـــاهُـمْ إلَى أنَّ الفَتَى صُنْـعُ نَفْسِـــهِ وَلَيْسَ لَـــهُ مِنْ قَــوْمِــهِ شُفَعَــاءُ (٢٧)
دَعَــاهُمْ إلَى أنْ يَمْلِكُــوا الأرْضَ عُنْـوَةً مَسَـــامِيحَ ، لاَ كِبْــرٌ وَلاَ خُيَــلاءُ (٢٨)
فَلَبَّـــاهُ مِنْ عُلْيَــا مَعَـــدٍ غَضَــافِــرٌ كُمَــاةٌ إذا اشْتَـدَّ الـوَغَى شُهَـدَاءُ (٢٩)

---

(١٧) أباطح : مسيل واسع فيه حصى . تاه : اختال .
(١٨) الأصغرين : القلب واللسان . أكب : سقط .
(٢٢) عفاتهم : طلاب المعروف . طاح : ذهب .
(٢٩) معد : قبيلة معد وهى من أشراف العرب . غضافر : أسود شجعان . كماة : رماة .

أشِــدَّاءُ مَـــا بَــاهَى الجِهَــادُ بِمِثْلِهِمْ | وَهُمْ بَيْنَهُـمْ فِى أَمْـــرِهِـمْ رُحَمَـــاءُ (٣٠)
أســاءُوا إِلَى الأَسْيــافِ حَتَّى تَحَطَّمَتْ | وَمَـــا مَــرَّةً لِلْمُسْتَجِيــرِ أَســاءُوا (٣١)
وَقَـــدْ حَمَلُـــوا أَرْوَاحَهُمْ فِـى أَكُفِّهِمْ | وَلَيْسَ لَهُــمْ إِلاَّ الخُلُــودَ جَــزاءُ (٣٢)
إذا حَكَمُـــوا فِى أُمَّـــةٍ لانَ حُكْمُهُمْ | فَمَـــا هِىَ أَنْعَـــامٌ وَلا هِىَ شَــاءُ (٣٣)
فَهَلْ تَعْلَـمُ الصَّحْــراءُ أَنَّ رِعَـــاءَهـــا | حُمــاةٌ بِــآفــاقِ البِــلادِ رُعَـــاءُ (٣٤)
وَأَنَّهُمْ إِنْ زَاوَلُـــوا الحُكْمَ سَـــاسَـــةٌ | وَإِنْ أَرْسَلُـــوا أَحْكَــامَهُمْ فُقَهَـــاءُ (٣٥)
لقَــدْ شَـرِبُــوا مِنْ مَنْهَلِ الــدِّينِ نُغْبَــةً | مُطَهَّـــرَةً ، فَـــالظَّـــامِئُـــونَ رِوَاءُ (٣٦)
وَقَــدْ لَمَحُــوا مِنْ نُــورِ طَــهَ شُعَاعَــةً | فَكُلُّ ظَــلامٍ فِى الــوُجُــودِ ضِيَــاءُ (٣٧)
نَبِىٌّ مِــنَ الطُّهْـــرِ المُصَفَّى نِجَـــارُهُ | سَمـــاحَـــةُ نَفْسٍ حُـــرَّةٍ وَصَفَـــاءُ (٣٨)
وَصَبْــرٌ عَلَى الـــلأْوَاءِ مَـــا لانَ عُــودُهُ | وَلا مَسَّـــهُ فِى المُعْضِــلاتِ عَنــاءُ (٣٩)
وَزُهْــدٌ لَــهُ الــدُّنْيَــا جَنَــاحُ بَعُــوضَــةٍ | وَكُلُّ الَّـــذِى تَحْتَ الهَبَــاءِ هَبَـــاءُ (٤٠)
تَــرَاهُ لَـــدَى المِحْـرَابِ نُسْكًـــا وَخَشْيَـةً | وَتَلْقَـاهُ فِـى المَيْدَانِ وَهْــوَ مَضَــاءُ (٤١)
إذَا صَـــالَ لَمْ يَتْــرُكْ مَصَـــالاً لِصَــائِلٍ | وَإِنْ قَـــالَ أَلْقَتْ سَمْعَهَـــا البُلَغَـــاءُ (٤٢)
كَـــــلامٌ مِنَ اللهِ المُهَيْمِــنِ رُوحُـــــهُ | وَمِنْ حُلَــلِ الفُصْحَى عَلَيْـــــهِ رِدَاءُ (٤٣)
كَــلامٌ أَرادَتْـــهُ المَقَــاوِيلُ فَـــالْتَــوَى | عَلَيْهــا ، وَضَلَّــتْ طُــرْقَــهُ الحُكَمَــاءُ (٤٤)
كَـلامٌ هُــوَ السِّحْـــرُ المُبِينُ وَإِنْ يَكُنْ | لَـــهُ أَلِفٌ مِثْلُ الكَـــلامِ وَبَـــاءُ (٤٥)

(٣٣) شاء : الكثير من الغنم .
(٣٤) رعاءها : ولاتها والمقصود رعاة الأغنام بها . رعاء : غطاء ، يراعون الحقوق .
(٣٦) نغبة : جرعة
(٣٨) نجاره : أصله
(٣٩) اللأواء : الشدة .
(٤٣) حلل الفصحى : أردية الفصاحة والبلاغة .
(٤٤) أرادته المقاويل : أرادت محاكاته . التوى عليها :

عَجِيبٌ مِنَ الأُمِيِّ عِلْمٌ وَحِكْمَةٌ ... تَضَاءَلَ عَنْ مَرْمَاهِمَا العُلَمَاءُ (٤٦)
وَمَنْ يَصْطَفِ الرحْمَنُ فَالْكَوْنُ عَبْدُهُ ... وَدُهْمُ اللَّيَالِي أَيْنَ سَارَ إِمَاءُ (٤٧)

* * *

نَبِيَّ الهُدَى قَدْ حَرَّقَ الأَنْفُسَ الصَّدَى ... وَنَحْنُ لِفَيْضٍ مِنْ يَدَيْكَ ظِمَاءُ (٤٨)
أَفِضْهَا عَلَيْنَا نَفْحَةً هَاشِمِيَّةً ... يُلَمُّ بِهَا جُرْحٌ وَيَبْرَأُ دَاءُ (٤٩)
فَلَيْسَ لَنَا إِلاَّ رِضَاكَ وَسِيلَةٌ ... وَلَيْسَ لَنَا إِلاَّ حِمَاكَ رَجَاءُ (٥٠)
حَنَنَّا إِلَى مَجْدِ العُرُوبَةِ سَامِقًا ... وَمَا نَحْنُ فِي سَاحَاتِهِ غُرَبَاءُ (٥١)
زَمَانَ لِوَاءُ العُرْبِ يُزْهَى بِقَوْمِهِ ... وَمَا طَالَهُ فِي العَالِمِينَ لِوَاءُ (٥٢)
زَمَانَ لَنَا فَوْقَ المَمَالِكِ دَوْلَةٌ ... وَفِي الدَّهْرِ حُكْمٌ نَافِذٌ وَقَضَاءُ (٥٣)
فَيَا رَبِّ هَيِّئْ لِلرَّشَادِ سَبِيلَنَا ... إذا جَارَ خَطْبٌ أَوْ أَلَمَّ بَلاءُ (٥٤)
وَنَصْرًا وَهَدْيًا إِنْ طَغَى السَّيْلُ جَارِفًا ... وَفَاضَ بِمَا يَحْوِي الإِنَاءُ إِنَاءُ (٥٥)
نُنَاجِيكَ هَذِي رَايَةُ العُرْبِ فَاحْمِهَا ... فَمِنْ حَوْلِهَا أَجْنَادُكَ البُسَلاءُ (٥٦)
رَمَيْنَا بِكَفٍّ أَنْتَ سَدَّدْتَ رَمْيَهَا ... فَمَا طَاشَ سَهْمٌ أَوْ أَخَلَّ رِمَاءُ (٥٧)
أَعِرْنَا بِحَقِّ المُصْطَفَى مِنْكَ قُوَّةً ... فَلَيْسَ لِغَيْرِ الأَقْوِيَاءِ بَقَاءُ (٥٨)
وَأَسْبِغْ عَلَيْنَا دِرْعَ لُطْفِكَ إِنَّهَا ... لَنَا فِي قَتَامِ الحَادِثَاتِ وِقَاءُ (٥٩)

* * *

إِلَيْكَ أَبَا الزَّهْرَاءِ سَارَتْ مَوَاكِبِي ... مَوَاكِبُ شِعْرٍ سَاقَهُنَّ حَيَاءُ (٦٠)
وَأَنَّى لِمِثْلِي أَنْ يُصَوِّرَ لَمْحَةً ... كَبَا دُونَ أَدْنَى وَصْفِهَا الشُّعَرَاءُ (٦١)

---

(٤٧) دهم الليالى : الليالى حالكة السواد .

(٥٨) أعرنا : مدنا .

(٦١) كبا : سقط .

وَلَكِنَّهَــا جُهْــدُ المُحِـبِّ فَهَلْ لَهَــا　　بِقُــدْسِكَ مِـنْ حَظِّ القَبُــولِ لِقَــاءُ (٦٢)

وَلِـى نَسَبٌ يُنْمَـى لِبَيْتِـكَ صَــانَنِـى　　وَصَــانَتْــهُ مِنِّى عِــزَّةٌ وَإِبَــاءُ (٦٣)

عَلَيْكَ سَـــلامُ اللهِ مَـــاذَرَّ شَـــارِقٌ　　وَمَــا عَطَّــرَ الــدُّنْيَـا عَلَيْكَ ثَنَــاءُ (٦٤)

---

(٦٣) نسب : انتماء وقرابة يشير إلى نسب الشاعر إلى الرسول – عليه الصلاة والسلام .

(٦٤) ذر : طار . شارق : ناحية المشرق .

مصــــــر

أنشدها الشاعر بقاعة المحاضرات بالجامعة المصرية في افتتاح المؤتمر الطبي العربي الثاني في ٣٠ من يناير سنة ١٩٣٩م.

صَــــوَّرَ اللهُ فِيكِ مَعْنَى الخُلُــودِ فَـأبْلُغِي مَـا أَرَدْتِـهِ ثُمَّ زِيـدِي (١)
أَنْتِ يَـا مِصْــرُ جَنَّـةُ اللهِ فِي الأَرْ ضِ، وَعَيْنُ العُـلاَ وَوَاوُ الـوُجُـودِ (٢)
أَنْتِ أُمُّ المَجْـدَيْنِ بَيْنَ طَـرِيفٍ يَتَحَـدَّى الـوَرَى وَبَيْنَ تَلِيـدِ (٣)
كَمْ جَـدِيـدٍ عَلَيْـهِ نُبْلُ قَـدِيمٍ وَقَـدِيمٍ عَلَيْـهِ حُسْنُ جَـدِيـدِ! (٤)
قَـدْ رَآكِ الـدَّهْـرُ العَتِيُّ فَتَـاةً وَهْـوَ طِفْلٌ يَلْهُـو بِطَـوْقِ الـوَلِيـدِ (٥)
شَـابَ مِنْ حَـوْلِكِ الـزَّمَـانُ وَمَـازِلْـ ـتِ كَغُصْـنِ الرَّيْحَـانَةِ الأُمْـلُودِ (٦)
أَنْتِ يـا مِصْـرُ بَسْـمَةٌ فِي فَـمِ الْحُسْـ ـنِ، وَدَمْـعُ الْحَنَانِ فَـوْقَ الْخُدُودِ (٧)
أَنْتِ فِي القَفْـرِ وَرْدَةٌ حَـوْلَهَـا الشَّـوْ كُ، وَفِي الشَّـوْكِ عِـزَّةٌ لِلْـوُرُودِ (٨)
يَلْثِمُ البَحْـرُ مِنْكِ طِيبَ ثُغُـورٍ بَيْنَ عَـذْبِ اللَّمَـى وبَيْنَ بَـرُودِ (٩)
يَـا ابْنَـةَ النِّيـلِ أَنْتِ أَحْلَى مِـنَ الْحُبِّ وَأَزْهَى مِنْ ضَـاحِكَـاتِ الـوُعُـودِ (١٠)
نَثَـرَ النِّيـلُ فِيكِ تِبْـرًا وَأَوْهَـى لِينُـهُ مِنْ قَسَـاوَةِ الْجُلْمُـودِ (١١)
فَـتَنَ الأَوَّلِـينَ حَـتَّى أَشَـارُوا نَحْـوَ قُـدْسِيِّ مـائِهِ بِـالسُّجُـودِ (١٢)

---

(٦) الريحانة : واحدة الريحان وهو نبت طيب الرائحة . الأملود : الغصن الناعم اللين .

(٨) المراد بالقفر هنا : الصحاري التي تحيط بمصر وتكتنفها .

(٩) الثغور : جمع ثغر وهو الفم والثغور أيضًا هي المدن التي تقع على البحار . اللمى : سمرة الشفتين . البرود : البارد .

(١١) الجلمود : الصخر .

وَوَشَى لِلـرِّيَـاضِ ثَـوْبًـا وَحَلَّى ... كُلَّ جِيـدٍ مِنَ الـرُّبَـا بِعُقُـودِ(١٣)
أنْـتَ لِلاّجِـئِـيـنَ أُمٌّ ، وَوِرْدٌ ... لِظِمَـاءِ القُلُـوبِ عَـذْبُ الـوُرُودِ(١٤)

* * *

قَـدْ حَمَلْتِ السِّرَاجَ للنَّـاسِ ، وَالكَـوْ ... نُ غَـرِيـقٌ فِي ظُلْمَـةٍ وَخُمُـودِ(١٥)
لا نَـرَى فِيكِ غَيْـرَ عَهْـدٍ مَجِيـدٍ ... قَـرَنَتْـهُ العُـلاَ بِعَهْـدٍ مَجِيـدِ(١٦)
وَجُهُـودٍ تَمَثَّلَتْ فِـي صُخُـورٍ ... وَصُخُـورٍ تَشَبَّهتْ بِجُهُـودِ(١٧)
عِظَمٌ يَبْهَـرُ السَّمَـاءَ ، وَشَـأْوٌ ... عَـاقَ ذَاتَ الْجَنَاحِ دُونَ الصُّعُـودِ(١٨)
أَنْتِ يَـا مِصْـرُ صَفْحَـةٌ مِنْ نُضَـارٍ ... لَمَعَتْ بَيْـنَ سَالِفَـاتِ العُهُـودِ(١٩)
أَيْنَ رَمْسِيسُ وَالْكُمَـاةُ حَـوَالَيْـهِ مُشَاةٌ فِي المَوْكِبِ المَشْهُودِ ؟(٢٠)
مَـلأَ الأَرْضَ وَالسَّمَـاءَ ، فَهٰـذِي ... بِجُنُـودٍ ، وَهَـذِهِ بِـبُـنُـودِ(٢١)
وَجُمُـوعُ الكُـهَّانِ تَهْتِـفُ بِـالنَّصْـرِ وَتَـتْـلُو النَّشِيدَ إِثْـرَ النَّشِيدِ(٢٢)
وَبَنَـاتُ الـوَادِي يَمِسْنَ اخْتِيَـالاً ... وَيُحَـيِّينَ بَيْنَ دُفٍّ وَعُـودِ(٢٣)
أَيْنَ عَمْـرٌو فَتَى العُـرُوبَـةِ وَالإِقْـدَامِ ، أَوْفَى مُجَاهِـدٍ بِـالْعُقُودِ ؟(٢٤)
شَمَّـرِيٌّ يُحَـطِّمُ السَّـيْفَ بِـالسَّيْـفِ ،وَيَرْمِي الصِّنْدِيدَ بِـالصِّنْدِيدِ(٢٥)
لَمْ يَكُـنْ جَيْشُـهُ لَـدَى الـزَّحْفِ إِلاَّ ... قُـوَّةَ العَـزْمِ صُـوِّرَتْ فِي جُنُـودِ(٢٦)
قِلَّـةٌ دَكَّتْ الْحُصُـونَ وَبَثَّتْ ... رِعْدَةَ الرُّعْبِ فِي الْخِضَمِّ العَدِيـدِ(٢٧)

---

(١٣) وشى الثوب : زينه بالنقوش . الربا : جمع ربوة وهى المرتفع من الأرض .

(١٨) البَهر : الغلبة . الشأو : الغاية .

(٢٠) الكماة : جمع كمىّ . الشجاع أو لابس السلاح . الموكب : الجماعة . ببنود : البند العلم الكبير .

(٢٣) دفّ : الذى يضرب به .

(٢٤) يشير الشاعر إلى الفاتح العظيم عمرو بن العاص ، ويصفه بالشجاعة والإقدام والوفاء بالعهود .

(٢٥) شمّرىّ : ماض فى الأمور مجرب . الصنديد : السيد الشجاع .

ذُعِرَ المَوْتُ أَنَّهُمْ لَمْ يَخَافُو ... هُ وَلَمْ يَرْهَبُوا لِقَاءَ الحَدِيدِ (٢٨)
يَنْظُرُونَ الفِرْدَوْسَ فِى سَاحَةِ الْحَرْ ... بِ فَيَسْتَعْجِلُونَ أَجْرَ الشَّهِيدِ (٢٩)
صَعِدُوا لِلْعُلاَ بِرِيشِ نُسُورٍ ... وَمَضَوْا لِلرَّدَى بِعَزْمِ أُسُودِ (٣٠)
أَيْنَمَا رَكَّزُوا الرِّمَاحَ تَرَى العَدْ ... لَ مُقِيمًا فِى ظِلِّهَا المَمْدُودِ (٣١)
وَتَرَى المُلْكَ أَرْيَحِيًّا ، عَلَيْهِ ... نَضْرَةٌ مِنْ سَمَاحَةِ التَّوْحِيدِ (٣٢)
وَتَرَى العَزْمَ عَابِسًا لِوُثُوبٍ ... وَتَرَى السَّيْفَ ضَاحِكًا فِى الغُمُودِ (٣٣)
وَتَرَى العِلْمَ يَلْتَقِى بِهُدَى الدِّيـ ... ـنِ عَلَى مَنْهَجٍ سَوِىٍّ سَدِيدِ (٣٤)
مَلَكُوا الأَرْضَ لَمْ يُسِيئُوا إِلَى شَعْـ ... ـبٍ ، وَلَمْ يَحْكُمُوهُ حُكْمَ العَبِيدِ (٣٥)
هُمْ جُدُودِى ، وَأَيْنَ مِثْلُ جُدُودِى ... إِنْ تَصَدَّى مُفَاخِرٌ بِالجُدُودِ ؟ (٣٦)

* * *

فَسَحُوا صَدْرَهُم لِحِكْمَةِ يُونَا ... نَ وَآدَابِ فَارِسٍ وَالهُنُودِ (٣٧)
وَأَصَارُوا بِالتَّرْجَمَاتِ عُلُومَ الرُّو ... مِ وِرْدًا لِلنَّاهِلِ المُسْتَفِيدِ (٣٨)
حَذَقُوا الطِّبَّ وَالزَّمَانُ غُلَامٌ ... وَالثَّقَافَاتُ رُضَّعٌ فِى المُهُودِ (٣٩)
وَشُعُوبُ الدُّنْيَا تُعَالِجُ بِالسِّحْـ ... ـرِ وَحَرْقِ البَخُورِ وَالتَّعْقِيدِ (٤٠)
هَلْ تَرَى لابْنِ قُرَّةٍ مِنْ مَثِيلٍ ؟ ... أَوْ تَرَى لأبْنِ صَاعِدٍ مِنْ نَدِيدٍ ؟ (٤١)
وَالطَّبِيبُ الكِنْدِىُّ لَمْ يُبْقِ فِى الطِّـ ... ـبِّ مَزِيدًا لِحَاجَةِ المُسْتَزِيدِ (٤٢)

---

(٣١) ركز الرمح : أثبته فى الأرض . وهذا كناية عن الإقامة .

(٣٤) المنهج : الطريق الواضح . سوىّ : قويم .

(٤١) ذكر الشاعر بعض أعلام الطب من العرب مفاخرًا بهم . « وابن قرة » هو سنان بن ثابت بن قرة . وكان من أطباء المقتدر « وابن صاعد » هو هبة الله ويعرف بابن التلميذ . كان فى أيام المقتفى لأمر الله ، قالوا: ولم يكن مثله بعد أبقراط .

(٤٢) الكندى : هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندى من بيت ثرى نبيل . ويلقب بفيلسوف العرب . ولد فى أواخر القرن الثانى للهجرة . وكان مترجمًا عالمًا بالطب والفلسفة والحساب والمنطق . واتصل بالمأمون والمعتصم .

أَيْـنَ أيْـنَ الـرَّازِىُّ ، أَيْـنَ بَنُـو زُهْـــــرٍ دُعَـاةُ النُّهُـوُضِ والتَّجْـدِيدِ ؟ (٤٣)
وَابْنُ سِينــا ، وَأيْـنَ كَــابْنِ نَفِيسٍ عَجـزَ الـوَهْمُ عَنْ مَـدَاهِ المَـدِيـدِ ؟ (٤٤)

* * *

هَــذِه أُمَّــةٌ مِنَ الصَّخْـرِ ، كَــانَتْ فِى قِفَــارٍ مِنَ الحَيَــاةِ وَبِيــدِ (٤٥)
تَأْكُـلُ القَـدَّ وَالـدُّعَــاعَ مِنَ الجُـوعِ وَتَهْفُـو شَـوْقًــا لِحَبُّ الْهَبِيــدِ (٤٦)
وتُثِيــرُ الحــرُوبَ شَعْـواءَ جَهْـلاً وَتَـدُسُّ الـوَئِيـدَ إِثْـرَ الـوَئِيـدِ (٤٧)
نَبَعَ النُّــورُ بــالنُّبُـوَّةِ فِيهَــا فَطَـوَى صَفْحَـةَ اللَّيَـالِي السُّـودِ (٤٨)
وَمَضَى يَمْــلأُ المَمَــالِكَ عَــدْلاً بَـاسِمَ الـوَعْـدِ مُكْفَهِرَّ الـوَعِيـدِ (٤٩)
أَطْلَقَ العَقْلَ مِنْ سَـلاَسِـلِـهِ الـدُّهْــمِ وَنَحَّــاهُ عَنْ صَلَيلِ القُيُـودِ (٥٠)
بَلَغَتْ مِصْـــرُ فى التَّـآلِيفِ أوْجًــا فَــاتَ طَوْقَ المُنَى بِمَـرْمًى بَعِيـدِ (٥١)
فَــاسْأَلِ الفَــاطِمِىَّ كَمْ مِنْ كِتَــابٍ زَانَ تَــارِيخَــهُ وَسِفْـرٍ فَـرِيـدِ ؟ (٥٢)
وَالصَّــلاحِىُّ وَالممــالِيكُ كَــانُـوا مَـوْئِلَ العِلْـمِ فِي عُصُـورِ الـرُّكُـودِ (٥٣)

---

(٤٣) الرازى : هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازى الطبيب الكيمياوى توفى سنة ٣١١هـ . ألف كتاب الأقطاب فى ثلاثين مجلدًا . « وبنوزهر » . أهل بيت كلهم علماء وأطباء . أشهرهم أبو العلاء بن زهر ثم ابنه أبو مروان ثم ابنه أبو بكر .

(٤٤) ابن سينا : هو أبو على الحسن بن سينا . ولد فى قرية من بخارى. درس الفلسفة والطب ونضج نضجًا مبكرًا ، وتقلد الوزارة لشمس الدولة فى همذان . توفى سنة ٤٢٨هـ . وابن نفيس : هو على بن أبى الحزم القرشى صاحب كتاب الشامل فى مائة مجلد وهو أندلسى .

(٤٦) القدّ : جلد الشاة الصغيرة . الدعاع : حب شجرة برية أسود يختبز منه . الهَبيد : الحنظل .

(٥١) الأوج : ضد الهبوط وهو هنا الرفعة والعلو .

(٥٢) السفر : الكتاب .

(٥٣) الموئل : الملجأ . الركود : عصور تراجع النهضة العلمية ببغداد – وهو فى هذا البيت يذكر أن مصر كانت ملجأ العلوم والعلماء زمن صلاح الدين وزمن المماليك فى عصر انحطاط النهضة فى بغداد .

تِلْكَ آثارُهُمْ شُهُودًا عَلَى المَجْدِ ، وَمَاهُمْ بِحَاجَةٍ لِشُهُودِ (٥٤)

* * *

اِتَّئِدْ أيُّها القَصِيدُ قَلِيلاً أنَا أرْتَاحُ لاِتِّئَادِ القَصِيدِ (٥٥)
وَإِذا مَا ذَكَرْتَ نَهْضَةَ مِصْرٍ فَامْلأْ الْخَافِقَيْنِ بِالتَّغْرِيدِ (٥٦)
ثُمَّ مَجِّدْ مُحَمَّدًا جَدَّ « إِسْمَاعِيلَ» وَاصْعَدْ مَاشِئْتَ فِي التَّمْجِيدِ (٥٧)
جَاءَ وَالنَّاسُ فِى ظَلامٍ مِنَ الظُّلْمِ وَعَصْفٍ مِنَ الخُطُوبِ شَدِيدِ (٥٨)
حَسَرَاتٌ لِلذُّلِّ فِى كُلِّ وَجْهٍ وَسِمَاتٌ لِلغُلِّ فِى كُلِّ جِيدِ (٥٩)
فَأَزَاحَ الغِطَاءَ عَنْهُمْ فَقَامُوا فِى ذُهُولٍ ، وأقْبَلُوا فِي سُمُودِ (٦٠)
وهَدَاهُمْ إِلَى الحَيَاةِ فَسَارُوا فِى حِمًى مِنْ لِوَائِهِ المَعْقُودِ (٦١)
كَمْ بُعُوثٍ لِلغَرْبِ بَعْدَ بُعُوثٍ وَوُفُودٍ لِلشَّرْقِ بَعْدَ وُفُودِ ! (٦٢)
غَرَسَ الطِبَّ فِى ثَرَى مُلْكِهِ الخِصْبِ ، وَرَوَّى مِنْ دَوْحِهِ كُلَّ عُودِ (٦٣)
وَأَتَى بَعْدَهُ المُجَدِّدُ « إسْمَاعِيلُ» ذُخْرُ المُنَى ثِمَالُ الْجُودِ (٦٤)
وَ«فُؤَادٌ» تَعِيشُ ذِكْرَى «فُؤَادٍ» فِى نَعِيمٍ مِنْ رَحْمَةٍ وَخُلُودِ ! (٦٥)
رَدَّ مَجْدًا لِمِصْرَ لَوْلاَ نَدَاهُ وَحِجَاهُ مَاكَانَ بِالمَرْدُودِ (٦٦)

---

(٥٥) اتئد : تمهل وتأن .

(٥٦) الخافقين : المشرق والمغرب .

(٥٨) عَصف من الخطوب : عصفت الريح اشتدت فهى عاصفة وعاصف . الخطب : الأمر الشديد وجمعه خطوب .

(٥٩) الغل : واحد الأغلال : وهو طوق من حديد يوضع فى رقاب الأسرى وأمثالهم .

(٦٠) سمود : رفع الرأس تكبرًا .

(٦٣) يقول : إن محمد على أول من أنشأ مدرسة للطب فى مصر .

(٦٤) الثمال : الغياث الذى يقوم بأمر قومه .

(٦٦) الندى : الجود والكرم . الحجا : العقل والمراد هنا الرأى والتدبير والعقل السديد .

كُلَّ يَـــوْمٍ لَـــهُ بِنَـــاءٌ مَشِيـــدٌ لِلمَعَـــالِي ، إِلَى بِنَـــاءِ مَشِيـــدِ (٦٧)
مَـــا اعْتَلَى الطِبُّ قِمَّـــةَ النَّجْمِ إِلاَّ بِجَنَــاحٍ مِنْ سَعْيِـهِ المَحْمُـــودِ (٦٨)
سَعِـدَتْ مِصْـرُ بـالْجَهَـابِذِ فِى الطِبِّ فَكَمْ مِـنْ مُحَــاضِـرٍ وَمُعِيــدِ ! (٦٩)
وَعَلَى رَأْسِهِـمْ أَبُـــو الحَسَنِ الْجَــرَّا حُ ، مَنْ كَـالرَّئِيسِ أَوْ كَـالعَمِيـدِ ؟ (٧٠)
أَيُّهَـــا الـــوَافِــدُونَ مِـنْ أُمَمِ الشَّــرْ قِ وأَشْبَـالِـــهِ الأُبَــاةِ الصِّيـدِ (٧١)
اِهْبِطُـوا مِصْـرَ ، كَمْ بِهَـا مِنْ قُلُـوبٍ شَفَّهَـــا حُبُّكُـمْ ، وَكَمْ مِـنْ كُبُـــودِ (٧٢)
قَــدْ رَأَيْنَـــا فِى قُــرْبِكُمْ يَــوْمَ عِيــدٍ قَــرَنَتْـــهُ المُنَى إِلَى يَــوْمِ عِيــدِ (٧٣)
إِنَّ مِصـــــرًا لَكُـمْ بِـــــلادٌ وَأَهْــلٌ لَيْسَ فِى الْحُـبِّ بَيْنَنَـا مِن حُـدُودِ (٧٤)
جَمَعَتْنَـــا الفُصْحَى فَمَـــا مِنْ وِهَـــادٍ فَــرَّقَتْ بَيْنَنَـــا وَلا مِنْ نُجُـــودِ (٧٥)
يَصِلُ الحُـــبُّ حَيْثُ لاتَصِـلُ الشَّمْـــــسُ ، وَيَجْتَازُ شَامِخَاتِ السُّدُودِ (٧٦)

* * *

أُمَّـــةَ العُـــرْبِ آنَ أَنْ يَنهَـضَ النَّســـــرُ ، فَقَـدْ طَـالَ عَهْـدُهُ بالـرُّقُودِ (٧٧)
صَفِّقِـــى بِالْجَنَـــاحِ فِى أُذُنِ النَّجْـــــمِ ، وَمُـدِّى فَضْلَ العِنَـانِ وسُـودِى (٧٨)
وَأَعِيدِى حَضَـــارَةً زَانَــتْ الـدُّنْيَا فَكَـــــــمْ وَدَّتِ المُنَـــى أَنْ تُعِيـــدِى (٧٩)
إِنَّمَـــا المَجْـدُ أَنْ تُـــرِيـدِى وَتَمْضِى ثُمَّ تَمْضِـى سَــبَّاقَةً وَتُـــرِيـــدِى (٨٠)

---

(٦٩) الجهبذ : النقّاد الخبير . والجمع جهابذ .

(٧٠) وهو فى هذا البيت يخص بالذكر استاذ الجراحين الدكتور على إبراهيم باشا عميد كلية الطب .

(٧١) الأباة : جمع أبى : وهو الذى يأنف الذل والصغار .

(٧٢) شَفَّها حُبُّكم : هزلها وأنحلها .

(٧٣) المُنى: جمع مُنية وهى مايتمناه الإنسان. إلى يوم عيد: كان افتتاح المؤتمر يوم وقوف الحجّاج بعرفات.

(٧٥) الوهاد : جمع وهد وهو الأرض المنخفضة . والنجود : جمع نجد وهو الأرض المرتفعة .

لايَنَـالُ العُـلاَ سِـوَى عَبْقَـرِيٌّ　　　راسِخِ العَـزْمِ كَـالصَّفَـاةِ جَلِيـدِ (٨١)

* * *

قَـدْ أَعَـدْنَـا عَهْـدَ العُـرُوبَـةِ فِى مِصْـ　　　ـرَ وَذِكْـرَى فِرْدَوْسِهَـا المَفْقُـودِ (٨٢)

وَبَـدأْنَـا عَصْـرًا أغَـرَّ سَعِيـدًا　　　بِمَلِيكٍ مَـاضٍ أَغَـرَّ سَعِيـدِ (٨٣)

قَـد حَبَـاهُ الشَّبـابُ رَأْيًـا وَعَـزْمًـا　　　عَلَـوِيَّ المَضَـاءِ وَالتَّسْـدِيـدِ (٨٤)

قَـامَ بِـالأَمْـرِ أَرْيَحِيًّـا رَشِيـدًا　　　فَـذَكَـرْنَـا بِـهِ عُهُـودَ « الـرَّشِيـدِ » (٨٥)

إِنَّ حُبَّ « الفَـارُوقِ » وَهْـوَ وَحِيـدٌ　　　فِي مَكَـانٍ مِنَ القُلُـوبِ وَحِيـدِ (٨٦)

أَلْسُنُ العُـرْبِ كُلُّهَـا دَعَـوَاتٌ　　　ضَـارِعَـاتٌ بِـالنَّصْـرِ وَالتَّأْيِيـدِ (٨٧)

أبْصَـرُوا فِي السَّمَـاءِ مُلْكًـا عَـزِيـزًا　　　رَافِعَ الـرَّأْسِ فَوْقَ صَخْـرٍ وَطِيـدِ (٨٨)

وَرَأَوْا عَـاهِـلاً يَفِيضُ جَـلاَلاً　　　مِنْ هُـدَى رَبِّـه العَـزِيـزِ الْحَمِيـدِ (٨٩)

عَـاشَ لِلْمُلْكِ وَالعُـرُوبَـةِ ذُخْـرًا　　　فِي نَعِيمٍ مِنَ الْحَيَـاةِ رَغِيـدِ (٩٠)

* * *

---

(٨١) الصفاة : الحجر الصلد الضخم .

(٨٢) الفردوس : فى الأصل البستان وهو من أسماء الجنة ويريد بالفردوس المفقود ، ماكان للعربية من مجد وحضارة فى أيام ازدهارها .

(٨٣) الأغر : الأبيض من كل شئ .

(٨٤) حباه : أعطاه بغير عوض . التسديد : صدق الرمى والإصابة . علوى : نسبة إلى جده محمد على .

(٨٥) الأريحى : السهل الخلق الكريم . والرشيد : هو هارون الرشيد الخليفة العباسى العظيم زها الإسلام والعلم والأدب فى أيامه .

يَوْمُ السَّلَام

نشرت هذه القصيدة فى صباح إعلان انتهاء الحرب العالمية الثانية فى أوائل مايو سنة ١٩٤٥م .

دَاعِبِ الشَّرْقَ بَاسِمًا وَسَعِيدَا ‏ ‏ ‏ وَائْتَلِقْ يَاصَبَاحُ لِلنَّاسِ عِيدا (١)
نَسِيَتْ لَحْنَهَا الطُّيُورُ فَصَوِّرْ ‏ ‏ ‏ لِبَنَاتِ الغُصُونِ لَحْنًا جَدِيدا (٢)
فَزَّعَتْهَا عَنِ الرِّيَاضِ خَفَافِيشُ تَسُدُّ الفَضَاءَ غُبْرًا وَسُودا (٣)
أَلِفَتْ مُوحِشَ الظَّلامِ فَوَدَّتْ ‏ ‏ ‏ أَنْ تَبِيدَ الدُّنْيَا وَأَلاّ يَبِيدا (٤)
فَاسْجَعِى يَاحَمَامَةَ السِّلْمِ لِلْكَوْنِ ، وَهُزِّى أَعْطَافَهُ تَغْرِيدا (٥)
غَرِّدِى فَالدُّمُوعُ طَاحَ بِهَا البِشْرُ ، وَأَضْحَى نَوْحُ الثَّكَالَى نَشِيدا (٦)
وَاسْمَعِى ! إنّ فِى السَّمَاءِ لُحُونًا ‏ ‏ ‏ أَسَمَعْتِ التَّرْتِيلَ والتَّرْدِيدا ؟ (٧)
كُلَّمَا اهتَزَّ لِلمَلائِكِ صَوْتٌ ‏ ‏ ‏ رَجَّعَتْهُ أَنْفَاسُنَا تَحْمِيدا (٨)
رَنَّةُ النَّصْرِ فِى السمَاوَاتِ وَالأرْضِ ، أَعَادَتْ إِلَى الوُجُودِ الوُجُودا (٩)
مَوْلِدٌ لِلزَّمَانِ ثَانٍ شَهِدْنَاهُ ، فَيَامَنْ رَأَى الزَّمانَ وَلِيدا ! (١٠)

---

(١) ائتلق : أشرق .

(٢) بنات الغصون : فروع الشجر اللينة الصغيرة . أو الطيور .

(٣) فزعتها : أخافتها . خفافيش : طيور ليلية والمراد بها الطائرات المغيرة ليلاً .

(٥) اسجعى ياحمامة : رددى صوتك بالغناء من أجل السلام . أعطافه : جوانبه .

(٦) طاح بها : ذهب بها . نوح : البكاء . الثكالى : النساء اللاتى فقدن أبناءهن .

(٧) لحونا : أناشيد .

(٨) رجّعته : أعادته . تحميداً : شكرا وثناء .

سَكَنَ السَّيْفُ غِمْدَهُ بَعْدَ أنْ صَالَ عَنِيفًا مُنَاجِزًا عِرْبِيدَا (١١)
مَا احْمِرَارُ الأَصِيلِ إلاَّ دِمَاءٌ بَقِيَتْ فِى يَدِ السَّمَاءِ شُهُودَا (١٢)
طَائِرَاتٌ تَرْمِى الصَّوَاعِقَ لاتَخْشَى إلَـٰهًا ، وَلاَ تَخَافُ عَبِيدَا (١٣)
أجْهَدَتْ فِى السُّرَى خَوافِقَ عِزْرِيلَ فَرَفَّتْ مِنْ خَلْفِهِنَّ وَئِيدَا (١٤)
كُلَّمَا حَلَّقَتْ بِأُفْقِ مَكَانٍ تَرَكَتْ فِيهِ كُلَّ شَىْءٍ حَصِيدَا (١٥)
كَمْ سَمِعْنَا عَزِيفَهَا مِنْ قَرِيبٍ فَغَدَا الرَّأْىُ وَالسَّدَادُ بَعِيدَا (١٦)
يَلْفَحُ الشَّيْخَ وَالغُلاَمَ لَظَاهَا وَيُصِيبُ الشُّجَاعَ وَالرِّعْدِيدا (١٧)
كَمْ وَحِيدٍ بَيْنَ الرِّجَامِ بَكَى أُمًّا ، وأُمٍّ بَكَتْ فَتَاهَا الوَحِيدَا ! (١٨)
مُدُنٌ كُنَّ كَالْمَحَارِيبِ أمْنًا تَرَكَ الْخَسْفُ دُورَهُنَّ سُجُودَا (١٩)
وَقُصُورٌ كَانَتْ مَلاَعِبَ أُنْسٍ أَصْبَحَتْ بَعْدَ زَهْوِهِنَّ لُحُودَا (٢٠)

* * *

لَهْفَ نَفْسِى عَلَى دِمَاءٍ زَكِيَّاتٍ كَقَطْرِ الغَمَامِ طُهْرًا وجُودا ! (٢١)
سِلْنَ مِنْ خَدِّ كُلِّ سَيْفٍ نُضَارًا بَعْدَمَا حَطَّمَ الحَدِيدُ الحَدِيدَا (٢٢)
لَهْفَ نَفْسِى عَلَى شَبَابٍ تَحَدَّى عَذَبَاتِ الفِرْدَوْسِ زَهْرًا وَعُودَا ! (٢٣)

(١١) سكن السيف : هدأ السيف فى جرابه . عربيدا : مؤذيًا .
(١٢) احمرار الأصيل : ظهور الشفق الأحمر فى السماء قرب الغروب .
(١٤) السرى : السيرليلاً . خوافق : أجنحة . عزريل : سيدنا عزرائيل ملك الموت . وئيدا : بطيئا .
(١٦) عزيفها : صوتها .
(١٧) يلفح : يحرق . لظاها : لهيبها . الرعديد : الجبان .
(١٨) الرجام : الأحجار المتناثرة الضخام .
(١٩) المحاريب : جمع محراب وهو مكان الإمام من المسجد والمقصود المساجد .
(٢٠) لحودًا : قبورًا .
(٢١) لهف نفسى : حزن نفسى وحسرتها على ما أريق من دماء .
(٢٢) سلن : من سال . نضارا : الذهب .
(٢٣) عذبات : الأطراف .

لَهْفَ نَفْسِى وَالنَّارُ تَعْصِفُ بِالجيْـــشِ فَتَلْقَاهُ فِى الرِّيَاحِ بَدِيدَا ! (٢٤)

ذَكَّـرَتْنَا جَهَنَّمَا كُلَّما أُلْـــقِىَ فَوْجٌ صَاحَتْ تُرِيدُ المَزِيدَا (٢٥)

كَالبَرَاكِينِ إنْ تَمَشَّتْ ، وَكَالبَحْـــرِ إذَا جَاشَ بِالْحَمِيمِ صَهُودَا (٢٦)

وَ إذَا المَاءُ كَانَ نَارًا فَمَنْ يَرْ جُو لِنَارٍ إذَا اسْتَطَارَتْ خُمُودا ؟ (٢٧)

أُمَمٌ تَلْتَقِى صَبَاحًا عَلَى المَـوْتِ لِتَسْتَقْبِلَ المَسَاءَ هُمُودا (٢٨)

وَفَرِيقٌ لِلْفَتْكِ يَلْقَى فَرِيقًا وَحُشُودٌ لِلهَوْلِ تَلْقَى حُشُودا (٢٩)

كَمْ حُطَامٍ فِى الأرْضِ كَانَ عُقُولاً وَرَمَادٍ فِى الْجَوِّ كَانَ جُهُودَا ! (٣٠)

وَأَمَانٍ وَنَشْوَةٍ وَشَبَابٍ ذَهَبَتْ مِثْلَ أمْسِهَا لَنْ تَعُودَا ! (٣١)

قُبُلاتُ الحِسَانِ مَازِلْنَ فِى الخَـدِّ ، فَهَلْ عَفَّرَ التُّرابُ الْخُدُودَا ؟ (٣٢)

وَوُعُودُ الغَرَامِ مَاذَا عَرَاهَا أَغَدَتْ فِى الثَّرَى الْخَضِيبِ وَعِيدَا ؟ (٣٣)

كَمْ دُمُوعٍ ، وَكَمْ دِمَاءٍ ، وَكَمْ هَوْلٍ ، وَكَمْ أنَّةٍ ، تَفُتُّ الكُبُودَا ! (٣٤)

إنَّمَا الحَرْبُ لَعْنَةُ اللهِ فِى الأرْ ضِ ، وَشَرٌّ بِمَنْ عَلَيْهَا أُرِيدَا (٣٥)

صَدَّقَتْ مَا رَأَىَ المَلاَئِكُ مِنْ قَبْـلُ ، وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ تَفْنِيدا (٣٦)

---

(٢٤) بديدًا : مبددًا .

(٢٥) إشارة فى البيت إلى الآية القرآنية الكريمة : « يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد » .

(٢٦) جاش بالحميم : غلى ماؤه فصار حارًا . صهودًا : شدة الحرارة .

(٢٧) خمودا : سكون لهب النار .

(٢٨) همودا : الأرض التى لا نبات فيها والمقصود لا حياة بها .

(٣٣) عراها : أصابها . الثرى الخضيب : التراب الملون بالحمرة ويقصد بها هنا الدماء .

(٣٤) أنة : التألم بصوت . تفت : تشق .

(٣٦) ما كان قولهم تفنيدا : ما كان قولهم كذبا . ويشير الشاعر إلى الحديث الذى دار بين رب العزة والملائكة فى سورة البقرة : « وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم ما لا تعلمون » . صدق الله العظيم .

إنّ لِلّـهِ حِكْمَـــــةً دُونَهـــــا العَقْـــــــلُ فَخَـلِّ المِـــرَاءَ وَالـتَّرْدِيــدَا (٣٧)
كَيْفَ نَصْفُـو وَنَحْـنُ مِنْ عُنْصِـرِ الطِّـــــينِ ، فَسَــادًا وَظُلْـمَةً وَجُمُـودَا ؟ (٣٨)

* * *

ذَهَبَ المَـوْتُ بِـالْحُقُـودِ فَمَــاذَا لَوْ مَحَـوْتُمْ قَبْلَ المَمَـاتِ الْحُقُودَا ؟ (٣٩)
شَهَــوَاتٌ تُـدَمِّـرُ الأرْضَ كَيْ تَحْـــــــــيَا ، وَتَجْتَـاحُ أَهْلَهَـا لِتَسُـودَا ! (٤٠)
وَجُنُـونٌ بِـالمُلْكِ يَعْصِفُ بِـالـدُّنْـــــــيَا ، لِكَيْ يَمْلِكَ القُبُـورَ سَعِيـدَا !(٤١)
يَـذْبَحُ الطِّفْلَ أعْصَلَ النَّـابِ شَيْطَـا نًـا ، وَيَحْسُـو دَمَ النِّسَـاءِ مَرِيـدَا ! (٤٢)
وَيُسَـوِّى جَمَـاجِـمَ النَّـاسِ أَبْـرَا جًـا ، لِيَبْغِي إلَى السَّمَـاءِ صُعُـودا ! (٤٣)
قَـدْ رَأَيْنَـا الأُسُـودَ تَقْنَعُ بِـالقُــــــوُتِ ، فَلَيْتَ الـرِّجَالَ كَـانَتْ أُسُودَا (٤٤)

* * *

قُتِـلَ العِلْمُ ، كَيْـفَ دَبَّــرَ لِلفَتْـــــــكِ عَتَـادًا ، وَلِلـدَّمـارِ جُنُـودا ! (٤٥)
فَهْـوَ كَـالْخَمْـرِ تَنْشُـرُ الشَـرَّ وَالإثْــــــمَ وَإنْ كَـانَ أَصْلُهَـا عُنْقُـودَا ! (٤٦)
أَبْـدَعَ المُهْلِكَـاتِ ثُمَّ تَـوَارَى خَلْفَهَـا يَمْـلأُ الـوَرَى تَهْـدِيـدَا (٤٧)
مَـادَتِ الـرَّاسِيَـاتُ ذُعْـرًا وَخَفَّتْ مِنْ أَفَـانِينِ كَيْـدِهِ أنْ تَمِيــدَا (٤٨)
وَقُلُـوبُ النُّجُـومِ تَـرْجُـفُ أنْ يَجْـــتَازَ يَـوْمًـا إلَى مَـدَاهـا الحُـدُودَا (٤٩)

---

(٣٧) خل : اترك . المراء : الجدل فى الحديث .

(٤٢) أعصل الناب : معوج فى صلابة . يحسو : يشرب بنهم . مريدا : شديدًا عاتيًا .

(٤٧) توارى : اختفى . الورى : الدنيا .

(٤٨) ما دت : تحركت وذهبت . الراسيات : الجبال الشوامخ .

(٤٩) ترجف : تضطرب خوفًا من العلم أن يصل إليها ونشير هنـا إلى رؤية الشاعر لما حدث الآن من اجتياز العلم للفضاء .

مُحْدَثَاتٌ عَزَّتْ عَلَى عَقْلِ إبليسَ فَعَضَّ البَنَانَ فَدْمًا بَلِيدًا (٥٠)
عَالِمٌ فِي مَكَانِهِ يَنْسِفُ الأرْضَ، وَثَانٍ يَحُزُّ مِنْهَا الوَرِيدَا (٥١)
حَسْرَتَا لِلحَيَاةِ! مَاذَا دَهَاهَا؟ أصْبَحَ النَّاسُ قَاتِلاً وَشَهِيدَا (٥٢)

* * *

أصَحِيحٌ عَادَ السَّلامُ إلِى الكَوْنِ، وَأضْحَى ظِلاً بِهِ مَمْدُودَا؟ (٥٣)
وَرَنِينُ الأجْرَاسِ يَصْدَحُ بِالنَّصْرِ، فَيَا بِشْرَهُ صَبَاحًا مَجِيدَا! (٥٤)
سَايَرَتْهَا قُلُوبُنَا ثُمَّ زِدْنَا فَأضَفْنَا لِشَدْوِهِنَّ القَصِيدَا! (٥٥)
رَدِّدِي رَدِّدِي تَرَانِيمَ إسْحَاقَ، وَهُزِّي الحِسَانَ عِطْفًا وَجِيدَا (٥٦)
أنْتِ صُورُ الحَيَاةِ قَدْ بَعَثَ النَّاسَ، وَكَانُوا جَمَاجِمًا وَجُلُودَا (٥٧)
قَدْ سَئِمْنَا بِالأمْسِ صَفَّارَةَ الإنْذَارِ وَالوَيْلَ وَالعَذَابَ الشَّدِيدَا (٥٨)
رَدِّدِي صَوْتَكِ الحَنُونَ طَوِيلاً وَابْعَثِي لَحْنَكِ الطَّرُوبَ مَدِيدَا (٥٩)
وَاهْتِفِي يَا مَآذِنَ الشَّرْقِ بِاللهِ ثَنَاءً، وَبِاسْمِهِ تَمْجِيدَا (٦٠)
وَاسْطَعِي أيُّهَا المَصَابِيحُ زُهْرًا وَاجْعَلِي شَوْقَنَا إلَيْكِ وَقُودَا (٦١)
قَرَّتِ النَّفْسُ وَاطْمَأنَّتْ وَكَانَتْ أمَلاً حَائِرَ الطَّرِيقِ شَرِيدَا (٦٢)

* * *

---

(٥٠) محدثات : أشياء جديدة . الفدم : العييّ عن الكلام وقلة فهم .

(٥١) يحز : يقطع . الوريد: العرق الذى يجرى فيه الدم .

(٥٦) ترانيم : غناء . اسحاق : هو اسحاق الموصلى المغنى العربى . عطفا : الجانب . الجيد : العنق .

(٥٧) الصور : البوق .

(٦١) زهرًا : متلألئة مشرقة .

(٦٢) قرت النفس : سكنت وهدأت . حائر الطريق : غير مهتد لسبيله .

لَيْتَ شِعْرِي مَاذَا سَنَجْنِي مِنَ النَّصْـرِ وَهَلْ تَصْدُقُ اللَّيَالِي الوُعُودَا ؟ (٦٣)

وَهَلْ « الأَرْبَعُ الرَّوَائِعُ » كَانَتْ حُلُمًا ، أَوْ مَوَاثِقًا وَعُهُودَا ؟ (٦٤)

وَهَلْ انْقَادَتِ المَمَالِكُ لِلعَدْلِ ، فَلاَ سَيِّدًا تَرىَ أَوْ مَسُودَا ؟ (٦٥)

وَهَلْ الحَقُّ صَارَ بِالسِّلْمِ حَقًّا وَأَذَابَتْ لَظَى الحُرُوبِ القُيُودَا ؟ (٦٦)

وَهَلْ العُرْبُ تَسْتَرِدُّ حِمَاهَا وَتُنَاجِي فِرْدَوْسَهَا المَفْقُودَا ؟ (٦٧)

وَتَرَى فِي السَّلامِ مَجْدًا طَرِيفًا جَاءَ يُحْيِي بِالأَمْسِ مَجْدًا تَلِيدَا ؟ (٦٨)

بَذَلَتْ مِصْرُ فَوْقَ مَا يَبْذُلُ الطَّوْقُ ، وَقَدْ يُسْعِفُ النَّدِيدُ النَّدِيدَا (٦٩)

فِي فَيَافِي صَحْرَائِهَا لَمَعَ النَّصْـرُ ، وَوَلَّى « رُومِيلُ » يَغْدُو طَرِيدَا (٧٠)

فَهِيَ إِذْ تَنْشُرُ الوُرُودَ تُنَاغِي أَمَلاً ضَاحِكًا يَفُوقُ الوُرُودَا (٧١)

وَهِيَ تَرْجُو ، لا ، بَلْ تُرِيدُ ، وَأَجْدِرْ بِابْنَةِ النِّيلِ وَحْدَهَا أَنْ تُرِيدَا ! (٧٢)

* * *

(٦٤) الأربع الروائع : الحريات الأربع فى مِيثاق الأطلنتى وهى : حرية التعبير وحرية العبادة والتحرر من الحاجة والتحرر من الخوف .

(٧٠) فيافى : الصحراء الممتدة الشاسعة . روميل : أحد قادة الألمان فى الحرب العالمية الثانية وهُزم فى معركة العلمين .

رثاء سعد

فجعت الأمة المصرية بموت زعيمها « سعد زغلول باشا » فى ٢٣ من أغسطس سنة ١٩٢٧م فكان لموته حزن عام شمل جميع أرجاء القطر ، فانبرى الأدباء والشعراء لرثائه وذكر مآثره وتعداد فضائله ، والإشادة ببطولته وعظمته ، وندبوا فيه العزيمة الصادقة ، والهمة العالية ، والعزة والإباء ، وأكرم صفات الرجولة الكاملة .

لاَ الدَّمْعُ غَاضَ ، وَلا فُؤادُكَ سَالِى ... دَخَلَ الحِمَامُ عَرِينَةَ الرِّئْبَالِ (١)
وَأَصَابَ فِى المَيْدانِ فَارِسَ أُمَّةٍ ... رَفَعَ الكِنَانَةَ بَعْدَ طُولِ نِضَالِ (٢)
رَشَقَتْهُ أَحْداثُ الْخُطُوبِ فَأَقْصَدَتْ ... حَرْبُ الخُطُوبِ الدُّهْمِ غَيْرُ سِجَالِ (٣)
لِلْمَوْتِ أَسْلِحَةٌ يَطِيحُ أَمَامَها ... حَوْلُ الْجرِئ ، وَحِيلَةُ المُحْتَالِ (٤)
مَا كَانَ سَعْدٌ آيَةً فِى جِيلِهِ ... سَعْدُ المُخَلَّدُ آيَةُ الأَجْيَالِ (٥)
تَفْنَى أَحَادِيثُ الرِّجَالِ وَذِكْرُهُ ... سيَظَلُّ فِى الدُّنْيا حَدِيثَ رِجَالِ (٦)
سَارٍ كَمِصْبَاحِ السَّمَاءِ يَحُثُّهُ ... كَرُّ الضُّحَى وَتَعَاقُبُ الآصَالِ (٧)

* * *

(١) غَاضَ : جف وذهب . الحمام : الموت . عرينة الرئبال : مأوى الأسد .

(٢) الكنانة : مصر . الكنانة : جعبة السهام .

(٣) رشقته : رمته . أحداث الخطوب : ماينزل من المكاره ويصيب . أقصدت : لم تخطئ المقتل . الدهم : السود . الحرب السجال : التى تكون ، مرة لهؤلاء ومرة لهؤلاء .

(٤) يطيح : لايثبت لها ولا يقوى عليها . الحول : القوة .

(٥) الآية : المعجزة .

(٧) سار : متوثب غير خامد ولاساكن . مصباح السماء : الشمس . يحثه : يغريه ويستنهضه . كر الضحى : مروره . الآصال : جمع أصيل ، وهو مابعد العصر إلى المغرب .

أَرَأَيْتَ مِصْـــرَ تَهُبُّ لِاسْتِقْـــلالِهـــا وَالسَّيْفُ يَلْمَـعُ فَــوْقَ كُـلِّ قَــذَالِ (٨)
وَالـذُّعْـرُ يَعْصِفُ بِـالقُلُوبِ كَمَـا جَرَتْ هُــوجُ الــرِّيــاحِ عَلَى كَثِيبِ رِمــالِ (٩)
وَالأَرْضُ تَـرْجُفُ ، وَالسَّمــاءُ مَرِيضَــةٌ وَالنَّفْسُ حَيْـرَى وَالهُمُــومُ تَـوَالِى (١٠)
وَالنَّـــاسُ فِى صَمْتِ المَنُــونِ كَـأَنَّهُمْ صُـوَرٌ كَسَـاها الحُزْنُ ثَـوْبَ خَبَـالِ (١١)
إِنْ حَـدَّثُـوكَ فَبِـالْعُيُـونِ لِيَتَّقُـوا رَصَـدَ العُيُونِ ، وَشِـرَّةَ الْمُغْتَـالِ (١٢)
وَالمَـوْتُ يَخْطُـرُ فِى الْجُمُـوعِ وَحَـوْلَـهُ أَجْنَـــادُهُ ، مِنْ أَنْصُـلٍ وَعَـــوالِى (١٣)
رَيَّــانَ مِنْ مُهَجِ الشَّبـــابِ كَأَنَّمــا مُهَجُ الشَّبابِ سُلافَـةُ الْجِرْيَـالِ (١٤)
وَجَنَـانُ مِصْـرَ عَلَى جَنَـاحَىْ طَـائِرٍ مِمَّـــا أَلَحَّ عَلَيْـــهِ مِنْ أَهْـــوَالِ (١٥)
تَــرْنُـــو إِلىَ أَبْنَـــائِهــا بِنَـــوَاظِـــرٍ غَـرِقَتْ بِمـاءِ شُـؤُونِهـا الهَطّـالِ (١٦)
وَإِذَا بِصَـــوْتٍ هَــزَّ مِصْـــرَ زَئِيــرُهُ ! غَضَبُ اللُّيوثِ حِمـايَـةُ الأَشْبَـالِ (١٧)
صَــوْتٌ كَصُــورِ الحَشْــرِ جَمَّعَ أُمَّــةً مُنْحَلَّــةَ الأَطْــرَافِ والأَوْصَــالِ (١٨)
فَتَطَلَّعَتْ عَيْـنٌ ، وَأَصْغَتْ بَعْــدَهَـــا أُذُنٌ ، وَهَمَّـتْ أَلْسُنٌ بِسُـــــؤَالِ (١٩)
مَنْ ذَلِـكَ الشَّعْشَــاعُ طَـــالَ كَأَنَّــهُ صَـدْرُ القَنَـاةِ وَعَـامِلُ العَسّـالِ ؟ (٢٠)

---

(٨) القذال : مؤخر الرأس ، ويريد الرأس عامة .
(١٢) العيون الثانية : الجواسيس . رصدهم : مراقبتهم لهم . الشرة (بالكسر) : الشر .
(١٣) يخطر : يمشى مزهوًا . الأنصل : جمع نصل ، ويريد به السيف . العوالى : الرماح .
(١٤) المهج : هنا الدماء . الجريال : الخمر ، سلافتها : ماتحلّب وسال قبل العصر ، وهو أفضل الخمر .
(١٥) الجنان : القلب ، ووجود الجنان على جناحى طائر كناية عن اضطرابه فزعا وهمّا . ألحّ : دام وتتابع فى شدة .
(١٦) ترنو : تديم النظر . الشؤون : عروق الدموع . الهطال : المتتابع المنهمر .
(١٨) الصور : القرن ينفخ فيه . الحشر : الجمع ، يريد يوم القيامة . يشير بصور الحشر إلى قوله تعالى ﴿ويوم ينفخ فى الصور﴾ . الأوصال : الأطراف ، الواحد : وصل (بالكسر وبالضم) . منحلة الأطراف والأوصال : أى لا رابطة بين أهليها .
(٢٠) الشعشاع : الطويل . القناة : الرمح . صدرها : معظمها وهو ما يلى السنان . العسال : الرمح الخطار ، عامله : صدره .

مَنْ ذَلِكَ النَّمِرُ الــوَثُــوبُ ؟ وَذَلِكَ الــ ... أَسَــدُ الْمُزَمْجِـرُ ذُو النِّدَاءِ العَـالِى ؟ (٢١)
ومَنْ الَّــذِى اخْتَـرَقَ الصُّفُــوفَ كَـأَنَّــهُ ... قَــدَرُ الإلـهِ يَسِيــرُ غَيْـرَ مُبَـالِى ؟ (٢٢)
سَعْــدٌ ، وَحَسْبُكَ مِنْ ثَـلاثَـةِ أَحْـرُفٍ ... مَـا فِى البَـرِيَّــةِ مِنْ نُهًى وَكَمَــالِ (٢٣)
كَتَبَ الكَتَـائِبَ حَـوْلَ مِصْرَ ، سِـلاحُهـا ... صَبْــرُ الكَـرِيمِ ، وَهِمَّــةُ الفَعّــالِ (٢٤)
وَمِــنَ السُّـــيُوفِ إِرادَةٌ مَصْـــقُولَــةٌ ... طُبِعَتْ لِيَــوْمِ كَــرِيهَــةٍ وَنِــزَالِ (٢٥)
وَمِنَ السَّـــوابِغِ حِكْمَـــةٌ سَعْـــدِيَّـــةٌ ... تُــزْرِى بِــوَقْـعِ أَسِنَّــةٍ وَنِبَــالِ (٢٦)
وَمِنَ الْحُصُــونِ فُـؤادُ كُـلِّ مُصَـابِـرٍ ... جَهْمِ العَـزِيمَـةِ ضَـاحِـكِ الآمـالِ (٢٧)
فَمَضَى إِلَـى النَّصْـــرِ الْمُبِينِ مُـــؤَزَّرًا ... وَالشَّعْبُ يَهْتِفُ بِـاسْمِـهِ وَيُغَـالِى (٢٨)
وَهَـدَى الشَّبَـابَ إِلَى الْحَيَـاةِ فَـأَدْرَكُـوا ... مَعْنَى الْحَيَـاةِ وَعِــزَّ الاِسْتِقْــلالِ (٢٩)
وَجَـرَى يُغَبِّــرُ ، لَا الْعَسِيــرُ بِخَــاذِلٍ ... أَمَــلاً ، وَلا نَيْلُ السُّهَــا بِمُحَــالِ (٣٠)
فَكَــأَنَّــهُ سَيْفُ الْمُهَيْمِـنِ « خَــالِـدٌ » ... وَكَــأَنَّ دَعْــوَتَــهُ أَذَانُ « بِــلاَلِ » (٣١)
مَـــا رَاعَــــهُ نَفْىٌ ، وَلَا لَعِبَـتْ بِـــهِ ... فِى حُبِّ مِصْــرَ زَعَــازِعُ الأَوْجَــالِ (٣٢)

---

(٢٣) النهى : العقول ، الواحدة : نهية (بالضم) . سميت كذلك لأنها تنهى عن القبيح .

(٢٤) كتب الكتائب : جمع الجيوش .

(٢٥) طبعت : صيغت وعملت . الكريهة : الشدة . النزال : القتال والطعان .

(٢٦) السوابغ : الدروع ، الواحدة : سابغة . سعدية : نسبة إلى الزعيم الراحل سعد زغلول . تزرى بوقع ... إلخ، أى لا تباليها ولا تأبه لها . الأسنة : جمع سنان وهو نصل الرمح . النبال : السهام . الواحد : نبل .

(٢٧) المصابر : الذى يبز غيره فى الصبر ويغلبه فيه . جهم العزيمة : عابسها . عبوس العزيمة دليل على قوتها وصلابتها . ضاحك الآمال : أى مملوء رجاء وثقة بنجاح أمنيته وأمله .

(٣٠) يغبر : يثير الغبار ، وهذا كناية عن السرعة فى السير . السها (بالألف والياء) : كوكب صغير من بنات نعش الصغرى ، يضرب به المثل فى الشيء البعيد إدراكه والحصول عليه .

(٣١) المهيمن : من أسماء الله تعالى . خالد : هو خالد بن الوليد المخزومى الصحابى المعروف ، وقد سماه رسول الله – ﷺ – ، لقوته وبأسه على الكفار وكثرة ما أبلى : سيف الله المسلول . وإلى هذا يشير الشاعر . وكانت وفاته فى خلافة عمر بن الخطاب . بلال : هو بلال بن رباح مؤذن الرسول – ﷺ .

(٣٢) ما راعه: ما أفزعه ولا أخافه. زعازع الأوجال، أى شدائد المخاوف وما يعصف منها بالأفئدة ويزعزعها.

وَيَـرَى الْحُتُـوفَ وَقَـدْ مَـلأْنَ طَـرِيقَـهُ ... نَـارَ الْحُبَـاحِبِ ، أَوْ وَمِيضَ الآلِ (٣٣)

يَـزْدَادُ فِي عَصْفِ الشَّـدَائِدِ قُـوَّةً ... وَيَجُـولُ حِينَ يَضِيقُ كُلُّ مَجَـالِ (٣٤)

كَـالشُّعْلَـةِ الْحَمْـرَاءِ لَـوْ نَكَّسْتَهَـا ... لأَضَفْتَ إِشْعَـالاً إِلَى إِشْعَـالِ(٣٥)

وَالسَّيْلُ إِنْ أَحْكَمْتَ سَـدَّ طَـرِيقِـهِ ... دَكَّ الْحُصُـونَ فَعُدْنَ كَـالأَطْـلاَلِ(٣٦)

وَالصَّـارِمُ الْفَصَّـالُ لَمْ يَـكُ حَـدُّهُ ... لَـوْلاَ اللَّهِيبُ بِصَـارِمٍ فَصَّـالِ(٣٧)

* * *

خَصْمٌ شَـرِيفٌ نَـالَ مِنْ خُصَمَـائِهِ ... مَـا نَـالَ مِنْ إِجْـلاَلِ كُـلِّ مُـوَالِي(٣٨)

عَـرَفُـوهُ وَضَّـاحَ السَّرِيـرَةِ طَـاهِـرًا ... شَـرُّ الْبَلاَءِ خُصُـومَـةُ الأَنْـذَالِ !(٣٩)

إِنَّ الشَّجَـاعَـةَ أَنْ تُنَـاضِلَ مُصْحِـرًا ... لاَ أَنْ تَـدِبَّ كَفَـاتِكِ الأَصْـلاَلِ(٤٠)

* * *

إِنْ قَـامَ يَخْطُبُ قُلْتَ حَيْـدَرَةُ انْبَـرَى ... لِلْقَـوْلِ فِي سَمْتٍ وَصِـدْقِ مَقَـالِ(٤١)

إِعْجَـازُ عَـارِضَـةٍ ، وَنُـورُ بَـدِيهَـةٍ ... وَبَـدِيعُ تَنْسِيقٍ ، وَحُسْنُ صِقَـالِ(٤٢)

يَخْتَـارُ مِنْ أَيِ الْكَـلاَمِ جَـوَاهِـرًا ... دُرَرُ الْبَـلاَغَـةِ كَـاسْمِهِنَّ غَـوَالِي !(٤٣)

---

(٣٣) الحتوف : المهالك . الحباحب : اسم رجل بخيل كان لا يوقد إلا نارًا ضعيفة مخافة الضيفان ، فضربوا بضعف ناره المثل . الحباحب أيضا : ذباب يطير بالليل له شعاع فى ذنبه كالسراج ، وربما جعلوا الحباحب لما يرى فى ذنبه كأنه نار . الآل : الذى فى الصحراء طرفى النهار كأنه ماء . وميضه : لمعانه وبريقه .

(٣٧) الصارم الفصال : السيف القاطع .

(٤٠) مصحرا : أى بارزا ظاهرا . الأصلال : جمع صل (بالكسر) وهى الحية .

(٤١) حيدرة : الأسد ، وهو لقب أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه رابع الخلفاء الراشدين ويقول فى ذلك : أنا الذى سمتنى أمى حيدرة . وهو معروف بالفصاحة فى القول ، وخطبه مجموعة فى كتاب (نهج البلاغة) . فى سمت : أى فى حسن هيئة ووقار .

(٤٢) العارضة : البيان واللسن . الصقال:الألفاظ والاتيان بالواضح الأخّاذ منها .

مَـاعَقَّـهُ حُـرُّ الْبَيَـانِ ، وَلاَ جَـرَتْ ... أُمُّ اللُّغَـاتِ وَفَـاءَهُ بِمِطَـالِ (٤٤)
وَالسَّـامِعُـونَ كَـأَنَّمَـا لَعِبَتْ بِهِمْ ... صَهْبَاءُ قَـدْ نُفِحَتْ بِـرِيـحِ شَمَـالِ (٤٥)
فَإِذَا أُثِيـرَ رَأَيْتَ (بُـرْكَـانًـا) رَمَى ... حُمَمًـا ، وَدَكَّ الأَرْضَ بِـالـزِّلْـزَالِ (٤٦)
مُتَنَمِّـرًا كَـاللَّيْثِ دِيسَ عَـرِينُـهُ ... مُتَـوَثِّبًا يَـدْعُـو الـرِّجَـالَ نَـزَالِ (٤٧)
كَلِمٌ إِذَا حَـدَرَ اللِّثَـامَ رَأَيْتَهَـا ... حَـالَتْ إِلَى مَسْنُـونَـةٍ وَنِصَـالِ (٤٨)
لاَ تَـذْكُرُوا نَـارَ الصَّـوَاعِقِ عِنْدَهَـا ... نَـارُ الصَّـوَاعِقِ عِنْـدَهَـا كَذُبَـالِ ! (٤٩)

* * *

نَفْسٌ كَـأَنْفَـاسِ الْمَـلاَئِكِ طُهِّـرَتْ ... وَشَمَـائِلٌ أَحْلَى مِـنَ السَّلْسَـالِ (٥٠)
وَتَـوَاضُعُ النُّسَّـاكِ فِيـهِ يَـزِينُـهُ ... شَمَمُ الْمُلُـوكِ وَعِـزَّةُ الأَقْيَـالِ (٥١)
وَخَـلاَئِقٌ كَـالـزَّهْـرِ سَـارَ عَبِيـرُهُ ... مَـا بَيْنَ أَمْـوَاهٍ وَبَيْنَ ظِـلاَلِ (٥٢)
وَعَـزِيمَـةٌ جَبَّـارَةٌ لَـوْ حُمِّلَتْ ... « أُحُدًا » لَمَـا شَعَـرَتْ لَـهُ بِكَـلاَلِ (٥٣)
وَشَجَـاعَـةٌ فِي اللهِ يَكْلَـؤُهَـا الحِجَـا ... وَالْحَـزْمُ فِي الإِدْبَـارِ وَالإِقْبَـالِ (٥٤)

---

(٤٥) الصهباء : الخمر ، سميت بذلك للونها . نفحت بريح شمال : أى هبت عليها ريح الشمال الباردة فأكسبتها برودة ، والخمر تسوغ وتجود إذا كانت كذلك .

(٤٨) اللثام : ماكان على الفم من فضل العمامة . حدره : أزاله عن موضعه . ويريد بحدره للثام : استعداده للخطابة . حالت : تحولت . ويريد بالمسنونة : الرماح ، وبالنصال : السيوف .

(٤٩) الصواعق : جمع صاعقة وهى نار تسقط من السماء لاتمر على شىء إلا أحرقته . الذبال : جمع ذبالة وهى فتيلة المصباح .

(٥٠) أنفاس الملائكة طاهرة لأنها تمتزج بالصلاة والتسبيح . الشمائل: الطباع ، الواحد: شمال (بالكسر) السلسال : الماء العذب .

(٥١) النساك: جمع ناسك وهو العابد المتزهد المتقشف . الشمم: الإباء والأنفة . الأقيال : جمع قيْل ، وهو الرئيس.

(٥٢) عبير الزهر :ماينبعث من ريح طيبة . الأمواه : المياه .

(٥٣) أحد :جبل معروف ، كانت عنده غزوة عرفت به . الكلال : التعب والإعياء .

(٥٤) يكلؤها : يحفظها ويرعاها . الحجا : العقل . وفى الإدبار والإقبال : أى فى شدته ورخائه .

وَعَقِيْــدَةٌ لَــوْ هُـــزَّتِ الْأَجْبَـــالُ مِنْ ذُعْــرٍ لَمَــا اهْتَــزتْ مَعَ الْأَجْبَــالِ (٥٥)

* * *

دَارُ النِّيَـــابَـــةِ عُـــوجِلَتْ فِى مِـــدْرَهٍ كَـــانَ الـــزَّمَـــانُ بِـــهِ مِنَ الْبُخَّـــالِ (٥٦)

ضُــرِبَتْ بِــهِ الأَمْثَــالُ لَمــاَّ أَنْ غَــدَا فِى دَهْـــرِهِ فَـــرْدًا بِـــلا أَمْثَـــالِ (٥٧)

قَـــدْ كَـــانَ فَيْصَلَهَـــا إِذَا عَجَّتْ بِهـــاَ أُجَجُ الْخِـــلاَفِ وَلَجَّ كُلُّ جِـــدَالِ (٥٨)

يَـــزِنُ الْكَـــلاَمَ كَمــا يُـوَازِنُ صَــيْرَفٌ فِى النَّقْـــدِ مِثْقَـــالاً إِلَى مِثْقَـــالِ (٥٩)

وإِذَا الْحَقِيقَـــةُ أَظْلَمَـــتْ أَسْـــدَالُهَـــا صَـدَعَ الــدُّجَى فَبَدَتْ بِـلاَ أَسْـدَالِ (٦٠)

جَمَعَ الْقُلُـوبَ عَلَـى الْـوِفَـاقِ وَصَـانَـهُ مِنْ وَهْنِ رِعْـدِيدٍ وَطَيْشِ مُغَـالِى (٦١)

لـم يَنْتَقِلْ حَتَّـى تَفَجَّـــرَ نَبْعُـــهُ وَشَفَى النُّفُـــوسَ نَمِيــرُهُ بِــزُلَالِ (٦٢)

عَقَـــدَ الإِلَـــهُ عُـــرَاهُ جَــلَّ جَــلاَلُــهُ أَتُــرَى لِعَقْـــدِ اللهِ مِنْ حَـــلاَّلِ ؟ (٦٣)

* * *

---

(٥٦) عوجلت . أى دهمها الموت فى مدرهها . المدره : زعيم القوم والمتكلم عنهم .

(٥٧) الأمثال (الأولى) : جمع مثل (بالتحريك) وهو القول السائر . وأمثال (الثانية) : جمع مثل (بكسر أوله أو بالتحريك) : وهو الشبيه والنظير .

(٥٨) الفيصل : القاضى يفصل فى الأمور بثاقب رأيه . عجت : اشتدت وثارت . لج الخلاف : قوى وهاج تشبيهًا له بلجج البحر ، وهى معظمه حيث يشتد ماؤه .

(٥٩) الصيرف : الصرّاف .

(٦٠) الأسدال : الستور ترخى فتحجب ماوراءها .

(٦١) الوفاق : الاتحاد بين أبناء مصر على اختلاف أديانهم . صانه : حفظه ووقاه . الوهن : الضعف والخور . الرعديد : الجبان . الطيش : الخرق فى الرأى والشطط فى التقدير .

(٦٢) النبع : عين الماء ، والضمير فيه يعود على الوفاق . النمير : الماء الناجع فى الريّ . الزلال : الماء البارد العذب الصافى .

(٦٣) العرا : جمع عروة ، وهى من الثوب أخت زره . والضمير فى عراه يعود إلى الوفاق .

لَهْفِى عَلَيْـهِ وَهْـوَ رَهْنُ فِـرَاشِـهِ ... مُتَقَـزِّزًا مِـنْ دَائِهِ الْقَتَّـالِ ! (٦٤)

لَهْفِى عَلَى لَيْثِ الْكِنَانَـةِ أُغْمِـدَتْ ... أَظْفَـارُهُ مِنْ بَعْـدِ طُـولِ صِيَـالِ ! (٦٥)

قَنَصَتْ بَنَـاتُ الـدَّهْـرِ وَاحِـدَ دَهْـرِهِ ... وَرَمَتْـهُ مِنْ أَدْوَائِهَـا بِعُضَـالِ (٦٦)

يَـرْنُـو إِلَيْـهِ الْعَـائِدُونَ بِأَعْيُنٍ ... غُـزْرِ الـدُّمُـوعِ كَثِيـرَةِ التَّسْـآلِ (٦٧)

مُتَقَـدِّمِينَ ، تَسُـوقُهُمْ لُمَعُ الْمُنَى ... مُتَـرَاجِعِينَ ، مَخَـافَـةَ الإِعْـوَالِ (٦٨)

وَالْمَـوْتُ يَسْخَـرُ بِـالْحَيَـاةِ وَطِبِّهَـا ... جُهْـدُ الْحَيَـاةِ نِهَايَـةُ الآجَـالِ ! (٦٩)

وَالشَّعْبُ يَسْأَلُ : كَيْفَ سَعْدٌ ؟ مَـالَـهُ ؟ ... وَالنَّـاسُ فِى ذُعْـرٍ وَفِى بَلْبَـالِ (٧٠)

يَفِـدُونَ لِلْبَيْتِ الْكَـرِيـمِ كَأَنَّهُمْ ... زُمَـرُ الْحَجِيجِ تَسِيـرُ فِى أَرْسَـالِ (٧١)

يَفْـدُونَ بِـالنَّفْسِ الـرَّئِيسَ ، وَإِنَّمَـا ... نَفْسُ الـرَّئِيسِ بِقَبْضَـةِ الْمُتَعَـالِى ! (٧٢)

عَـرَفُـوا الْجَمِيلَ ، وَلاتَـزَالُ بَقِيَّـةٌ ... فِى النَّـاسِ لِـلإِحْسَانِ وَالإِجْمَـالِ ! (٧٣)

مَنْ يَشْتَـرِى حُسْنَ الثَّنَـاءِ فَإِنَّمَـا ... بِفِعَـالِـهِ يَشْـرِيـهِ ، لاَ بِـالْمَـالِ (٧٤)

* * *

يَأَيُّهَـا النَّـاعِى ! حَنَـانَكَ ! إِنَّمَـا ... هِىَ أُمَّـةٌ أَضْحَتْ بِغَيْـرِ ثِمَـالِ ! (٧٥)

مَـاذَا تَقُـولُ وَلِلـرَّزِيئَـةِ رَوْعَـةٌ ... تُغْنِى بَـلاَغَتُهَـا عَنِ الأَقْـوَالِ ؟ (٧٦)

---

(٦٤) متقززا : لايقر على حال ولا يستقيم على جنب من تباريح الألم .

(٦٥) إغماد الأظفار فى الليث من مظاهر فتوره وضعف سطوته وانحلال قوته ، ويريد به الموت .

(٦٦) بنات الدهر : نائباته . العضال من الأدواء : المستعصى منها على الشفاء .

(٦٨) لمع المنى : بارقات الرجاء . الإعوال : البكاء مع صوت . يصف العائدين .

(٧٠) البلبال : همّ النفس وما يعتريها من وساوس وأحزان .

(٧١) الزمر : الجماعات . الأرسال : جمع رسل (بالتحريك) . وهو الجماعة من كل شىء .

(٧٣) الإجمال : الإحسان فى الصنع .

(٧٥) الثمال : الغياث الذى يقوم بأمر قومه .

(٧٦) الرزيئة : المصيبة لا قوة على احتمالها .

مَنْ كَـانَ يَـرْثِى أُمَّـةً فِى وَاحِـدٍ تَكْفِيـهِ بَـارِقَـةٌ مِنَ الإِجْمَـالِ (٧٧)
وَإِذا الْبَيَـانُ أَبَى عَلَيْـهِ فَـرِيـدُهُ فَـالـدَّمْعُ فِيـهِ فَـرائِدٌ وَلآلِي (٧٨)

* * *

سَـارَتْ مَطِيَّـةُ نَعْشِـهِ عُجْبًـا بِـهِ تَخْتَـالُ بَيْنَ الـوَخْـدِ وَالإِرْقَـالِ (٧٩)
فِيهـا - كَتَـابُـوتِ الْكَلِيمِ - سَكِينَـةٌ وَبَقِيَّـةٌ مِنْ هَيْبَـةٍ وَجَـلاَلِ (٨٠)
لا تَحْمِلُـوهُ عَلَى الْمَـدَافِعِ إِنَّمـا فَخْـرُ الـزَّعِيمِ قِيَـادَةُ الأَغْـزَالِ (٨١)
أَجْـدِرْ بِمَنْ حَمَلُـوهُ فِى غَـزَوَاتِـهِ أَنْ يَحْمِلُـوهُ عَشِيَّـةَ التَّـرْحَـالِ (٨٢)

* * *

سِيـرُوا عَلَى سَنَنِ الـزَّعِيمِ ، فَإِنَّـهُ سَنَنُ الْهُـدَى وَجَـلاَئِلِ الأَعْمَـالِ (٨٣)
قَـدْ خَطَّ مِنْ أَخْـلاَقِـهِ وَجِهَـادِهِ لِلفِتْيَـةِ السَّـارِيـنَ خَيْـرَ مِثَـالِ (٨٤)
إِنْ كَـانَ لَمْ يَنْجُلْ فإِنَّ لَـهُ بِكُـمْ عَـدَدَ النُّجُـومِ الـزُّهْـرِ مِنْ أَنْجَالِ (٨٥)
لا تَيْـأَسُـوا ، فَلَكَمْ أُبِيـدَتْ قَبْلَكُمْ أُمَـمٌ بِيَأْسٍ قَـاتِـلٍ وَمَـلاَلِ (٨٦)
إِنَّ الشُّعُـوبَ تُصَـابُ فِى أَبْطَـالِهـا وَحَيَـاتُهـا فِى سِيـرَةِ الأَبْطَـالِ ! (٨٧)
هِىَ قُـدْوَةٌ لِلعَـامِلِيـنَ ، وَأُسْـوَةُ الْمُسْتَبْسِلِينَ ، وَقِصَّـةُ الأَطْفَـالِ (٨٨)

---

(٧٧) البارقة : الومضة . الإجمال : الإختصار .

(٧٨) فريد البيان : عزيزه ونادره . الفرائد : الجواهر النفيسة ، الواحدة فريدة .

(٧٩) المطية : الدابة تمتطى ، أى يعتلى مطاها . جعل النعش مطية . الوخد والإرقال : ضربان من السير فيهما سعة خطو .

(٨٠) الكليم : هو موسى عليه السلام . يشير إلى قوله تعالى : « إنَّ آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مماترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة » .

(٨٣) السنن : الطريق .

(٨٥) لم ينجل : لم يعقب ولدا . الزهر : المتلألئة المشرقة .

سَعْـدٌ حَيَـاةٌ فِى الْمَمَـاتِ ، وَقَبْـرُهُ مَهْـدُ الْجِهـادِ وَمَجْـدُ الإِسْتِقْبَـالِ (٨٩)
أَحْـرَى بِمَـنْ وَهَبَ اَلْحَيـاةَ لِقَـوْمِـهِ أَلاَّ تُمَسَّ حَيَـاتُـهُ بِـزَوَالِ (٩٠)

* * *

(٨٩) مهد الجهاد : موطنه ومبعثه .

إبراهيم بطل الشرق

بمناسبة مرور مائة عام على وفاة إبراهيم باشا وإزاحة الستار عن لوحة نقشت على قاعدة تمثاله المقام بميدان الأوبرا بالقاهرة عام ١٩٤٨م .

طُمُوحٌ ! وَإلاَّ مَا صِراعُ الكَتَائِبِ ؟ ... وَعَزْمٌ ! وَإلاَّ فِيمَ حَثُّ الرَّكَائِبِ ؟ (١)
إذا المَجْدُ لَمْ يَتْرُكْ وَرَاءَكَ صَيْحَةً ... مُدَوِّيَةً ، فَالمَجْدُ أوْهَامُ كَاذِبِ (٢)
يَخُوضُ الهُمَامُ العَبْقَرِيُّ بِعَزْمِهِ ... ظَلاَمَ الفَيَافِي فِي ظَلامِ الغَيَاهِبِ (٣)
وَأرْوَعُ مَا تَهفُو لَهُ العَيْنُ رَايَةٌ ... تُدَاعِبُهَا الأرْوَاحُ فِي كَفِّ غَالِبِ (٤)
وَكَمْ بَطَلٍ فِي الأرْضِ غَابَ وَذِكْرُهُ ... يُحَلِّقُ فِي الآفَاقِ لَيْسَ بِغَائِبِ ! (٥)
يُدَوِّنُهُ المِيلادُ بَيْنَ لِدَاتِهِ ... وَيَكْتُبُهُ التَّارِيخُ بَيْنَ الكَوَاكِبِ (٦)
وَمَا مَاتَ مَنْ أبْقَى لِمِصْرَ مَجَادَةً ... تُطَاوِلُ أعْنَانَ السَّمَاءِ بِغَارِبِ (٧)
حَمَاهَا بِعَزْمٍ لَوْرَأتْهُ قَوَاضِبٌ ... لأضْحَى سَنَاهُ حَسْرَةً فِي القَوَاضِبِ (٨)
وَمَنْ مِثْلُ إبْرَاهِيمَ إنْ حَمِيَ الوَغَى ... وَأمْطَرَتِ الأرْضُ السَّمَاءَ بِحَاصِبِ (٩)
صَوَاعِقُ تَلْقَى لِلحُتُوفِ صَوَاعِقًا ... وَسُحْبٌ عَجَاجٌ تَلْتَقِي بِسَحَائِبِ (١٠)

---

(١) الكتائب : الجيوش . حث : حض . الركائب : الفرسان .
(٣) ظلام الفيافى : ظلمة الصحراء الموحشة . ظلام الغياهب : ظلمة المجهول .
(٦) يدونه : يُسجله . لداته : نظائره .
(٧) مجادة : مجدًا تليدا . أعنان السماء : آفاق السماء . بغارب : المقصود الطويل الشامخ .
(٨) قواضب : الأشجار الممتدة الأغصان . سناه : ضوءه .
(٩) حمى الوغى : اشتد القتال . بحاصب : الريح الشديدة تثير الحصباء .
(١٠) صواعق : نار تسقط عليهم من السماء . الحتوف : الموت . عجاج : مليئة بالدخان والغبار .

وَزَمْـزَمَـةٌ تُنْسِى الـرُّعُـودَ هَـزِيمَهَـا وَتَثْقُبُ آذانَ النُّجُـومِ الثَّـوَاقِبِ (١١)
سَلُـوا عَنْـهُ « عَكَّـا » إنَّهَـا إنْ تَكَلَّمَتْ مَعَـاقِلُهَـا حَـدَّثَتْكُمْ بِـالعَجَـائِبِ (١٢)
رَمَـاهَـا بِجَيْشٍ لَـوْ رَمَى مَشْـرِقَ الضُّحَى لَفَـرَّ حَسِيرَ الطَّـرْفِ نَحْوَ المغَـارِبِ (١٣)
رَمَـاهَــا فَتًى لا يَعْـرِفُ الشَّـكَّ رَأْيُـهُ وَيَعْـرِفُ بِـالإلْهَـامِ سِرَّ العَـوَاقِبِ (١٤)
مُمنَّعَــةٌ مَــا رَاضَهَــا عَــزْمُ قَــائِدٍ وَعَـذْرَاءُ لَمْ تَظْفَرْ بِهَـا كَفُّ خَـاطِبِ (١٥)
أتَـاهَـا « بَنُـوبَـارْتٌ » يُدَاوِى نُـدُوبَـهُ وَآبَ يَصُكُّ الـوَجْـهَ صَكَّ النَّـوادِبِ (١٦)
أَتَـاهَــا يَجُـرُّ الـذَّيْلَ فِـى تِيـهِ وَاثِقٍ فَعَـادَ يَجُرُّ الـذَّيْلَ فِى خِزْيِ خَـائِبِ (١٧)
رَآهَـا وَفِى العُنْقُـودِ وَالكَـرْمِ مَـا اشْتَهَى وَأَيْنَ مِنَ العُنْقُـودِ أيْدِى الثَّعَـالِبِ ؟ (١٨)
وَكَمْ وَضَعَتْ مِنْ إصْبَعٍ فَـوْقَ أَنْفِهَــا ! وَكَمْ غَمَزَتْ أَسْـوَارُهَا بِـالحَواجِبِ ! (١٩)
رَأَتْ فَـاتِـحَ الـدُّنْيَـا يَفِـرُّ جَبَـانَـةً وَيُلْقِى عَلَى الأقْـدَارِ نَظْـرَةَ عَـاتِبِ (٢٠)
وَلَكِنَّ إبْـرَاهِيمَ فِى الـرَّوْعِ كَـوْكَبٌ إذا انْقَضَّ فَـالآطَـامُ لُعْبَـةُ لاَعِبِ (٢١)

* * *

---

(١١) وزمزمة : صوت الرعد . هزيمها : صوتها . الثواقب : المضيئة .

(١٢) عكا : مدينة عكا وقد فتحها إبراهيم باشا . معاقلها : حصونها .

(١٣) حسير الطرف : كليل النظر ملهوفًا . المغارب : أى فى جهة الغرب .

(١٤) الشك : الريبة والظن . الإلهام : ما يلقى فى الروح . سر العواقب : ما يؤول إليه آخر الشىء .

(١٥) ممنعة : ممنوعة الفتح على القواد قبله . ماراضها : استعصت على القواد .

(١٦) بونابرت : يقصد نابليون بونابرت حينما أراد فتحها فاستعصت عليه . ندوبه : أثر الجراح . آب : عاد . يصك الوجه : يلطم وجهه . النوادب : النساء الباكيات على الميت .

(١٧) تيه : تكبّر . فى خزى خائب : فى ذل وهوان ولم ينل مطلبه .

(١٨) العنقود : واحد عناقيد العنب . الكرم .. شجر العنب . يشير إلى قصة الثعلب والعنب الشهيرة .

(٢٠) فاتح الدنيا : المقصود نابليون بونابرت . جبانة : خوفا . عاتب : لائم .

(٢١) الروع : القتال . الآطام : السيل المرتفع الأمواج تتكسر بعضها على بعض .

وَيَـوْمَ « نَصِيبِينَ » الَّتِى قَـامَ حَـوْلَهَـا بَنُو التُّرْكِ وَالأَلْمـانُ حُمْرَ المخَالِبِ (٢٢)
عَـلاهَـا فَتَى مِصْـرٍ بِضَـرْبَـةِ فَيْصَلٍ وَلَكِنَّهَـا لِلنَّصْـرِ ضَـرْبَـةُ لازِبِ (٢٣)
فَـرِيعَ لَهَـا البُسْفُـورُ وَارْتُجَّ عَـرْشُـهُ وَصَاحَتْ ذِئَابُ الشَّرِّ مِنْ كُلِّ جَانِبِ (٢٤)
أَبَى الغَـرْبُ أَنْ تَخْتَـالَ لِلشَّرْقِ رَايَـةٌ وَإِنْ يَقِفَ المَسْلُوبُ فِى وَجْهِ سَالِبِ (٢٥)
أَيُدْعَى سَلِيلُ الشَّرْقِ لِلشَّرْقِ غَاصِبًا وَمُغْتَالُهُ فِى الغَرْبِ لَيْسَ بِغَاصِبِ ؟ (٢٦)
سِيـاسَــةُ حِقْـدٍ أَيْـنَ مِنْ نَفَثَـاتِهَـا لُعَابُ الأَفَاعِى أَوْ سُمُومُ العَقَارِبِ ؟ (٢٧)

* * *

حَنَـانَـا لإِبْـرَاهِيمَ لاَقَـى كَتَـائِبًـا مِنَ الكَيْدِ لَمْ تَعْرِفْ نِضَالَ الكَتَائِبِ (٢٨)
غَـزَوْهُ بِجَيْشٍ بِـالـدَّهَـاءِ مُحَـارِبٍ وَلَكِنَّـهُ بِـالسَّيْفِ غَيْـرُ مُحَـارِبِ (٢٩)
فَمَـا لَيَّنُـوا مِنْـهُ قَنَـاةً صَلِيبَـةً وَلا كَـدَّرُوا مِنْ صَفْوِ تِلْكَ المَنَـاقِبِ (٣٠)

* * *

عَـرَفْنَـا لِحَـامِى القِبْلَتَيْنِ جِهَـادَهُ وَكَمْ هَـانَ مَطْلُوبٌ لِعِـزَّةِ طَـالِبِ (٣١)
لَـهُ العُـرْبُ أَلْقَتْ فِى إِبـاءٍ زِمَـامَهَـا وَكَـانَـتْ سَرابًا لا يُنَـالُ لِشَارِبِ (٣٢)

---

(٢٢) نصيبين : معركة انتصر فيها إبراهيم باشا . حمر المخالب : صُبغت أيديهم باللون الأحمر وهو لون الدماء .

(٢٣) علاها : استولى عليها . فتى مصر : إبراهيم باشا . بضربة فيصل : بضربة قوية مسددة فى إتقان . لازب : ثابت .

(٢٤) ريع لها : خاف واهتز . البوسفور : كناية عن تركيا . ارتج عرشه : اهتز ملكه .

(٢٥) أبى : رفض . الغرب : كناية عن دول أوربا الغربية . المسلوب : المسروق . سالب : المختلس .

(٢٦) سليل الشرق : ابن الشرق والمقصود إبراهيم باشا. غاصبا : آخذا للشىء ظلمًا . مغتاله : قاتله خدعة .

(٢٧) نفثاتها : ما ينفثه الشخص من فيه .

(٣٠) لينوا : جعلوه لينا . قناة صلبية : رمحًا شديدا لا يلين . المناقب : الصفات الحسنة .

(٣١) حامى القبلتين : لقب لقّب به إبراهيم باشا والمقصود المسجد الحرام والمسجد الأقصى .

(٣٢) إباء : عزة . زمامها : قيادتها . سرابا : ما يرى فى منتصف النهار على أنه ماء فى الصحراء وليس بماء .

فَـــوَحَّـــدَهَــــا فِـــى دَوْلَـــةٍ عَـــرَبِيَّـــةٍ   تُـزَاحِمُ فِى رَكْبِ العُـلاَ بِالْمَنَـاكِبِ (٣٣)
يَقُـولُـونَ قِفْ بِـالْجَيْشِ مَـاذَا تُـرِيـدُهُ ؟   وَمَـاذَا تُـرَجِّى مِنْ وَرَاءِ السَّبـاسِبِ ؟ (٣٤)
فَقَــالَ إِلَى أَنْ تَنْتَهِـى « الضَّــادُ » أَنْتَهِى   وَحَيْثُ تَسِيـرُ العُرْبُ تَسْرِى نَجَـائِبِى (٣٥)
لَقَــدْ زُهِيَتْ مِصْــرٌ بِبَــاعِثِ شَعْبِهَــا   لِكَسْبِ المَعَـالِى وَاقْتِنَـاءِ الرَّغَـائِبِ (٣٦)
وَكَمْ كَتَـبَ التَّــارِيخُ لابْـنِ مُحَمَّــدٍ   خَـوَالِـدَ ، وَالتَّـارِيخُ أَصْـدَقُ كَـاتِبِ (٣٧)
وَكَمْ صَـــانَ مِصْــرًا مِنْ بَنِيـــهِ مُمَلَّكٌ   بَعِيـدُ مَنَـالِ العَــزْمِ جَمُّ المَطَـالِبِ (٣٨)
شَمَــائِلُ « فَــاروقٍ » وعِــزَّةُ مُلْكِــهِ   تَـزِيـدُ جَلالاً فِى جَـلاَلِ المَنَـاسِبِ (٣٩)

---

(٣٣) المناكب : عظم العضد والكتف .
(٣٤) ترجى : تأمل . السباسب : الأرض المستوية أو المفازة .
(٣٥) « الضاد »:لغة الضاد أى اللغة العربية . نجائبى : الركائب التى يركبها الجيش .
(٣٦) زهيت : افتخرت . الرغائب : الشىء المرغوب .
(٣٧) « محمد »:محمد على باشا . خوالد : الدائمة البقاء .
(٣٨) بعيد منال العزم : قوى العزيمة . جم : كثير .
(٣٩) شمائل : الصفات . فاروق : آخر ملوك مصر .

الحُبُّ والحَرْبُ (*)

سنة ١٩١٦م

مَــــالِى فُتِنْتُ بِلَحْظِكِ الْفَتَّـــاكِ وَسَلَـــوْتُ كُلَّ مَلِيحَـــةٍ إِلاَّكِ ؟ (١)

يُسْــرَاكِ قَــدْ مَلَكَتْ زِمَــامَ صَبَـابَتِى ومَضَلَّتِى وَهُـــدَاىَ فِى يُمْنَـــاكِ (٢)

فَـإِذَا وَصَلْتِ ، فَكُـلُّ شَـىْءٍ بَـــاسِمٌ وَإِذَا هَجَــرْتِ ، فَكُلُّ شَىْءٍ بَــاكِى (٣)

هَـــذَا دَمِى فِـى وَجْنَتَيْكِ عَــرَفْتُـــهُ لا تَسْتَطِيعُ جُحُـــودَهُ عَيْنَـــاكِ ! (٤)

لَــوْ لَـمْ أَخَفْ حَـرَّ الْهَـــوَى وَلَهِيبَـــهُ لَجَعَلْتُ بَيْـنَ جَــوَانِحِى مَثْــوَاكِ (٥)

إِنِّى أَغَــــارُ مِنَ الْكُـــؤُوسِ فَجَنِّبِى كَــأْسَ الْمُـــدَامَـــةِ أَنْ تُقَبِّلَ فَــاكِ (٦)

خَـدَعَتْكِ مَـا عَـذُبَ السُّــلافُ وَإِنَّمَـا قَــدْ ذُقْتِ لَمَّــا ذُقْتِ حُلْــوَ لَمَـاكِ (٧)

لَكِ مِـنْ شَبَــابِكِ أَوْ دَلالِـكِ نَشْــوَةٌ سَحَــرَ الأَنَـــامَ بِفِعْلِهَــا عِطْفَــاكِ (٨)

* * *

قَـــالَتْ خَلِيلَتُهَـــا لَهَـــا لِتُلِينَهَـــا مَــاذَا جَنَـى لَمَّــا هَجَــرْتِ فَتَـاكِ (٩)

هِـىَ نَظْـــرَةٌ لاقَتْ بِعَيْنِـكِ مِثْلَهَـــا مَــا كَـــانَ أَغْنَـــاهُ وَمَــا أَغْنَـاكِ ! (١٠)

(*) غنت السيدة أم كلثوم ثمانية الأبيات الأولى من هذه القصيدة فى أوائل العشرينيات بعد أن قام بتلحينها الفنان الدكتور أحمد صبرى النجريدى .

(٧) فاعل خدع ضمير مستتر يعود على المدامة وما نافية . السلاف : الخمر .اللمى مثلثه اللام : سمرة مستحسنة فى باطن الشفة ، والمراد الشفة نفسها .

(٨) النشوة : السكر . سحر : استمال وجذب . الأنام : جميع الخلق . العطف : الجانب .

قَــدْ كَــانَ أَرْسَلَهَــا لِصَيْــدِكِ لاَهِيًــا | فَفَـرَرْتِ مِنْـهُ وَعَـادَ فِـى الأَشْـرَاكِ (١١)
عَهْـدِى بِــهِ لَبِقَ الْحَــدِيثِ فَمَــالَــهُ | لا يَسْتَطِيعُ الْقَــوْلَ حِينَ يَــرَاكِ ؟ (١٢)
إِيَّـــاكِ أَنْ تَقْضِى عَلَيْـــهِ ،فَإِنَّـــهُ | عَــرَفَ الحَيَــاةَ بِحُبِّــهِ إِيَّــاكِ (١٣)
إِنَّ الشَّبَـــابَ وَدِيعَـــةٌ مَـــرْدُودَةٌ | وَالـزُّهْــدُ فِيـهِ تَـزَمُّـتُ النُّسَّـاكِ (١٤)
فَتَشَمَّمِى وَرْدَ الْحَيَــاةِ فَإِنَّـــهُ | يَمْضِى وَلا يَبْقَى سِــوَى الأَشْـوَاكِ (١٥)
لَمْ تُنْصِتـى ، وَمَشَيْتِ غَيْــرَ مُجِيبَــةٍ | حَتَّى كَــأَنَّ حَـدِيثَهـا لِسِــواكِ (١٦)
وَبَكَتْ عَلَىَّ ، فَمــا رَحِمْتِ بُكــاءَهــا | مَـا كَــانَ أَعْطَفَهَـا ، وَمَــا أَقْسَاكِ ! (١٧)

* * *

عَطَفَتْ عَلَـىَّ النَّيِّــرَاتُ وَسَـــاءَلَتْ | مَــذْعُــورَةً قَمَــرَ السَّمَــاءِ أَخَــاكِ (١٨)
قَــالَتْ نَــرَى شَبَحًـا يَــرُوحُ وَيَغْتَــدِى | وَيَبُثُّ فِى الأَكْـوانِ لَــوْعَـةَ شَـاكِى (١٩)
أَنَّـــاتُ مَجْـــرُوحٍ يُعَــالِجُ سَهْمَـــهُ | وَزَفِيــرُ مَأْسُـورٍ بِغَيْــرِ فَكَــاكِ (٢٠)
يَقْضِى سَــوَادَ اللَّيْلِ غَيْــرَ مُــوَسَّــدٍ | عَيْـنٌ مُسَهَّـــدَةٌ ، وَقَلْبٌ ذَاكِــى (٢١)
حَتَّى إِذَا مَــا الصُّــبْحُ جَــرَّدَ نَصْلَــهُ | أَلْفَيْتَــهُ جِسْمًــا بِغَيْـرِ حَـــرَاكِ (٢٢)
إِنَّــا نَكَـــادُ أَسًى عَلَيْـــهِ وَرَحْمَـــةً | لِشَبَـابِـهِ ، نَهْـوِى مِنَ الأَفْـلاكِ (٢٣)
مِنْ عَهْـــدِ قَـــابِيـلٍ وَلَيْسَ أَمَـــامَنَــا | فِى الأَرْضِ غَيْـرُ تَشَـاكُسٍ وَعِراكِ (٢٤)
مَــا بَيْـنَ فَــاتِكَــةٍ تَصُــولُ بِقَــدِّهَــا | وَفَتًى يَصُــولُ بِــرُمْحِــهِ فَتَّــاكِ (٢٥)

* * *

(١٨) النيرات : النجوم المضيئة .

(٢١) وسده الوساد : جعله يتكيء عليه . الوساد : المتكأ أو المخدة . ومعنى غير موسد أنه قلق لا يستقر على فراش . مسهدة : مؤرقة ساهرة . ذاكِ : مشتعل متوقد .

(٢٤) العهد : الزمان . قابيل وهابيل : ابنا آدم عليه السلام قرّب كل منهما إلى الله قربانًا فتقبل من هابيل ولم يتقبل من قابيل فحنق على أخيه وقتله . وقصتهما فى القرآن الكريم : سورة المائدة . الآيات ٢٧-٣١ . التشاكس : الاختلاف والشقاق . العراك : القتال .

يَا أرْضُ وَيْحَكِ قَدْ رَوِيتِ فَأَسْئِرِي وَكَفَاكِ مِنْ تِلْكَ الدِّمَاءِ كَفَاكِ ! (٢٦)

فِي كُلِّ رَبْعٍ مِنْ رُبُوعِكِ مَأْتَمٌ وَثَوَاكِلٌ وَنَوَادِبٌ وَبَوَاكِي (٢٧)

قَدْ قَامَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِيكِ وَدَبَّرُوا بَرِئَتْ يَدِى مِنْ إِثْمِهِمْ وَيَدَاكِ ! (٢٨)

كَاشَفْتِهِمْ سِرَّ الْعَنَاصِرِ فَانْبَرَوْا يَتَخَيَّرُونَ أَمَضَّهَا لِرَدَاكِ (٢٩)

نَثَرُوا كِنَانَتَهُمْ ، وَكُلَّ سِهَامِهَا لِلْفَتْكِ وَالتَّدْمِيرِ وَالْإِهْلَاكِ (٣٠)

دَخَلُوا عَلَى الْعِقْبَانِ فِي أَوْكَارِهَا وَتَسَرَّبُوا لِمَسَابِحِ الْأَسْمَاكِ (٣١)

فَتَأَمَّلِي ، هَلْ فِي تُخُومِكِ مَأْمَنٌ؟ أَمْ هَلْ هُنَالِكَ مَعْقِلٌ بِذُرَاكِ ؟ (٣٢)

ظَهْرُ اللُّيُوثِ وَذَاكَ أَصْعَبُ مَرْكَبٍ أَوْفَى وَأَكْرَمُ مِنْ أَدِيمِ ثَرَاكِ (٣٣)

لَيْتَ الْبِحَارَ طَغَتْ عَلَيْكِ وَسُجِّرَتْ أَوْ أَنَّ مَنْ يَطْوِى السَّمَاءَ طَوَاكِ ! (٣٤)

* * *

---

(٢٦) ويح : كلمة رحمة . روى من الماء : يروى ريا . والسؤر : البقية والفضلة . أسأر : أبقى في الإناء بعد شربه بقية .

(٢٧) الربع : المنزل ومحلة القوم . المأتم : المناحة . الثواكل : جمع ثاكل وهي المرأة التي فقدت ولدها . النوادب : جمع نادبة وهي المرأة التي تندب الميت أي تعدد محاسنه .

(٢٩) العناصر : الأصول ، والمراد بسرها خواصها وصفاتها . انبرى للشيء : تجرّد له .

(٣٠) الكنانة : جعبة من الجلد توضع فيها السهام ، ونثر الكنانة إنما يكون لاختيار أصلب السهام وأعظمها تأثيرا . الفتك : البطش والقتل على غفلة . التدمير : الإهلاك .

(٣١) العقبان : جمع عقاب وهو من جوارح الطير . الأوكار : جمع وكر وهو عش الطائر . التسرب : الدخول في السرب وهو الحجر أو البيت في الأرض .

(٣٢) التخوم : معالم الأرض وحدودها مفردها تخم . المعقل : الملجأ . الذرا : جمع ذروة وهي من كل شيء أعلاه .

(٣٣) الليوث : جمع ليث وهو الأسد . الأديم : ظهر الأرض . الثرى : التراب الندىّ .

(٣٤) طغى البحر : هاجت أمواجه وارتفعت وزادت مياهه حتى جاوزت الحد ، وطغيان البحر على الأرض إغراقها . سجرت : زيد اضطرابها وغليانها . والشاعر يشير بالشطر الثاني من هذا البيت إلى الآية القرآنية الكريمة ﴿ يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب ، كما بدأنا أول خلق نعيده ، وعدًا علينا إنا كنا فاعلين ﴾ (١٠٤ سورة الأنبياء) .

لَمْ يَبْقَ فِى الْإِنْسَانِ غَيْرُ ذَمَائِهِ فَدَرَاكِ يَا رَبَّ السَّمَاءِ دَرَاكِ ! (٣٥)
وَإِذَا النُّفُوسُ تَفَرَّقَتْ نَزَعَاتُها قَامَتْ إِذَا قَامَتْ بِغَيْرِ مَسَاكِ (٣٦)
والسَّيْفُ أَظْلَمُ مَا فَزِعْتَ لِحُكْمِهِ وَالْحَزْمُ خَيْرُ شَمَائِلِ الْأَمْلاكِ (٣٧)
وَمِنَ الدِّمَاءِ طَهَارَةٌ وَعَدَالَةٌ وَمِنَ الدِّمَاءِ جِنَايَةُ السُّفَّاكِ (٣٨)
وَالْعِلْمُ مِيزَانُ الْحَيَاةِ فَإِنْ هَوَى هَوَتِ الْحَيَاةُ لأَسْفَلِ الأَدْرَاكِ (٣٩)

---

(٣٥) الذماء : بقية النفس . دراك : أدرك .

(٣٦) النزعات : المذاهب والميول . المساك : الموضع الذى يمسك به الماء ويراد به هنا الحائل الذى يقف فى وجه الميول الشريرة والأطماع المبيدة .

(٣٧) فزع إليه : لجأ إليه عند الفزع وهو الخوف . الحزم : ضبط الأمر والأخذ فيه بالثقة ، وحزم فلان رأيه أتقنه . الشمائل : الأخلاق والطباع ، مفردها شمال . الأملاك: جمع مَلك .

(٣٨) السفاك: جمع سافك ، اسم فاعل من سفك الدم بمعنى أراقه .

رشـــــيد

غـاب الشاعـر عن بلـده رشيد مـدة طـويلة ، فأنشأ هـذه القصيـدة عام ١٩٤١م يشيـد فيهـا بجمـالها وبمجـدهـا القـديم ، ويتألم لانتشـار داء الفيل فيهـا ، ويحث أهلهـا على استئصاله :

جَــدِّدِي يَــا رَشِيــدُ لِلْحُبِّ عَهْــدَا ... حَسْبُنَــا حَسْبُنَــا مِطَــالاً وَصَــدًّا (١)

جَــدِّدِي يَــا مَــدِينَــةَ السِّحْــرِ أحْــلا ... مــاً ، وَعَيْشــاً طَلْقَ الأَسَـارِيـرِ رَغْـدا (٢)

جَــدِّدِي لَمْحَــةً مَضَتْ مِنْ شَبَــابٍ ... مِثْلَ زَهْــرِ الــرُّبَــا يَـرِفُّ وَيَنْـدَى (٣)

وَابْعَثِي صَحْــوَةً أغَــارَ عَلَيْهَــا الشَّــ ... ـيْبُ ، حَتَّـى غَـدَتْ عَنَـاءً وَسُهْـدا (٤)

وَتَعَــالَـيْ نَعِيشُ فِـي جَنَّــةِ المَــا ... ضِي ، إذَا لَمْ نَجِـدْ مِنَ العَيْشِ بُـدّا (٥)

ذِكْــرَيَاتٌ ، لَــوْ كَـانَ لِلــدَّهْـرِ عِقْــدٌ ... كُنَّ فِي جِيـدِ سَـالِفِ الـدَّهْـرِ عِقْـدَا (٦)

ذِكْــرَيَــاتٌ مَضَتْ كَــأَحْــلامٍ وَصْلٍ ... وَسُــــــدًى نَسْتَطِيعُ لِلْحُلْـمِ رَدَّا (٧)

قَــدْ رَشَفْنَــا مَخْتُــومَهُـنَّ سُـلافَــا ... وَشَمَمْنَــا رَيّــا شَــذَاهُـنَّ نَــدّا (٨)

---

(١) حسبنا : كفانا . مطالا : تطويلا وتسويفا . صدا : إعراضًا .

(٢) طلق : غير مقيد . الأسارير : قسمات الوجه . رغدا : واسعًا طيبا .

(٣) يرف : يتحرك وينتشر . يندى : يجود .

(٤) صحوة : تنبيه وإفاقة . أغار : هجم . عناء : تعبا . سهدا : سهرا .

(٦) جيد : العنق . سالف : الماضي .

(٧) سدى : هيهات .

(٨) مختومهن : أواخرهن . سلافا : خمـر . ريا : هو الارتواء بالماء . شذاهن : رائحتهن الزكية الفوّاحة . ندا : الرائحة الطيبة .

وَالْهَــوَى أمْــرَدُ المُحَيَّــا يُنَــاغِي فِتْيَــةً تُشْبِــهُ الــدَّنَــانِيــرَ مُــرْدَا (٩)
عَبِثُــوا سَــادِرِينَ ، فَــالْجِــدُّ هَــزْلٌ ثُمَّ جَــدُّوا ، فَصَيَّــرُوا الهَـزْلَ جِــدّا (١٠)
وَيْحَ نَفْسِي ، أفْــدِي الشَّبــابَ بِنَفْسِي وَجَــدِيــرٌ بِمِثْلِــهِ أنْ يُفَــدَّى (١١)
إنْ عَــدَدْنَــا لِيَــوْمِــهِ حَسَنَــاتٍ شَغَلَتْنَــا مَسَــاوِئُ الشَّيْبِ عَــدّا (١٢)
جَــذْوَةٌ لِلشَّبَــابِ كَــانَتْ نَعِيمًــا وَسَــلامًــا عَلَى الفُــؤادِ وَبَــرْدا (١٣)
قَــدْ بَكَيْنَــاهُ حِينَ زَالَ لأنّــا قَــدْ جَهِلْنَــا مِنْ حَقِّــهِ مَــا يُــؤَدّى (١٤)
وَقَتَلْنَــاهُ بِــالــوَقَــارِ ضَــلالاً وَهْــوَ مَــا جَــارَ مَــرّةً أوْ تَعَــدَّى (١٥)
مَــا عَلَيْهِمْ إنْ هَــامَ عَمْــرُو بِهِنْــدٍ أوْ شَــدَا شَــاعِــرٌ بِــأَيَّامِ سُعْــدَى !؟ (١٦)
شُغِفَ النَّــاسُ بِــالفُضُــولِ وَبِــالْحِقْــدِ ، فَإِنْ تَلْــقَ نِعْمَــةً تَلْقَ حِقْــدَا (١٧)

* * *

أَرَشِيــدُ ، وَأَنْتِ جَنَّــةُ خُلْــدٍ لَــوْ أتَــاحَ الإلــهُ فِي الأرْضِ خُلْــدَا (١٨)
حِينَ سَمَّــوْكِ « وَرْدَةً » زُهِيَ الحُسْــنُ ، وَوَدَّ الخُــدُودُ لَــوْ كُنَّ وَرْدَا (١٩)
تَــوَّجَتْ رَأْسَكِ الــرِّمَــالُ بِتِبْــرٍ وَجَـرَى النِّيلُ تَحْـتَ رِجْلَيْكِ شَهْـدَا (٢٠)
وَأَحَــاطَتْ بِكِ الخمَــائِلُ زُهْــرًا كُلُّ قَــدٍّ فِيهَــا يُعَــانِقُ قَــدّا (٢١)
وَالنَّخِيـلُ النَّخِيلُ ! أرْخَـتْ شُعُــورًا مُــرْسَلاتٍ ، وَمَــدَّتِ الظِّلَّ مَــدّا (٢٢)
كَــالْعَذَارَى يَــدْنُــو بِهَــا الشَّــوْقُ قُــرْبًــا ثُمَّ تَنَــأَى مَخَــافَــةَ اللَّــوْمِ بُعْــدَا (٢٣)

---

(٩) أمرد : الغلام ليس في وجهه شعر . المحيا : الوجه . الدنانير : في استدارة الوجه ولونها الأحمر .
(١٠) سادرين : غير مبالين ولا مهتمين .
(١٣) جذوة : جمرة من نار . الفؤاد : القلب .
(١٥) جار : ما زاد عن حده أو ما مال عن قصده .
(١٦) هام : شغف . عمرو : رجل كان رمزًا في أشعار العرب وهند كذلك وسعدى كذلك .
(٢١) قد : القوام . (٢٣) تنأى : تبعد .

حَـــوْلَ أَجْيَــادِهَـــا عُقُـــودُ عَقِيقٍ وَنُضَـــارٍ ، صَفَـــاؤُهُ لَيْسَ يَصْـــدَا (٢٤)
يَـــا ابْنَـــةَ اليَمِّ لا تُـــرَاعِى فَإِنّى قَـــدْ رَأَيْـتُ الأُمُــورَ جَــزْرًا وَمَــدًّا (٢٥)
قَــدْ يَعُـودُ الــزَّمَــانُ صَفْــوًا كَمَـا كَـا نَ ، وَيُمْسِى وَعِيـدُهُ المُـرُّ وَعْــدَا (٢٦)
كُنْتِ مُــذْ كُنْتِ وَاللَّيَــالِى جَــوَارِيـــ ــكِ ، وَكَـانَ الزَّمَـانُ حَـوْلَكِ عَبْدَا (٢٧)
كُلَّمَـــا هَــامَتْ الظُّنُــونُ بِمَــاضِيــ ــكِ رَأَتْ عَــزْمَـةً وَأَبْصَــرْنَ مَجْـدَا (٢٨)
بِـكِ أَهْلِى ، وَفِيـكِ مَلْهَى شَبَــــابِى وَلَكَمْ فِيـكِ لِى مَــــرَاحٌ وَمَغْــدَى (٢٩)
لَــوْ أَصَـــابَتْكِ مَسَّـــةُ الــرِّيحِ ثَــارَتْ بِفُــؤَادِى عَـــوَاصِفٌ لَيْسَ تَهْـــدَا (٣٠)
أَنَـــا مِنْ تُـــرْبِكِ النَّقِىِّ وشِعْـــرِى نَفَحَـاتٌ مِنْ وَحْيِ قُـدْسِكِ تُهْـدَى (٣١)
كُنْتُ أَشْـــدُو بِـهِ مَعَ النَّـــاسِ طِفْــلاً فَتَسَامَى فَصِرْتُ فِـى النَّـاسِ فَـرْدَا (٣٢)
مِنْ رَزَايَـــا النُّبُـــوغِ أَنَّـكَ لا تَلْـــ ـــقَى أَنِيسًـــا ، وَلاَ تَـــرَى لَكَ نِـدًّا (٣٣)
قَــدْ جَــزَيْنَــاكِ بِـــالحَنَـانِ حَنَــانًــا وَجَــزَيْنَـــا عَنْ خَـــالِصِ الــوُدِّ وُدَّا (٣٤)
لَيْتَ لِـى بَعْـــدَ عَـــودَتِى فِيـكِ قَبْــرًا مِثْلَمَـــا كُنْتِ مَنْبِتًـــا لِى وَمَهْـــدَا (٣٥)

* * *

(٢٤) أجيادها : أعناقها . عقود عقيق : قلائد من الأحجار الكريمة . نضار : ذهب . يصدا : يصيبه الصدأ . يشبه نخل البلح الزغلول الأحمر اللون بعقود العقيق ونخيل البلح السمانى الأصفر اللون بلون الذهب .

(٢٥) ابنة اليم : لأن النيل شرقها والبحر المتوسط شمالها . تراعى : تخافى . جزرًا ومدا : رجوع ماء البحر إلى الخلف ثم تقدمه إلى الشاطئ .

(٢٦) صفوا : صافيا خالصًا .

(٢٨) هامت : أولعت . الظنون : التردد والشك .

(٢٩) مراح : مكان للراحة . مغدى : عودة .

(٣٠) مسة الريح : لمسة الهواء .

(٣١) وحى قدسك : إلهام طهرك .

(٣٢) تسامى : ارتفع وعلا .

(٣٣) رزايا : مصائب . أنيسا : أحد يؤنس وحدتك . ندا : نظيرًا .

(٣٤) جزيناك : كافأناك .

أَصَحِيحٌ أَنَّ الخُطُــوبَ أَصَــابَتْــــ ـــكِ ، وَأَنَّ الأَمْرَاضَ هَــدَّتْكِ هَــدًّا ؟ (٣٦)
وَغَـــدَا « الفِيلُ » فِيكِ دَاءً وَبِيـــلاً نَـافِثًــا سُمَّــهُ مُغِيــرًا مُجِــدًّا ؟ (٣٧)
كَمْ رَأَيْنَــا مِنْ عَــامِلٍ هَــدَّهُ الــدَّا ءُ ، وَأَرْدَاهُ وَقْعُـــــهُ فَتَـــرَدَّى (٣٨)
كَـــانَ يَسْعَى وَرَاءَ لُقْمَـــةِ خُبْـــزٍ وَلَكَمْ جَــدَّ فِـى الحَيَــاةِ وَكَــدَّا (٣٩)
فَغَـــدَا كَــالصَّـــرِيعِ يَلْتَمِسُ الْجُهْـــ ـــدَ لِيَحْيَــا بِــهِ فَلَمْ يَلْـقَ جُهْــدَا (٤٠)
إِنْ مَشَى يَمْشِ بَــائِسًــا مُسْتَكِينًــا كَـأَسِيـرٍ يَجُـرُّ فِى الــرِّجْلِ قِـدًّا (٤١)
خَلْفَــهُ مِنْ بَنِيــهِ أَنْضَــاءُ جُــوعٍ وَهْــوَ لاَ يَسْتَطِيعُ لِلْجُــوعِ سَــدًّا (٤٢)
كُلَّمَـــا مَـــدَّ كَفَّــــهُ لِسُـــؤَالٍ أَشْبَعَتْهــا اللِّئَــامُ نَهْــرًا وَطَــرْدًا (٤٣)
أَمِـنَ الحَقِّ أَنْ نَعِيشَ بِطَــانًـــا وَيَجُــوعَ العَلِيلُ فِينَــا وَيَصْــدَى ؟ (٤٤)

* * *

وَلَكَــمْ تَلْمَــحُ العُيُـــونُ فَتَـــاةً مِثْلَ بَــدْرِ السَّمَــاءِ لَمَّــا تَبَـدَّى (٤٥)
هِـىَ مِنْ نَغْمَـــةِ البَشَـــائِرِ أَحْلَـى وَهْىَ مِنْ نَضْـرَةِ الأَزَاهِـرِ أَنْـدَى (٤٦)
تَتَمَنَّى الغُصُـــونُ لَـــوْ كُنَّ قَـــدًّا حِينَ مَـاسَتْ ، وَالوَرْدُ لَـوْ كَانَ خَــدًّا (٤٧)
حَــوَّمَتْ حَـوْلَهَــا القُلُــوبُ فَـرَاشًــا وَمَشَتْ خَلْفَهَـا الصَّــوَاحِبُ جُنْـدَا (٤٨)
وَارْتَـدَتْ بِــالْخِمَـارِ فَــاخْتَبَأَ الحُسْـــ ـــنُ ، يُثِيرُ الشُّجُــونَ لَمَّـا تَـرَدَّى (٤٩)

---

(٣٧) الفيل : داء الفيل الذى يؤدى إلى ورم الأطراف ويجعل الإنسان عاجزًا عن المشى .
(٤١) قدا : سير من الجلد غير مدبوغ والمقصود هنا القيد .
(٤٢) أنضاء : جمع نضو وهو المهزول .
(٤٤) بطانا : شباعا . يصدى : يعطش .
(٤٦) نغمة البشائر : التبشير بالخير بصوت حسن .
(٤٧) قدا : قواما . ماست : تتبختر .
(٤٩) تردى : سقط .

لَعِبَتْ بِالنُّهَى فَأَصْبَحَ غَيًّا … كُلُّ رُشْدٍ ، وَأَصْبَحَ الغَيُّ رُشْدَا (٥٠)

حَسَدَ الدَّهْرُ حُسْنَهَا فَرَمَاهَا … بِسِهَامٍ مِنَ الكَوَارِثِ عَمْدَا (٥١)

طَرَقَتْهَا الحُمَّى الخَبِيثَةُ تَرْمِي … بِشُوَاظٍ ، يَزِيدُهُ اللَّيْلُ وَقْدَا (٥٢)

رَوْضَةٌ مِنْ مَحَاسِنٍ غَالَهَا الإعْـ … ـصَارُ حَتَّى غَدَتْ خَمَائِلَ جُرْدَا (٥٣)

حَلَّ دَاءُ الفِيلِ العُضَالُ بِرِجْلَيْـ … ـهَا ، وَأَلْقَى أَثْقَالَهُ وَاسْتَبَدَّا (٥٤)

كَمْ بَكَتْ أُمُّهَا عَلَيْهَا فَمَا أَغْـ … ـنَى نُوَاحٌ ، وَلاَ التَّحَسُّرُ أَجْدَى (٥٥)

وَيْحَهَا ، أَيْنَ سِحْرُهَا ؟ أَيْنَ صَارَتْ ؟ … أَيْنَ وَلَّى جَمَالُهَا ؟ أَيْنَ نَدَّا ؟ (٥٦)

أَيْنَ أَيْنَ ابْتِسَامُهَا ؟ ذَهَبَ الأُنْـ … ـسُ ، وَمَالَ الزَّمَانُ عَنْهَا وَصَدَّا (٥٧)

أَيْنَ فَتْكُ العُيُونِ ؟ لَمْ يَتْرُكِ الدَّهْـ … ـرُ سُيُوفًا لَهَا ، وَلَمْ يُبْقِ غِمْدَا (٥٨)

أَيْنَ خَلْخَالُهَا ؟ لَقَدْ خَلَعَتْهُ … وَهْيَ تَبْكِي أَسًى وَتَنْفُثُ صَهْدَا (٥٩)

طَارَ خُطَّابُهَا فَلَمْ يَبْقَ فَرْدٌ … وَتَوَلَّى حَشْدٌ يُحَذِّرُ حَشْدَا (٦٠)

لَسَعَتْهَا بَعُوضَةٌ سَكَنَتْ بِئْـ … ـرًا ، وَقَدْ كَانَ جِسْمُهَا مُسْتَعِدَّا (٦١)

إِنَّ هَذَا البَعُوضَ أَهْلَكَ « نُمْرُو … ذَ » وَأَفْنَى مَا لا يُعَدُّ وَأَعْدَى (٦٢)

فَاحْذَرُوهُ فَإِنَّهُ شَرُّ خَصْمٍ … وَتَصَدُّوا لِحَزْبِهِ إِنْ تَصَدَّى (٦٣)

---

(٥٠) النهى : العقل . غيا : ضلالا . رشد : هداية .

(٥٢) شواظ : لهب لا دخان فيه . وقدا : اتقادا واشتعالا .

(٥٣) جردا : جرداء .

(٥٦) ندا : بعد – ذهب .

(٥٩) تنفث : تنفخ . صهدا : حرارة شديدة .

(٦١) سكنت بئرا : يشير إلى توالد البعوض الناقل للمرض فى الآبار التى كان يستعملها أهل رشيد للشرب .

(٦٢) نمروذ : ملك جبار فى عهد سيدنا إبراهيم عليه السلام كان يدّعى الألوهية وجادله سيدنا إبراهيم فأفحمه وأخيرًا أهلكه الله ببعوضة صغيرة . أعدى : جار – تجاوز الحد – زاد .

جَـــرِّدُوا حَمْلَـــةً عَلَى الفِيلِ أَنْجَـــا دًا كِـــرَامًا ، وَمَـــزِّقُـــوا الفِيلَ أُسْـــدًا (٦٤)
أَرَشِيـــــدٌ دُونَ المَـــــدَائِنِ تَبْقَـى مُسْـــــتَرَاضًا لِكُــــلِّ دَاءٍ وَوِرْدًا ؟(٦٥)
يَفْتِكُ السُّـمُّ فِى بَنِيهَـــا فَـــلاَ تَـــرْ فَعُ كَفًّـــا ، وَلاَ تُحَـــرِّكُ زَنْـــدًا ؟ (٦٦)
ثُـمَّ تُلْقِى السِّـــلاحَ إِلْقَـــاءَ ذُلٍّ وَالجَـــرَاثِيمُ حَـــوْلَهَـا تَتَحَـــدَّى (٦٧)
يَـــا لَعَـــارِى ! فَلَيْتَ لِى بَيْـنَ قَـــوْمِى بَطَـــلاً يَكْشِفُ الشَّـــدَائِدَ جَلْـــدًا (٦٨)
ظَمِئَ الشِّـــعْرُ لِلثَّنَـــاءِ ، فَهَـــلْ آ نَ لَـــهُ أَنْ يَفِيضَ شُكْـــرًا وَحَمْـــدًا ؟ (٦٩)

---

(٦٤) أنجادا : معاونين مغيثين .

(٦٥) مستراضا : مرتعا ومتسعا . وردا : موردا .

(٦٦) زندا : المقصود الذراع .

(٦٨) جلدا : صلبا قويا .

الأعمى

أقامت جمعية رعاية العميان بمصر فى ١٥ من أبريل سنة ١٩٣٧م حفلة بدار الأوبرا، لحضّ المحسنين على مدّ يد الإحسان إلى هذه الطائفة البائسة لتتمكن الجمعية من توسيع نطاقها وتثقيف عدد كبير من هؤلاء المكفوفين ليستطيعوا العيش وحدهم، وليستغنوا عن ذُلّ السؤال، وقد ألقيت هذه القصيدة فى هذا الحفل.

مَنْ مُجِيرِى مِنْ حَالِكَاتِ اللَّيَالِى ؟ ... نُوَبَ الدَّهْرِ مَا الْكُنَّ وَمَالِى (١)

قَدْ طَوَانِى الظَّلامُ حَتَّى كَأَنِّى ... فِى دَيَاجِى الوُجُودِ طَيْفُ خَيَالِ (٢)

كُلُّ لَيْلٍ لَهُ زَوالٌ وَلَيْلِى ... دَقَّ أطْنَابَهُ لِغَيْرِ زَوالِ ! (٣)

كُلُّ لَيْلٍ لَهُ نُجُومٌ، وَلَكِنْ ... أيْنَ أمْثَالُهُنَّ مِنْ أمْثَالِى ؟ (٤)

تَثِبُ الشَّمْسُ فِى السَّمَاءِ وَشَمْسِى ... عُقِلَتْ دُونَهَا بِألْفِ عِقَالِ (٥)

لا أرَى حِينَمَا أرَى غَيْرَ حَظِّى ... حَالِكَ اللَّوْنِ عَابِسَ الآمَالِ (٦)

* * *

---

(١) حالكات الليالى : الليالى الشديدة السواد والظلمة . نوب الدهر : نوازله وما يصيب به .

(٢) طواه : أى احتواه وجعله بين ثناياه . دياجى الوجود : غياهب ظلماته وحالك سواده . طيف خيال : ما يراه النائم فى نومه .

(٣) الأطناب : الأوتاد ، الواحد : طنب (بضمتين) . دق الأطناب : كناية عن الإقامة وعدم الرحيل ، لأن بيوت العرب كانت خيامًا تطوى مع السفر وتنشر وتدق أطنابها عند الإقامة .

(٥) تثب الشمس : تتنقل فى السماء . عقلت : حبست وقيدت . ودونها : أى دون السماء . العقال : حبل يعقل به البعير فى وسط ذراعه .

(٦) عابس الآمال : أى مظلمها .

هُـــوَ جُبٌّ أعِيشُ فِيـــهِ حَـزِينًـــا   كَاسِـــفَ النَّفْسِ دَائِمَ الْبَلْبَـــالِ (٧)
مَـــا رَأتْ بَسْمَـــةَ الشُّمُـــوسِ زَوَايـــا   هُ ، وَلا دَاعَبتْ شُعَـــاعَ الْهِـــلالِ (٨)
فَإذَا نِمْتُ فَـــالظَّـــلامُ أمـــامِى   أوْ تَيَقَّظْتُ فَـــالسَّـــوَادُ حِيـــالِى (٩)
أتَقَـــرَّى الطَّـــرِيقَ فِيـــهِ بِكَفِّى   بَيْـنَ شَكٍّ وَحَيْـــرَةٍ وَضَـــلالِ (١٠)
وَأُحِسُّ الْهَـــوَاءَ فَهْـــوَ دَلِيلِى   عَنْ يَمِينِى أسِيـرُ أوْ عَـنْ شِمـالِى (١١)
كُلَّمَـــا رُمْتُ مِنْـهُ يَـــوْمًـــا خَـــلاصًـــا   عَجَـــزَتْ حِيلَتِى وَرَثَّـتْ حِبَـــالِى (١٢)
عَبَثًـــا أُرْسِـــلُ الأنِـينَ مِـــنَ الْجُـــ   ـبِّ إلَـى سَـاكِنِى الْقُصُورِ الْعَـوَالِى (١٣)
مَنْ لِسَـــارٍ بِلَيْلَـــةٍ طُـــولُهَـــا الْعُمْـــ   ـرُ ، يَجُـوبُ الأوْجَـالَ لِلأوْجَـالِ ؟ (١٤)
مُتَـــرَدٍّ فِـى هَـــاوِيَـــاتٍ وِهَـــادٍ   لاهِثٍ فَـوْقَ شَـامِخَـاتِ جِبَـالِ (١٥)
عِنْـدَ صَحْـرَاءَ لِـلأعَـاصِيـرِ فِيهـا   ضَحِكُ الْجِنِّ أوْ نَحِيبُ السَّعَـالِى (١٦)
لَمْ يَـــزُرْهَـــا وَشْىُ الـــرَّبِيعِ وَلَكِنْ   لَكَ مَـا شِئْتَ مِنْ نَسِيجِ الـرِّمَـالِ (١٧)
لَيْسَ لِلطَّيْـــرِ فَـــوْقَهـــا مِـنْ مَطَـــارٍ   أوْ بَنِى الإنْسِ حَـوْلَها مِنْ مَجَـالِ (١٨)
خَلَـقَ اللهُ قَفْـــرَهَـــا ثُـمَّ سَـــوَّى   مِنْ ثَـــرَاهُ أنـامِلَ الْبُخَّـالِ (١٩)

---

(٧) الجب : البئر البعيدة الغور . كاسف النفس : أى حزين عابس . البلبال : الهم والهواجس المقضة المزعجة .

(٨) بسمة الشموس ، أى ضوءها .

(١٠) أتقرى الطريق ... إلخ : أى أتتبع الطريق بكفى أتلمس بها مواضع الأمن .

(١٤) يجوب : يقطع الأرض سائرًا . الأوجال : المخاوف ، الواحدة : وجل (بالتحريك) .

(١٥) المتردى : الساقط . الوهاد : الأراضى المنخفضة . الهاويات : البعيدة الانخفاض . اللاهث : الذى يخرج لسانه تعبًا وإعياء وعطشًا . شامخات الجبال : العالية المرتفعة .

(١٦) الأعاصير : عصف الرياح وشدة هبوبها وزوابعها . النحيب : البكاء . السعالى : جمع سعلاة ، وهى أنثى الغول . يريد الغيلان عامة ..

(١٧) وشى الربيع:نباته ذو الألوان المختلفة . الوشى (فى الأصل) : تطريز الثوب وتجميله .

(١٨) من مطار : أى من طيران . من مجال : أى من أثر لجولان الناس وسيرهم .

رَهْبَـــةٌ تَمْـــلأُ الْجَـــوَانِـحَ رُعْبـــا   وَأَدِيمٌ وَعْـــرٌ كَحَـــدِّ النِّصَـــالِ (٢٠)
وَامْتِـــدَادٌ كَـــأَنَّـــهُ الأَمَـلُ الطَّـــا   ئِشُ مَـا ضَـــاقَ ذَرْعُـهُ بِمُحَـــالِ (٢١)
سَـــارَ فِيهـــا الأَعْمَى وَحِيدًا شَـرِيـدًا   حَـــائِرًا بَيْنَ وَقْفَـــةٍ وَارْتِحَـــالِ (٢٢)
فِى هَجِيـــرٍ مَـــا خَـفَّ حَـرُّ لَظَـــاهُ   بِنَسِيمٍ ، وَلا بِبَـــرْدِ ظِـــلاَلِ (٢٣)
مَلَّ عُكَّـــازُهُ مِنَ الضَّـــرْبِ فِى الأَرْ   ضِ عَلَى خَيْبَـــةٍ وَرِقَّـــةِ حَـــالِ (٢٤)
يَـرْفَـعُ الصَّـــوْتَ لا يَـرَى مِنْ مُجِيبٍ   أَقْفَـرَ الكَـوْنُ مِنْ قُلُوبِ الـرِّجَـالِ ! (٢٥)

* * *

مَنْ لِهَـــاوٍ فِى لُجَّـــةٍ هِىَ دُنْيَـــا   هُ وَأَيَّـــامُ بُـــؤْسِـهِ المُتَـــوَالِى ؟ (٢٦)
ظُلَمٌ بَعْضُهَـــا يُـــزَاحِمُ بَعْضَـــاً   كَلَيَـــالٍ كَـــرَرْنَ إِثْـــرَ لَيَـــالِى (٢٧)
يَفْتَحُ المَـــوْجُ مَـــاضِغَيْـــهِ فَيَهْـــوِى   ثُمَّ يَطْفُـــو مُحَطَّمَ الأَوْصَـــالِ (٢٨)
لا تَـــرَى مِنْـــهُ غَيْـــرَ كَـفٍّ تُنَـــادِى   حِينَمَـــا عَقَّـــهُ لِسَـــانُ المَقَـــالِ (٢٩)
وَالـرِّيَـــاحُ الـرِّيَاحُ تَعْصِـفُ بِـالْمِسْـ   ـكِينِ عَصْـــفَ الأَيَّامِ بِالآجَـــالِ (٣٠)
يَسْمَعُ السُّفْـنَ حَـوْلَـــهُ مَـــاخِـرَاتٍ   مَنْ يُبَـــالِى بِمِثْلِـــهِ مَنْ يُبَـــالِى ؟ (٣١)

---

(٢٠) الجوانح : الأضلاع تحت الترائب مما يلى الصدر ، الواحدة : جانحة . أديم الصحراء : وجهها . النصال : جمع نصل وهو حديدة السهم والرمح والسيف والسكين .
(٢١) الطائش : الذى يذهب على غير هدى وقصد . ضيق الذرع : كناية عن قلة الحيلة وضعف الطاقة .
(٢٣) الهجير : شدة الحر . اللظى : اللهب والحرقة .
(٢٦) الهاوى : الساقط . اللجة : معظم البحر حيث يكثر الماء ويصعب المخرج .
(٢٨) الماضغان : الحنكان لمضغهما المأكول . واستعارهما للموج لأنه يهصر الأجسام ويضعفها . الأوصال : الأعضاء الواحد، وصل .
(٢٩) عقه : خانه ولم يسعفه بالمقال .
(٣٠) الآجال : الأعمار .
(٣١) السفن الماخرات : الجاريات التى تشق الماء مع صوت .

يَسْمَعُ الـرَّقْصَ والأَهَـازِيجَ تَشْـدُو ... بَيْنَ وَصْلِ الْهَـوَى وَهَجْـرِ الـدَّلاَلِ (٣٢)
شُـغِلَ الْقَـوْمُ عَنْـهُ بِالْقَصْـفِ وَاللَّهْـ ... ـوِ وَهَـامُوا بِحُبِّ بِنْتِ الـدَّوَالِى (٣٣)
مَـا لَهُـمْ وَالصَّـرِيعَ فِى غَمْـرَةِ اللُّـ ... ـجِّ يَصُـدُّ الأَهْـوَالَ بِـالأَهْـوَالِ (٣٤)
لا يُـرِيـدُونَ أَن يُشَـابَ لَهُـمْ صَفْـ ... ـوٌ بِنَـوْحٍ لِلْبُـؤْسِ أَوْ إِعْـوَالِ (٣٥)
هَكَـذا تُمْحَلُ الْقُلُـوبُ ، وَأَنْكَـى ... أَنْ تُبَـاهِى بِـذَلِكَ الإِمْحَـالِ ! (٣٦)
هَكَـذا تُقْبَـرُ الْمُـرُوءَةُ فِى النَّـا ... سِ ، وَيُقْضَى عَلَى كَـرِيمِ الْخِلالِ ! (٣٧)

* * *

مَنْ لِهَـذَا الأَعْمَـى يَمُـدُّ عَصَـاهُ ... عَـاصِبَ البَطْنِ لَـمْ يَبُحْ بِسُـؤَالِ ؟ (٣٨)
مَنْ رآه يَـرَى خَلِيطًـا مِـنَ البُـؤْ ... سِ هَـزِيـلاً يَسِيـرُ فِى أَسْمَـالِ (٣٩)
هُـوَ فِـى مَيْعَـةِ الصِّبَـا وَتَـرَاهُ ... مُطْرِقَ الرَّأْسِ فِـى خُشُوعِ الكِهَـالِ (٤٠)
سَـاكِنًـا كَـالظَّـلاَمِ ، يَحْسَبُـهُ الـرَّا ... ءُونَ مَعْنًى لِلْيَـأْسِ فِى تِمْثَـالِ (٤١)
فَقَـدَ الضَّـوْءَ وَالحَيَـاةَ ، وَهَلْ بَعْـ ... ـدَ ضِيَـاءِ العَيْنَيْنِ سَلْوَى لِسَالِ ؟ (٤٢)
مَطَلَتْـهُ الأَيَّـامُ وَالنَّـاسُ حَقًّـا ... فَقَضَى عَيْشَـهُ شَهِيـدَ المِطَـالِ (٤٣)

* * *

---

(٣٢) الأهازيج : جمع أهزوجة . وهى ما يهزج به من الأغانى ، أى ما يترنم بها ويطرَب .

(٣٣) القصف : الإقامة فى لهو وأكل وشرب . بنت الدوالى ، أى الخمر . الدوالى : عنب بالطائف أسود إلى الحمرة ، ومنه تعصر الخمر . وجعلها بنته لأنه منها .

(٣٤) الصريع : المصروع . غمرة اللج ، أى حيث يكثر ماء البحر ويشتدّ .

(٣٥) يشاب : يختلط بـه ما يعكره . الصفو : ما صفـا لهم من شأنهم ولذّ وطـاب . النوح والإعـوال : البكاء ورفع الصوت به .

(٣٦) إمحال القلوب : تجردها من العطف والرحمـة ، مأخوذ من إمحال الأرض ، وهو إجدابها . أنكى : أى أكثر إيلامًا .

(٣٨) عاصب البطن : أى يشدّه برباط يدفع بذلك ألم الجوع .

(٤٠) ميعة الصبا : أوله وريعانه .الكهال : جمع كهل .

(٤٣) مطل الحق : تسويفه بوعد الوفاء مرة بعد أخرى .

مَـا رَأَى الـرَّوْضَ فِـى مِـآزِرِهِ الْخُضْــ ـــرِ يُبَــاهِى بِحُسْنِهَــا وَيُغَــالِى (٤٤)
مَـا رَأَى صَـــفْحَةَ السَّمَـاءِ وَمَــا رُكِّـــ ـــبَ فِيهَـا مِنْ بَـاهِـرَاتِ الَّــلآلِى (٤٥)
مَـا رَأَى النِّيــلَ فِـى الْخَمَــائِلِ يَخْتَـا لُ بِـأَذْيَـالِــهِ العِـرَاضِ الطِّـوالِ (٤٦)
مَـا رَأَى فِضَّـةَ الضُّحَى فِـى سَنَـاهـا أَوْ تَمَلَّـى بِعَسْجَـــدِ الآصَـــالِ (٤٧)
فَـدَعُــوهُ يَشْهَـدْ جَمَـــالاً مِنَ الإِحْـــ ـسَانِ ، إِنْ فَـاتَهُ شُـــهُودُ الْجَمَــالِ (٤٨)
وَدَعُــوهُ يُبْصِــرْ ذُبَــالاً مِنَ الــرَّحْمَـــ ـــمَةِ ، إِنْ عَقَّـــهُ ضِيَــاءُ الــذُّبَــالِ (٤٩)
قَـــدْ خَبَــرْتُ الـــدُّنْيَـا فَلَـمْ أَرَ أَزْكَى مِـنْ يَمِينٍ تَفَتَّحَـتْ عَنْ نَـــوَالِ ! (٥٠)

* * *

أَيُّهَـــا الـــوَادِعُــونَ يَمْشُـــونَ زَهْـــوًا بَيْنَ جَبْـــرِيَّـــةٍ وَبَيْنَ اخْتِيَـــالِ (٥١)
يُنْفِقُـــونَ القِنْطَــارَ فِـى تَـرَفِ العَيْـــ ـــشِ ، وَلا يُحْسِنُــونَ بِـالْمِثْقَــالِ (٥٢)
وَيَـــرَوْنَ الأَمْـــوَالَ تُنْثَــرُ فِـى اللَّـــ ـــهْوِ ، فَــلاَ يَجْزَعُــونَ لِـلأَمْــوَالِ (٥٣)
إِنَّ فِى بَلْـــدَةِ المُعِـــزِّ جُحُـــورًا مُتْــرَعَــاتٍ بِـــأَدْمُعِ الأَطْفَـــالِ (٥٤)

---

(٤٤) المآزر : الثياب ، الواحد مئزر . يغالى : يفخر .

(٤٥) صفحة الماء : رقعتها . باهر اللآلى : الكواكب والنجوم التى تبهر بضوئها .

(٤٧) تملى : استمتع . العسجد : الذهب ، الآصال : جمع أصيل وهو ما بعد العصر إلى المغرب .

(٤٩) ذبالا من الرحمة : أى بصيصًا من نورها . الذبال فى الأصل : الفتيلة . عقَّه : فاته وامتنع عليه . ضياء الذبال : أى نور المصابيح ، ويريد النور عامة .

(٥١) الوادعون : المترفون الذين ضمنوا بحبوحة العيش ورغده فباتوا فى هدوء ودعة . الزهو : التيه والتكبر . الجبرية : نسبة إلى الجبر بمعنى الجبروت والعظمة .

(٥٢) ترف العيش : ما زاد على الحاجة وكان للترفيه والتنعيم . المثقال : ما يوزن به .

(٥٤) بلدة المعز : القاهرة نسبة إلى المعز لدين الله الفاطمى ، الذى أنشئت القاهرة له على يد قائده جوهر الصقلى سنة ٣٦١هـ (٩٦٩م) . وكان عهده فى مصر من أزهى عصورها ، زادت فيه ثروة البلاد زيادة كبيرة . وتوفى المعز سنة ٣٦٣هـ (٩٧١م) . ويريد بالجحور تلك الخربات والأكواخ المظلمة التى يسكنها الفقراء . مترعات : مفعمة مملوءة .

كُلُّ جُحْـرٍ بِـالبُؤْسِ وَالفَقْـرِ مَمْلُـو ءٌ ، وَلَكِنَّـهُ مِنَ الـزَّادِ خَـالِى (٥٥)
بَسَقَتْ فِيـهِ لِلجَـرَاثِيمِ أَفْنَـا نٌ تَـدَلَّتْ بِكُلِّ دَاءٍ عُضَـالِ (٥٦)
لَـوْ رَأَيْتَ الأَشْبَـاحَ مِنْ سَـاكِنِيـهِ لَـرَأَيْتَ الأَطْـلاَلَ فِى الأَطْـلاَلِ ! (٥٧)
يَـرْهَبُ النُّـورُ أَنْ يَمُـرَّ بِـهِ مَـ ـرًا ، وَتَخْشَى أَذَاهُ رِيحُ الشَّمَـالِ (٥٨)
تَحْسِبُ الطِّفْـلَ فِيـهِ فِى كَفَنِ المَـوْ تَى وَقَـدْ ضَمَّـهُ الـرِّدَاءُ البَـالِى (٥٩)
أَيُّهَـا الأَغْنِيَـاءُ أَيْنَ نَـدَاكُمْ ؟ بَلَغَ السَّيْلُ عَـالِيَـاتِ القِـلاَلِ ! (٦٠)
هُمْ عِيَـالُ الـرَّحْمَنِ مَـاذَا رَأَيْتُمْ أَوْ صَنَعْتُمْ لِهَـؤُلاءِ العِيَـالِ ؟ (٦١)

* * *

رُبَّ أَعْمَى لَـهُ بَصِيـرَةُ كَشْفٍ نَفَـذَتْ مِنْ غَيَـاهِبِ الأَسْـدَالِ ! (٦٢)
أَخَـذَ اللهُ مِنْـهُ شَيْئًـا وَأَعْطَى وَأَعَـاضَ المِكْيَـالَ بِـالمِكْيَـالِ (٦٣)
يَلْمَـحُ الْخَطْـرَةَ الْخَفِيَّـةَ لِلنَّفْـ ـسِ لَهَا فِى الصُّدُورِ دَبُّ النِّمَـالِ (٦٤)
وَيَـرَى الحَقَّ فِى جَـلاَلَـةِ مَعْنَـا هُ فَيَحْيَـا فِى ضَوْءِ هَـذَا الْجَلاَلِ (٦٥)
كَـانَ شَيْخُ المَعَـرَّةِ الكَـوْكَبَ السَّـا طِعَ فِى ظُلْمَـةِ القُـرُونِ الْخَـوَالِى (٦٦)

---

(٥٦) بسقت : ارتفعت وطالت . الأفنان : الفروع والأغصان ، الواحد : فنن (بالتحريك) . الداء العضال : أى شديد أعيا الأطباء .

(٦٠) الندى : الكرم والجود . القلال : جمع قلة وهى من الجبل أعلاه .

(٦١) العيال : من تلزمك نفقتهم والقيام بأمرهم .

(٦٢) البصيرة : الفطنة . الغياهب : الظلمات . الأسدال : الحجب وما يقوم بينه وبين الشىء بستره عنك .

(٦٣) المكيال : أداة الكيل . أعاض : أبدل .

(٦٤) الخطرة : ما يخطر بالبال من الأفكار .

(٦٦) شيخ المعرة : هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخى الشاعر ، الفحل الفيلسوف . ولد بمعرة النعمان (وهى بلد بين حماه وحلب) سنة ٣٦٣هـ وإليها ينسب . وقد كف بصره فى الثالثة من عمره وتوفى بالمعرة سنة ٤٤٩هـ .

فَأَتَى وهُـوَ آخِـرٌ (مِثْلَمـا قَـا ... لَ) بِمَـا نَـدَّ عَـنْ عُقُـولِ الْأَوَالِى (٦٧)

* * *

أنْقِـذُوا العَـاجِـزَ الفَقِيـرَ وَصُـونُـوا ... وَجْهَـهُ عَنْ مَـذَلَّـةٍ وَابْتِـذَالِ (٦٨)

عَلِّمُـوهُ ، يَطْـرُقْ مِنَ العَيْشِ بَـابًـا ... وَامْنَحُـوهُ مَفَـاتِحَ الأَقْفَـالِ (٦٩)

لا تَضُمُّـوا إلَى أسَـاهُ عَمَى الْجَهْـ ... ـلِ فَيَلْقَى النَّكَـالَ بَعْدَ النَّكَـالِ (٧٠)

كُلُّ شَىءٍ يُطَـاقُ مِن نُـوَبِ الأَيَّـ ... ـامِ إِلاَّ عَمَـايَـةَ الْجُهَّـالِ (٧١)

عَلِّمُـوهُ فَـالعِلْمُ مِصْبَـاحُ دُنْيَـا ... هُ وَلا تَكْتَفُـوا بِصُنْعِ السِّـلاَلِ (٧٢)

إنْ جَفَـاهُ الـزَّمَـانُ وَالآلُ والصَّحْـ ... ـبُ فَكُـونُـوا لِمِثْلِـهِ خَيْـرَ آلِ (٧٣)

نَـزَلَ الـوَحْىُ فِى التَّـرَفُّقِ بِـالأَعْـ ... ـمَى وَبَسْطِ اليَـدَيْنِ لِلسُّـؤَّالِ (٧٤)

سَـوْفَ تَتْلُـو الأَجْيَـالُ تَـارِيخَ مِصْـرٍ ... فَـأَعِـدُّوا التَّـارِيخَ لِـلأَجْيَـالِ (٧٥)

بِـالأَيـادِى الحِسَـانِ يُمْحَى دُجَى البُؤْ ... سِ وَتَسْمُو الشُّعُـوبُ نَحْوَ الكَمَـالِ (٧٦)

يَـذْهَبُ الفَقْـرُ وَالثَّـرَاءُ وَيَبْقَى ... مَـا بَنَى الخَيِّـرُونَ مِنْ أَعْمَـالِ ! (٧٧)

---

(٦٧) ند : استعصى وامتنع . ويشير إلى قوله :

وإنى وإن كنت الأخير زمانه ... لآت بما لم تستطعه الأوائل .

(٧٠) الأسى : الحزن . النكال : الشر والمكروه .

(٧١) نوب الأيام : مصائبها وما تنتاب به . العماية : الغواية والضلال .

(٧٢) السلال : جمع سلة وهى معروفة .

(٧٣) الآل : الأهل والعشيرة .

(٧٤) السؤال : جمع سائل . يشير إلى ما نزل من القرآن على النبى – صلى الله عليه وسلم – فى الترفق بالأعمى فى (سورة عبس) .

اللغة العربية ودار العلوم

أهدى الشاعر هذه القصيدة إلى صحيفة دار العلوم فى سنة ١٩٣٤م لتنشر فى أول جزء من أجزائها .

يَا ابْنَةَ السَّابِقِينَ مِنْ قَحْطَانِ ! وَتُرَاثَ الأَمْجَادِ مِنْ عَدْنَانِ (١)
أنْتِ عَلَّمْتِنِي البَيَانَ فَمَالِي كُلّما لُحْتِ حَارَ فِيكِ بَيَانِى ؟ (٢)
رُبَّ حُسْنٍ يَعُوقُ عَنْ وَصْفِ حُسْنٍ وَجَمَالٍ يُنْسِى جَمَالَ المَعَانِى (٣)
كُنْتُ أَشْدُو بَيْنَ الطُّيُورِ بِذِكْرا كِ فَتَعْلُو أَلْحَانَهَا أَلْحَانِى (٤)
وَأُصُوغُ الشِّعْرَ الَّذى يَفْرَعُ النَّجْـ ـمَ وَتُصْغِى لِجَرْسِهِ الشِّعْرَيانِ (٥)
يَا ابْنَةَ الضَّادِ أَنْتِ سِرٌّ مِنَ الْحُسْـ ـنِ تَجَلَّى عَلَى بَنِى الانْسَانِ (٦)
كُنْتِ فِى الْقَفْرِ جَنَّةً ظَلَّلَتْهَا حَالِيَاتٌ مِنَ الْغُصُونِ دَوانِي (٧)
لُغَةُ الفَنِّ أنْتِ وَالسِّحْرِ وَالشِّعْـ ـرِ وَنُورُ الْحِجَا ، وَوَحْىُ الْجَنَانِ (٨)
رُبَّ جَيْشٍ مِنَ الْحَدِيدِ تَوَلَّى وَاجِفَ القَلْبِ مِنْ حَدِيدِ اللِّسَانِ (٩)
وَبَيَانٍ بَنَى لِصَاحِبِهِ الْخُلْـ ـدَ مُطِلاًّ مِنْ قِمَّةِ الأَزْمَانِ (١٠)

---

(١) ابنة السابقين : يريد اللغة العربية . قحطان : أبو العرب العاربة . تراث : ميراث . الأمجاد: جمع ماجد ، الكريم الشريف . عدنان : أبو العرب المستعربة

(٥) فرع القوم : علاهم بالشرف أو الجمال . الجرس : الصوت . الشعرى : كوكب وهما شعريان ، تزعم العرب أنهما أختا سهيل .

(٦) ابنة الضاد : اللغة العربية .

(٧) القفر : المفازة لانبات بها . الغصون الحاليات الدوانى : أى المتحلية بالثمر القريبة القطوف .

وَقَصِيـــدٍ قَـــدْ خَـفَّ حتَّى عَجِبْنَـــا ... كَيْفَ نَـــالَتْـــهُ كِفَّـــةُ الأوْزَانِ ! (١١)

* * *

بَلَغَ العُـــرْبُ بِـــالبَـــلاغَـــةِ وَالإِسْـــ ... ـــلامِ أَوْجًـــا ، أَعْيَـــا عَلَى كَيْـــوَانِ (١٢)

لَبِسُـــوا شَمْسَ دَوْلَـــةِ الفُـــرْسِ تَـــاجًـــا ... وَمَضَـــوْا فِى مَغَـــافِـــرِ الـــرُّومَـــانِ (١٣)

وَجَـــرَوْا يَنْشُـــرونَ فِـــى الأرْضِ هَـــدْيًـــا ... مِنْ سَنـــا العِلْمِ أوْ سَنـــا القُـــرآنِ (١٤)

لا تَضِلُّ الشُّعُـــوبُ مِصْبَـــاحُهـــا العِـــ ... ـــلْمُ ، يُـــؤاخِيـــهِ رَاسِخُ الايمـــانِ (١٥)

فَـــإذا أُطْفِـــىَ السِّـــــــرَاجُ فَمَيْنٌ ... وَضَـــلالٌ مَـــا تُبْصِـــرُ العَيْنَـــانِ ! (١٦)

أيْنَ آلُ العَبَّـــاسِ رَيْحَـــانَـــةُ الـــدَّ ... هْـــرِ ، وَأَيْنَ الكِـــرامُ مِنْ مَـــرْوانِ ؟ (١٧)

خَفَتَ الصَّـــوْتُ ، لا البِـــلادُ بِـــلادٌ ... يَـــوْمَ بَـــانُـــوا ، وَلا المَغَـــانِى مَغَـــانِى ! (١٨)

أزْهَـــرَتْ فِـــى حِمـــاهِمُ الضَّـــادُ حِينًـــا ... وَذَوَتْ بَعْـــــدَهُمْ لِغَيْـــــرِ أَوَانِ (١٩)

انْ أَصَـــاخَتْ ، فَـــالقَـــوْلُ غَيْـــرُ فَصِيحٍ ... أَوْرَنَتْ ، فَـــالـــوُجُـــوهُ غَيْرُ حِســـانِ (٢٠)

فَمَضَتْ نَحْـــوَ مِصْـــرَ مِثْلَ قَطَـــاةٍ ... فَـــزَّعَتْهَـــا كَـــوَاسِـــرُ العِقْبَـــانِ (٢١)

يَكْـــدُرُ العَيْـــشُ مَـــرَّةً ثُـمّ يَصْفُـــو ... كَمْ لِهَـــذِى الْحَيَـــاةِ مِنْ أَلْـــوانِ ! (٢٢)

ثُـــمّ هَبَّتْ زَعَـــــازِعٌ تَـــــرَكَتْهَـــا ... بَيْنَ مُـــــرِّ الأَسَى ، وَذُلِّ الهَـــوانِ (٢٣)

وإذا نَهْضَـــــةٌ تَـــدِبُّ بِمِصْـــرٍ ... كَـــدَبِيبِ الْحَيَـــاةِ فِى الأبْـــدَانِ (٢٤)

---

(١٣) كانت الشمس رمزًا لتاج الفرس . المغافر : جمع مغفر كمنبر . (١٤) الهدى: الرشاد . السنا : النور .
(١٦) المين : الكذب . (١٧) الريحانة : طاقة الريحان وهو نبت طيب الرائحة .
(١٨) بانوا : فارقوا وارتحلوا . المغانى : جمع مغنى المنزل غنى به أهله .
(٢٠) أصاخ له : استمع . رنا رنوا : أدام النظر بسكون الطرف .
(٢١) القطاة : طـائر . فزعـه : أخافـه . العقاب : طائر والجمع عقبـان ، والكاسـر من الطير كـالمفترس من الحيوان ، كسر الطائر كسورا ضم جناحيه يريد الوقوع .
(٢٣) الزعازع : الشدائد من الدهر . الأسى : الحزن . الهوان : من هان: هونا وهوانا ومهانة أى ذل .
(٢٤) تدب: تسير ببطء .

وإذا اليَـوْمُ بَـاسِمٌ ، وَاللَّيـالِي مُشْرِقَاتٌ ، وَالـدَّهْـرُ مُلْقِى العِنَانِ (٢٥)
وَإذا الضَّـادُ تَسْتَعِيـدُ جَمَـالاً كَـادَ يَقْضِى عَلَيْـهِ رَيْبُ الـزَّمـانِ (٢٦)
نَـزَلَتْ فِـى حِمَى فُـؤادٍ فَـأَضْحَتْ مِنْ أيَـادِيـهِ فِى أعَـزِّ مَكـانِ (٢٧)
مَلِكٌ شَـادَ لِلْبَنَـانَـةِ مَجْـدًا فَسَمَتْ بِـاسْمِـهِ عَلَى البُلْـدَانِ (٢٨)
كُـلَّ يَـوْمٍ يَمُـدُّ لِلْعِلْمِ كَفًّـا خُلِقَتْ لِلْـوَفَـاءِ وَالإِحْسَـانِ (٢٩)

* * *

إنَّ دارَ العُلُـومِ بِنْيَـةَ إسْمَـا عِيلَ تُـزْهَـى بِـهِ عَلَـى كُلِّ بَـانِ (٣٠)
مَنْ يُسَامِـى أبَـا المَـوَاهِبِ وَالأشْبَـ ـبالِ فِى فَيْضِ جُودِهِ أوْ يُدَانِى ؟ (٣١)
هِىَ فِـى مِصْـرَ كَعْبَـةٌ بعَثَ الشَـ ـرْقُ إلَيْهـا طَـوائِفَ الـرُّكْبـانِ (٣٢)
قَـدْ أعَـادَتْ عَهْـدَ الأعَـارِيبِ فِى مِصْـ ـرَ إلَى نَـاعِمٍ مِنَ العَيْشِ هَـانِى (٣٣)
وَأظَلَّتْ بِنْـتَ الفَـدَافِـدِ وَالبِيـ ـدِ بِـأفْيَـاءِ دَوْحِهَـا الفَيْنَـانِ (٣٤)
دَرَجَـتْ بَيْـنَ فِتْيَـةٍ وَشُيُـوخٍ كُـلُّـهُمْ يَنْتَمِـى إلَى سَحْبَانِ (٣٥)
وَأظَلَّـتْ مِـنَ الخِبَـاءِ عَلَيْهِـمْ فَسَبَتْهُمْ بِسِحْـرِهـا الفَتَّـانِ (٣٦)

---

(٢٥) الدهر ملقى العنان : كناية عن الخضوع والانقياد – العنان : سير اللجام .
(٢٦) ريب الزمان : صَرْفه .
(٣١) يساميه : يباريه ويفاخره .
(٣٣) الأعاريب جمع أعراب : سكان البادية .
(٣٤) بنت الفدافد والبيد: اللغة العربية . الفدافد: جمع فدفد ، والبيد : جمع بيداء ، وكلاهما بمعنى الفلاة . أفياء : جمع فىء ما كان شمسًا فينسخه الظل . الدوح مفرده دوحة : الشجرة العظيمة . الفينان : الحسن الشعر الطويله .
(٣٥) درج : مشى ، ويريد نشأت . فتية وشيوخ : رجال دار العلوم من طلاب وأساتذة . سحبان : بليغ يضرب به المثل .
(٣٦) أطلت عليهم : أشرفت . الخباء : من الأبنية يكون من وبر أو صوف أو شعر . سبتهم : أسرتهم .

فُتِنُوا بِالعُذَيْبِ وَالسَّفْحِ وَالجِزْ ... عِ وَوَادِي العَقِيقِ وَالصَّمَّانِ (٣٧)
يَتَلَقَّوْنَ وَحْيَهَا كُلَّ حِينٍ ... وَيُنَاجُونَ طَيْفَهَا كُلَّ آنِ (٣٨)
وَيُغَنُّونَ بِاسْمِهَا مِثْلَ مَا غَ ... نَّى زُهَيْرٌ بِسِيرَةِ ابْنِ سِنَانِ (٣٩)
نَثَرَتْ دُرَّهَا الفَرِيدَ فَكَانُوا ... أَسْرَعَ النَّاسِ فِى الْتِقَاطِ الجُمَّانِ (٤٠)

* * *

رُبَّ شَيْخٍ أَفْنَى سَوَادَ اللَّيَالِى ... سَاهِدَ العَيْنِ جَاهِدًا غَيْرَ وَانِى (٤١)
مِنْ بُحُوثٍ ، إِلَى كِتَابَةِ نَقْدٍ ... ثُمَّ مِنْ مُعْجَمٍ إِلَى دِيوَانِ (٤٢)
يَقْنِصُ الآبِدَاتِ عَزَّتْ عَلَى الصَّيْ ... دِ ، فَمَاسَتْ بَيْنَ الرُّبَا وَالرِّعَانِ (٤٣)
سَارِحَاتٍ كَأَنَّهَا قِطَعُ الوَشْ ... يِ ، يُطَرِّزْنَ سُنْدُسَ القِيعَانِ (٤٤)
إِنْ تَسَمَّعْنَ نَبْأَةً غِبْنَ فِى الرِّيـ ... حِ ، كَسِرٍّ يُصَانُ بِالكِتْمَانِ (٤٥)
فَإِذَا مَا أَمِنَّ يَخْرُجْنَ أَرْسَا ... لاً ، كَخَيْلٍ نَشِطْنَ مِنْ أَرْسَانِ (٤٦)
كُلُّ جُزْءٍ فِى جِسْمِهِنَّ لَهُ عَيْـ ... ـنٌ عَلَى الشَّرِّ أَوْ لَهُ أُذُنَانِ (٤٧)

---

(٣٧) فتنوا بالشىء : أعجبوا به . العذيب والسفح والجزع ووادى العقيق والصمان : أمكنة ببلاد العرب .

(٣٩) ابن سنان : هو هرم بن سنان كان جوادًا كريمًا أولع بمدحه زهير بن أبى سلمى ، وزهير شاعر جاهلىّ أجاد الحكمة مع الصدق وعدم المبالغة والسهولة .

(٤٠) الجمان : اللؤلؤ واحده جمانة .

(٤٢) بحوث : جمع بحث .

(٤٣) يقنص : يصيد . الآبدات : الشاردات من الوحش . ماست : تبخترت . الربا : جمع ربوة ما ارتفع من الأرض . الرعان : جمع رعن . أنف يتقدم الجبل .

(٤٤) سارحات : مطلقات . الوشى : النقش . التطريز : نقش الثوب . القيعان : جمع قاع أرض سهلة مطمئنة .

(٤٥) النبأة : الصوت الخفى .

(٤٦) الأُرسال : جمع رسل ، القطيع من كل شىء . الأرسان : جمع رسن ، الحبل .

لَمْ يَـزَلْ صَـاحِبِى يُعَـالِجُ مِنْهُــ ــــنَّ نِفَـارًا مُسْتَعْصِيًـا ، وَيُعَـانِى (٤٨)
فِى فَـلاةٍ لا تَحْمِلُ الـرِّيحُ فِيهـا غَيْـرَ رَنَّـاتِ قَـوْسِـهِ المِـرْنَـانِ (٤٩)
كُلَّمـا طَـارَ خَلْفَهُـنَّ تَسَـرَّبْنَ هَـ ــبَاءً ، فِى غَيْهَبِ النِّسْـيَانِ (٥٠)
فَتَـرَاهُ حِينًـا كَمَـا وَثَبَ اللَّيْـ ــثُ ، وَحِينًا يَنْسَابُ كَالأُفْعُوَانِ (٥١)
وَهْىَ تَلْهُـو بِـهِ ، فَآنًـا تُجَافِيـ ــهِ ، وَآنًـا تُمْلِى لَـهُ فَتُـدَانِى (٥٢)
مَـرَّةً فِى مَـدَى يَـدَيْـهِ ، وأُخْـرَى مَـا لَـهُ بِـاقْتِنَـاصِهِنَّ يَـدَانِ (٥٣)
لَمْ يَقِفْ نَـادِمًـا يُقَـلِّبُ كَفَّيْـ ــهِ ، فَعَالَ الْمُجَـوَّفِ الْحَيْـرَانِ (٥٤)
ثُمّ كَـانَتْ عَـواقِبُ الصَّـبْرِ أَنْ ذَلَّـ ــتْ لَـهُ الشَّـارِدَاتُ بَعْدَ الحِـرانِ (٥٥)
مَلَّكَتْـهُ أَعْنَـاقَهَـا فِى خُضُـوعٍ وَحَبَتْـهُ قِيَـادَهـا فِى لَيَـانِ (٥٦)
رُبَّ شِعْـرٍ لَـهُ يُـرَدِّدُه الـدَّهْـ ــرُ ، فَتُصْغِى مَسَـامِعُ الأَكْـوَانِ (٥٧)
يَتَمَنَّـى الـرَّبِيعُ لَـوْ تَخِـذَتْ مِنْـهُ حُـلاهَـا ذَوائِبُ الأَغْصَـانِ (٥٨)
مِنْ بَنَـاتِ الخَيَـالِ لَـوْ كَـانَ يُسْقَى لَعَـدَدْنَـاهُ مِنْ بَنَـاتِ الـدِّنَّـانِ (٥٩)

---

(٤٨) النفار : النفور والشرود .

(٤٩) المرنان : ذات الرنين عند شدّ وترها .

(٥٠) الغيهب : الظلام .

(٥١) الأفعوان : ذكر الأفاعى .

(٥٢) تجافيه : تبتعد عنه . تملى له : أى تمد له أسباب الأمل .

(٥٣) مرة فى مدى يديه : أى فى مقدوره . وأخرى ما له باقتناصهن يدان : أى ليس له قدرة على اقتناصهن .

(٥٤) المجوف : من لا قلب له . فعال : أى فعل .

(٥٥) ذلت : خضعت . الحران : مثل حرنت الدابة فهى حرون (بابه نصر) وهى الدابة إذا اشتد جريها وقفت .

(٥٦) الليان : اللين والطاعة .

(٥٨) ذوائب الأغصان : ما تدلى منها .

(٥٩) بنات الدنان : الخمر.والدّنان : جمع مفرده دن وعاء الخمر .

رَدّدَتْ غنوةُ القِيانِ أَتَنْسى ... حُبَّنا ، فأزرى على جمال القيان (٦٠)

قَدْ أَثَارَ الغُبَارَ فِي وَجْهِ مَيْمُو ... نٍ ، وَغَنَّى عَلَى فَتَى ذُبْيَانِ (٦١)

* * *

شِيعَةَ الدَّارِ ، أَنْتُمْ خَدَمُ الفُصْـ ... ـحَى وَحُرَّاسُ ذَلِكَ البُنْيَانِ (٦٢)

لَبِسَتْ جِدَّةَ الصِّبَا فِي ذَرَاكُمْ ... وَتَغَنَّتْ مِنْ حُلاهِ فِي رَيْعَانِ (٦٣)

غَيْرَ أَنَّ الحَيَاةَ تَعْدُو ، وَلا يُدْ ... رِكُ فِيهَا طِلابَهُ الْمُتَوَانِي (٦٤)

سَابِقُوهَا بِالدِّينِ وَالْخُلُقِ السَّمْـ ... ـحِ وَصِدْقِ الوَفَاءِ لِلإخْوانِ (٦٥)

سَابِقُوهَا بِالْجِدِّ ، فَالْجِدُّ وَالمَجْـ ... ـدُ - كَمَا شَاءَتْ العُلاَ - تَوْءمَانِ (٦٦)

ذَلِّلُوا لِلشَّبَابِ مُسْتَعْصِيَ الفُصْـ ... ـحَى ، فَإِنَّ الرَّجَاءَ فِي الشُّبَّانِ (٦٧)

وَانْثُرُوهَا قَلائِدًا وعُقُودًا ... تَتَحَدَّى قَلائِد العِقْبَانِ (٦٨)

* * *

بَسَمَ الدَّهْرُ أَنْ رَآكُمْ بِنَاءً ... عَبْقَرِيًّا مُوَطَّدَ الأَرْكَانِ (٦٩)

كَمْ رَجَا الدَّهْرُ أَنْ يُشَاهِدَ يَوْمًا ... جَمْعَكُمْ سَالِمًا مِنَ الشَّنَآنِ (٧٠)

---

(٦٠) القيان : جمع قينة الجارية المغنية . وهو هنا يشير إلى غناء السيدة أم كلثوم لقصيدته « مالي فتنت » .

(٦١) أثار الغبار في وجه ميمون : سبقه ، ويريد بميمون الأعشى ، شاعر جاهلي كان المرموقين من شعراء لم يمدح أحدًا إلا رفعه ، أراد الوفود على النبي - ﷺ - ولكنه مات قبل الوصول إليه . وفتى ذبيان : هو النابغة الذبياني ، كان يضرب له قبة بعكاظ ليحكم بين الشعراء ، مدح النعمان بن المنذر ، وكان بارعًا في الوصف .

(٦٣) جدة الصبا : جديده . الذرا : الظل والكنف . ريعان كل شيء : أوله وأفضله .

(٦٤) طلابه : طلبه .

(٦٨) قلائد العقيان : أي قلائد الذهب .

(٧٠) الشنآن : البغض والكراهية .

إِنَّمَـــا الكَفُّ بِـــالبَنَـــانِ ، وَلا تُجْـــ   ـــدِى فَتِيــلاً كَـفٌ بِغَيْــرِ بَنَـــانِ (٧١)

جَمَعَتْكُـمْ أَوَاصِـــرٌ وَصِـــلاتٌ   طَهُــرَتْ مِنْ دَخَــائِلِ الأَضْغَـــانِ (٧٢)

فَـاسْلُكُـــوا المَهْيَعَ القَــوِيمَ وَسِيــرُوا   فِى شُعَـــاعِ الْمُنَى وَظِلِّ الأَمَـــانِى (٧٣)

وَاشْكُــرُوا لِلْــوَزِيـــرِ بِيضَ أَيَـادِيـــ   ـــهِ ، وَمِـدْرَارَ فَيْضِـــهِ الهَتَّـــانِ (٧٤)

يَبْـــذُلُ الْخَيْـــرَ فِطْـــرَةً ، لَيْسَ يَثْنِيـــهِ   عَنْ الْخَيْـــرِ وَالصَنِيعَـــةِ ثَـــانِى (٧٥)

هُوَ ذُخْـــرُ الطُـلاَّبِ ، كَمْ وَجَـدُوا فِيــ   ـــهِ أَمَـــانًـا مِنْ طَـارِقِ الْحَـدَثَـانِ (٧٦)

يَبْعَثُ الغَيْثَ وَالـــرَّجَـــاءَ لِقَـــاصٍ   وَيَمُـــدُّ اليَمِينَ بِـــرًّا لِــــدَانِى (٧٧)

كَمْ لَـــهُ مِنَّـــةٌ عَلَى الضَّـــادِ هَـــزَّتْ   كُلَّ لَفْظٍ فِيهَـــا إِلَى الشُّكْـــرَانِ (٧٨)

سَـــدَ العِلْمُ وَاسْتَعَـــزَّ « بِحِلْمِى »   وَغَـــدَا دَوْحُـــهُ قَـرِيـبَ المَجَـانِى (٧٩)

سَـــارَ مُسْتَـــرْشِـــدًا بِهَـــدْيِ مَلِيكٍ   مَـــالَـــهُ فِى أَصَـــالَـــةِ الرَّأْيِ ثَـــانِى (٨٠)

مَلِكٌ تَسْعَـــدُ البِـــلادُ بِنُعْمَـــا   هُ ، ويُـــزْهَى بِنُـــورِهِ القَمَـــرانِ (٨١)

عَـــاشَ لِلـــدِّينِ وَالمَكَـــارِمِ وَالنُّبْـــ   ـــلِ وَبَثِّ الْحَيَـــاةِ وَالعِـــرْفَـــانِ (٨٢)

وَلْيَعِشْ لِلبِـــلادِ فَـــارُوقُ مِصْـــرٍ   قُـــدْوَةَ النَّـــاهِضِينَ رَمْـــزَ الأَمَـــانِى (٨٣)

---

(٧١) البنان : الأصابع أو أطرافها . الفتيل : السحاة التى فى شق النواة ، والمراد الشىء القليل جدًا .

(٧٢) الأواصر : جمع آصرة ويراد بها الصلة . الأضغان : جمع ضغن الحقد .

(٧٣) المهيع : الطريق .

(٧٤) الهتان : الكثير الانصباب .

(٧٥) الصنيعة : المعروف والمنة .

(٧٦) طارق الحدثان : ما يصيب من نوب الدهر .

(٧٨) المنة : العطية .

(٧٩) المجانى : جمع مجنى ما يجنى . حلمى : هو محمد حلمى عيسى باشا وزير المعارف فى ذلك الوقت .

(٨٠) يزهى : يفتخر .

(٨٢) بث الحياة : نشرها .

ضَحكُ القَدَر

قال الشاعر هذه الأبيات سنة ١٩١٠م حينما كان طالبًا بانجلترا ، وقد زار « لندن » فى فصل الشتاء ، ومن العجيب بها أن الضباب يتكاثف أحيانًا فيحجب الأضواء، ويجعل المدينة فى ظلام دامس ، وحينئذ يحار المبصر ويضل الطريق ، وقد يهدى العمى المبصرين فى هذه الحالة لاعتيادهم الضرب فى الأرض على أى حال .

أَبْصَرْتُ أَعْمَى فِى الضَّبَابِ بِلَنْدَنٍ ... يَمْشِى فَلا يَشْكُو وَلاَ يَتَأَوَّهُ (١)

فَأَتَاهُ يَسْأَلُهُ الْهِدَايَةَ مُبْصِرٌ ... حَيْرَانُ يَخْبِطُ فِى الظَّلاَمِ وَيَعْمَهُ (٢)

فَاقْتَادَهُ الأَعْمَى فَسَارَ وَرَاءَهُ ... أَنَّى تَوَجَّهَ خَطْوُهُ يَتَوَجَّهُ (٣)

وَهُنَا بَدَا الْقَدَرُ الْمُعَرْبِدُ ضَاحِكًا ... وَمَضَى الضَّبَابُ وَلاَ يَزَالُ يُقَهْقِهُ ! (٤)

---

(٢) يخبط الأرض فى الظلام : يسير فيها على غير هدى . يعمه : يتحيّر ويتردّد .

العــروبة

ألقيت هذه القصيدة بمؤتمر الثقافة العربى الأول والذى أقامته جامعة الدول العربية بلبنان عام ١٩٤٧م .

لُبْنَــانُ رَوْضُ الهَــوَى والفَـنِّ لُبْنَــانُ ... الأرْضُ مِسْكٌ وَهَمْسُ الـدَّوْحِ الْحَانُ (١)
هَلِ الحِسانُ عَلَى العَهْـدِ الَّذِى زَعَمَتْ ؟ ... وَهَلْ رِفَـاقُ شَبَـابِى مِثْلَمـا كَـانُـوا ؟ (٢)
أيْنَ الصِّبَـا ؟ أيْنَ أوْتَـارِى وَبَهْجَتُهـا ؟ ... طَــوَتْ بِسَــاطَ لَيَــالِيهِنَّ أزْمَــانُ (٣)
أرْنُــو لَهَـا اليَــوْمَ وَالــذِكْـرَى تُــؤَرِّقُنِى ... كَمَــا تَنَبَّــهَ بَعْــدَ الْحُلْمِ وَسْنَــانُ (٤)
هَبْنِى رَجَعْـتُ إلَى الأوْتَــــارِ رَنَّتُهـــا ... فَهَلْ لِشَـرْخِ الصِّبَـا وَاللَّهْوِ رُجْعَـانُ ؟ (٥)
لاَ الكَـأْسُ كَأْسٌ إذَا طَـافَ الحَبَابُ بِهَـا ... بَعْـدَ الشَّبَابِ ، وَلاَ الـرَّيْحَانُ رَيْحَـانُ (٦)
مَــا لِلْخَمِيلَـةِ ؟ هَلْ طَـارَتْ بَـلاَبِلُهَــا ... وَصَوَّحَـتْ بَعْدَ طُـولِ الزَّهْـوِ أفْنَانُ ؟ (٧)
وَهَلْ رِيَــاضُ الهَـوَى وَلَّـتْ بَشَـاشَتُهَــا ... وَغَــادَرتْ ضَـاحِكَ النُّـوَّارِ غُـدْرَانُ ؟ (٨)
كَمْ مَــدَّ غُصْنٌ بِهَـــا عَيْنًــا مُشَــرَّدَةً ... إلى قُــدُودِ العَــذَارَى وَهْـوَ حَيْــرَانُ (٩)

---

(١) مسك : طيب له رائحة ذكية . همس الدوح : حفيف الأشجار الخافت

(٤) أرنو : أنظر . وسنان : نعسان .

(٥) شرخ الصبا : أوله . رجعان : رجوع وعودة .

(٦) الحباب : هو ما يعلو الكأس من فقاعات .

(٧) صوحت : جفت .

(٨) ولت : مضت وذهبت . بشاشتها : فرحتها وابتسامتها . غدران : جمع غدير .

(٩) مشردة : تائهة . قدود : قوام .

لَقَـدْ رَأَى البَـانَ لاَ تَسْعَى بِـهِ قَـدَمٌ فَيَـالِـدَهْشَتِـهِ لمّـا مَشَى البَـانُ (١٠)
غِيـدٌ لَهَـا مِنْ شَـذَى لُبْنَـانَ نَفْحَتُـهُ وَمِنْ مَجَـانِيـهِ تُفَّـاحٌ وَرُمَّـانُ (١١)
مِنْ نَبْعِـهِ خُلِقَـتْ ، مَـا بَـالُهَـا صَـرَفَتْ سِرْبَ الشِّفَاهِ الحَيَارَى وَهُوْ ظَمْآنُ ؟ (١٢)
عَيْنَـانِ أَسْكَـرَتَـا شِعْـرِى فَإِنْ عَثَـرَتْ بِـهِ السَّبِيلُ ، فَعُـذْرًا فَهُـوْ نَشْـوَانُ (١٣)
وَطَلْعَـةٌ كَخُـدُودِ الـزَّهْـرِ غَـازَلَهَـا مِنَ الأَصَـائِلِ أَطْيَـافٌ وَأَلْـوَانُ (١٤)
مِنَ المَـلاَئِكِ إِلاَّ أَنَّهَـا بَشَـرٌ وَأَنَّ نَظْـرَتَهَـا البَهْمَـاءَ شَيْطَـانُ (١٥)

* * *

لِلَّـهِ أَيَّـامُنَـا الأُولَى الَّتِى سَلَفَتْ وَلِلصَّبَـابَـةِ مَيْـدَانٌ وَمَيْـدَانُ (١٦)
وَالحُبُّ كَـالطَّيْـرِ رَفَّـافٌ عَلَى فَنَنٍ لَـهُ إِلَى الإِلْفِ تَغْـرِيـدٌ وَتَحْنَـانُ (١٧)
هَيْمَـانُ وَالمَـاءُ فِى لُبْنَـانَ عَنْ كَثَبٍ لَكِنَّـهُ بِسِـوَى الأَمْـوَاهِ هَيْمَـانُ (١٨)
بَدَتْ لَـهُ جَارَةُ الـوَادِى الخَصِيبِ ضُحًا كُلُّ الأَحِبَّـةِ فِى لُبْنَـانَ جِيـرانُ (١٩)
فَـأَرْسَلَ العَيْنَ فِى صَمْـتٍ بَـلاَغَتُـهُ بِكُلِّ مَـا قَـالَ فِى دُنْيَاهِ سَحْبَـانُ (٢٠)

---

(١٠) البان : شجر يتصف بطوله واستوائه ويضرب به المثل للرشاقة .

(١١) شذا : الرائحة الذكية النفّاذة نفحته . مجانيه : حصاده .

(١٢) نبعه : أصله . سرب : جماعة .

(١٣) عثرت : سقطت وكبت . نشوان : فرحان متمايل .

(١٤) طلعة : رؤية وجهه . أصائل : جمع أصيل وهو الوقت من بعد العصر إلى غروب الشمس . أطياف : أخيلة .

(١٥) البهماء : المبهمة .

(١٦) سلفت : مضت . الصبابة : رقة الشوق وحرارته .

(١٧) رفاف : متحرك مرفرف . فنن : غصن . الإلف : الأليف المحبوب .

(١٨) هيمان : هائم عطشان . كثب : قرب .

(٢٠) سحبان : هو سحبان بن وائل خطيب العرب وضرب به المثل فى الفصاحة .

وَللعُيُـــــونِ أحَـــادِيثٌ بِـــــلاَ كَلِمٍ | وَكَمْ لَهَـا فِي الهَــوَى شَـرْحٌ وَتِبْيـانُ (٢١)
وَالحُبُّ سِـــرٌّ مِنَ الفِــرْدَوْسِ نَبْعَتُـــهُ | وَخَيْـرُ مَــا يَحْفَظُ الأَسْــرَارَ كِتْمَـانُ (٢٢)
رَنَــا لَهَــا فَتَمَـــادَتْ فِـى تَـدَلُّلِهَـــا | العَيْنُ غَــاضِبَـةٌ ، وَالقَلْبُ جَــذْلانُ (٢٣)
وَغَطَّتِ الـوَجْـهَ بِـالمِنْـدِيلِ فِى خَفَـرٍ | كَمَــا تَــوارَى وَرَاءَ الشَّكِّ إِيمــانُ (٢٤)
وَأَعْــرَضَتْ وَإِبَــاءُ الغِيــدِ لُعْبَتُهَـــا | فَكُلَّمــا اشْتَـدَّ عُنْفًــا فَهْوَ إِذْعَــانُ (٢٥)
إِنَّ العَــذَارَى - حَمَــاكَ اللهُ - أُحْجِيَــةٌ | بِهَـا النُّفُــورُ رِضًــا ، وَالحَـقُّ نُكْـرَانُ (٢٦)
هَـزَزْتُ أَوْتَـارَ شِعْرِى حَـوْلَ شُـرْفَتِهَـا | كَمَــا تَــرَنَّـمَ بِــالأَسْحَــارِ رُعْيَــانُ (٢٧)
شِعْــــرٌ مِنَ اللهِ تَلْحِينًـــا وَتَهْيِئَـــــةً | لاَ النَّــاىُ نَاىٌ ، وَلاَ العِيـدانُ عِيـدانُ (٢٨)
إِذَا شَــا١ا أَنْصَتَتْ أُذْنُ الـــوُجُــودِ لَــهُ | وَلِلْــوُجُــودِ كَمَــا لِلنَّـــاسِ آذانُ (٢٩)
شَــدَا لَهَــا فَــرَأَى لَيْلُ الهَــوَى عَجَبًـا | وَلْهَى يُجَـاذِبُهَـا الأَشْــوَاقَ وَلْهَـانُ (٣٠)
رَيَّــا حَـوَتْ فِتْنَــةَ الــدُّنْيَـا غَـلاَئِلُهَــا | يَضُمُّهَـا شَــاعِرٌ لِلْغِيـدِ صَــدْيَـانُ (٣١)
لاَنَتْ لِشِعْــرِى كَمَـا لاَنَتْ مَعَــاطِفُهَـا | وَالشِّعْــرُ سِحْــرٌ لَــهُ بَحْــرٌ وَأَوْزَانُ (٣٢)
فَتَنْتُهَـــــا حِينَمَـــــا هَمَّتْ لِتَفْتِنَنِـى | وَالشِّعْــرُ لِلخَفِـرَاتِ البِيضِ فَتَّــانُ (٣٣)
سِـلاَحُهَـا لَحْظُهَــا المَـاضِى وَأَسْلِحَتِى | فَنٌّ يُجَــــرِّدُهُ لِلْغَـــزْوِ فَنَّـــــانُ (٣٤)

---

(٢٢) نبعته : أصله .

(٢٣) رنا : نظر بطرف عينه . جذلان : فرحان .

(٢٤) خفر : شدة الحياء . توارى : استتر واختفى .

(٢٥) إذعان : خضوع .

(٢٦) أحجية : ألغاز . النفور : البعد والجفاء .

(٣١) ريّا : بمعنى ناعمة . غلائلها : الملابس الشفافة الرقيقة . صديان : عطشان .

(٣٢)لانت : رقت وأطاعت . معاطفها : جوانبها .

(٣٣) فتنتها : سحرتها . الخفرات : شديدى الحياء .

(٣٤) لحظها : النظر بمؤخرة العين . يجرّده : يجرّد السيف من غمده أى يخرجه .

كَـانَ الشَّبَـابُ شَفِيعِى فِى نَضَارَتِـهِ   الـزَّهْـرُ مُـؤْتَلِقٌ ، وَالعُـودُ فَيْنَـانُ (٣٥)
مَـاذَا إِذَا لَمَحْتَنِى اليَـوْمَ فِى كِبَـرِى   وَمِلْءُ بُـرْدَىَّ أَسْقَـامٌ وَأَشْجَـانُ ؟ (٣٦)
طَـوَيْتُ مِنْ صَفَحَاتِ الـدَّهْـرِ أَكْثَرَهَـا   وَعَـرَّقَتْنِى تَصَـارِيفٌ وَحِـدْثَـانُ (٣٧)
إِنِّى كِتَـابٌ إِلَى الأَجْيَـالِ تَقْـرَؤُهُ   لَـهُ التَغَنِّـى بِمَجْدِ العُـرْبِ عُنْـوَانُ (٣٨)

* * *

مَجْدٌ عَلَى الـدَّهْـرِ مُـذْ كَـانَتْ أَوَائِلُـهُ   وَدَوْلَـةٌ لِبَنِى الفُصْحَى وَسُلْطَـانُ (٣٩)
صَـوَارِمٌ رِيعَتْ الـدُّنْيَـا لِـوَثْبَتِهَـا   وَحُطِّمتْ صَـوْلَجَـانَـاتٌ وَتِيجَـانُ (٤٠)
النَّـاسُ عِنْـدَهُمُ أَبْنَـاءُ وَاحِـدَةٍ   فَلَيْسَ فِى الأَرْضِ سَـادَاتٌ وَعُبْـدَانُ (٤١)
تَـرَاكَضُـوا فَـوْقَ خَيْلٍ مِنْ عَـزَائِمِهِمْ   لَهُمْ مِنَ الحَقِّ أَسْيَـافٌ وَخُـرْصَـانُ (٤٢)
وَكُلَّمـا هَـدَمُـوا لِلْشِـرْكِ بَـاذِخَـةً   أُقِيمَ لَلـدِّيـنِ وَالقِسْطَـاسِ بُنْيَـانُ (٤٣)
فِى السِّلْمِ إِنْ حَكَمُـوا كَـانُوا مَـلاَئِكَـةً   وَفِى لَظَى الحَرْبِ تَحْتَ النَّقْعِ جِنَّانُ (٤٤)
أَقْـلاَمُهُمْ سَـايَرَتْ أَسْيَـافَ صَـوْلَتِهِمْ   لِلسَّيْفِ فَتْحٌ ، وَلِـلأَقْـلاَمِ عِـرْفَـانُ (٤٥)
فَـأَيْنَ مِنْ شَـرْعِهِـمْ رُومَـا وَمَـا تَـرَكَتْ ؟   وَأَيْنَ مِنْ عِلْمِهِمْ فُـرْسٌ وَيُـونَـانُ ؟ (٤٦)

---

(٣٥) فينان . الحسن الطويل .
(٣٦) بردى : البرد كساء أسود تلبسه العرب .
(٣٧) عرقتنى . بمعنى أجهدتنى . تصاريف : نوائب ومكاره . حدثان : أحداث .
(٤٠) صوارم : قواطع . ريعت : فزعت . صولجانات : جمع صولجان وهو عصاة الملك .
(٤١) عبدان : عبيد .
(٤٢) تراكضوا : أسرعوا فى العدو . خرصان : الرماح .
(٤٣) الشرك : الكفر . باذخة : عالية . القسطاس : العدل .
(٤٤) لظى : نار ملتهبة . النقع : الغبار . جنان : من الجن .
(٤٥) صولتهم : الشجاعة والإقدام .
(٤٦) شرعهم : منهجهم وطريقتهم .

كَانُوا أَسَاتِذَةَ الآفَاقِ كَمْ نَهِلَتْ ... مِنْ فَيْضِهِمْ أُمَمٌ ظَمْأَى وَبُلْدَانُ (٤٧)

كَانُوا يَدًا ضَمَّتْ الدُّنْيَا أَصَابِعُهَا ... فَفَرَّقَتْهَا حَزَازَاتٌ وَأَضْغَانُ (٤٨)

* * *

تَنَمَّرَ الغَرْبُ وَاحْمَرَّتْ مَخَالِبُهُ ... وَأَرْهَفَتْ نَابَهَا لِلْفَتْكِ ذُؤْبَانُ (٤٩)

ثَارَاتُ طَارِقٍ الأُولَى تُؤَرِّقُهُمْ ... وَمَا لِمَا تَتْرُكُ الثَّارَاتُ نِسْيَانُ (٥٠)

تَيَقَّظَ اللَّيْثُ لَيْثُ الشَّرْقِ مُحْتَدِمًا ... فَارْتَجَّ مِنْهُ الشَّرَى وَاهْتَزَّ خَفَّانُ (٥١)

غَضْبَانُ رَدَّ إِلَى اليَافُوخِ عُفْرَتَهُ ... وَمَنْ يُصَاوِلُ لَيْثًا وَهْوَ غَضْبَانُ ؟ (٥٢)

لَقَدْ حَمَيْنَا أُبَاةَ الضَّيْمِ حَوْزَتَنَا ... مِنْ أَنْ تُبَاحَ وَدِنَّاهُمْ كَمَا دَانُوا (٥٣)

* * *

بَنِى العُرُوبَةِ إِنَّ اللهَ يَجْمَعُنَا ... فَلاَ يُفَرِّقُنَا فِى الأَرْضِ إِنْسَانُ (٥٤)

لَنَا بِهَا وَطَنٌ حُرٌّ نَلُوذُ بِهِ ... إِذَا تَنَاءَتْ مَسَافَاتٌ وَأَوْطَانُ (٥٥)

غَدَا الصَّلِيبُ هِلاَلاً فِى تَوَحُّدِنَا ... وَجَمَّعَ القَوْمَ إِنْجِيلٌ وَقُرْآنُ (٥٦)

وَلَمْ نُبَالِ فُرُوقًا شَتَّتَتْ أُمَمًا ... عَدْنَانُ غَسَّانُ أَوْ غَسَّانُ عَدْنَانُ (٥٧)

أَوَاصِرُ الدَّمِ وَالتَّارِيخِ تَجْمَعُنَا ... وَكُلُّنَا فِى رِحَابِ الشَّرْقِ إِخْوَانُ (٥٨)

---

(٤٧) الآفاق : النواحى . نهلت : أخذت وشربت . فيضهم : عطائهم .

(٤٩) ذؤبان : ذئاب .

(٥٠) طارق : هو طارق بن زياد الفاتح العربى المشهور .

(٥١) محتدمًا : هائجًا غاضبًا . ارتج : اهتز . الشرى : طريق كثير الأسود . خفان : الملك .

(٥٢) اليافوخ : المخ . عُفرته : بمعنى لبدة الأسد . يصاول : يهاجم .

(٥٣) أباة الضيم : الذين لا يرضون بالذل والهوان . حوزتنا : بلادنا .

(٥٧) عدنان : من آباء العرب وأطلق اسمه على العدنانيين نسبة إليه . غسّان : أبو العرب الغساسنة ويدينون بالمسيحية .

قَلْبِى وَفَيْضُ دُمُـوعِى كُلَّمَـا خَطَـرَتْ ... ذِكْـرَى فِلَسْطِينَ خَفَّـاقٌ وَهَتَّـانُ (٥٩)
لَقَـدْ أَعَـادَ بِهَـا التَّـارِيخُ أَنْـدَلُسًـا ... أُخْرَى ، وَطَافَ بِهَا لِلشَّـرِّ طُوفَـانُ (٦٠)
مِيـرَاثُنَـا فِى فَتَى حِطّيـنَ أَيْنَ مَضَى ؟ ... وَهَلْ نِهَـايَتُنَـا يُتْـمٌ وَحِـرْمَـانُ ؟ (٦١)
رُدُّوا تُـرَاثَ أَبِينَـا مَـا لَكُمْ صِلَـةٌ ... بِـهِ وَلاَ لَكُمْ فِى أَمْـرِنـا شَـانُ (٦٢)
مُصِيبَـةٌ بَـرِمَ الصَّبْـرُ الجَمِيلُ بِهَـا ... وَعَـزَّ فِيهَـا عَلَى السُّلْـوَانِ سُلْـوَانُ (٦٣)
بَنِى فِلَسْطِيـنَ كُـونُـوا أُمَّـةً وَيَـدًا ... قَـدْ يَخْتَفِى فِى ظِـلاَلِ الوَرْدِ ثُعْبَـانُ (٦٤)
وَكَيْفَ يَـأْمَـنُ رُعْيَـانٌ وَإِنْ جَهِـدُوا ... إذا تَـرَدَّى ثِيَابَ الشَّـاءِ سِرْحَـانُ ! ؟ (٦٥)

* * *

وَمِصْـرُ وَالنِّيـلُ مَاذا اليَـوْمَ خَطْبُهُمَـا ؟ ... فَقَـدْ سَرَى بِحَـدِيثِ النِّيلِ رُكْبَـانُ (٦٦)
كِنَـانَـةُ اللهِ حِصْنُ الشَّـرْقِ تَحْـرُسُـهُ ... شِيبٌ خِفَـافٌ إِلَى الْجُلَّى وَشُبَّـانُ (٦٧)
أَبَـوْا عَلَى القَسْـرِ أَنْ يَـرْضَـوا مُعَـاهَـدَةً ... بِكُلِّ حَـرْفٍ بِهَـا قَيْـدٌ وَسَجَّـانُ (٦٨)
وَكَمْ مَشَـوْا لِلِقَـاءِ المَـوْتِ فِى جَـذَلٍ ... وَالمَـوْتُ مُنْكَمِشُ الأَظْفَـارِ خَزْيَـانُ (٦٩)
لِكُلِّ جِسْـمٍ شَـرَايِيـنٌ يَعِيشُ بِهَـا ... وَمِصْـرُ لِلشَّـرْقِ وَالإِسْـلاَمِ شِرْيَـانُ (٧٠)

* * *

---

(٦١) فتى حطين : هو القائد العربى الشهير صلاح الدين الأيوبى المنتصر فى معركة حطين .

(٦٥) رعيان : رعاة . تردّى : لبس . الشاء : الكثير من الغنم . سرحان : الذئب .

(٦٧) كنانة الله : المقصود « مصر » . شيب : بيض الشعر . خفـاف إلى الجلىّ : يهرعون فى خفة وسرعة إلى ميدان القتال .

(٦٨) أبوا : رفضوا . القسـر : الإكراه على الأمر . معاهدة : المقصـود معاهدة سنة ١٩٣٦ التى كـانت مبرمة بين مصر وانجلترا .

(٦٩) جذل : فرح . منكمش الأظفار : أظفاره غير طويلة لا يستطيع أن ينبشها فى ضحاياه . خزيان : مستح وخجلان .

بَنِى العُـــرُوبَــةِ مُـــدّوا لِلْعُلُـــومِ يَـــدًا فَلَنْ تُقَـــامَ بِغَيْـــرِ العِلْمِ أَرْكَـــانُ (٧١)

جَمَعْتُمُـــوا لِشَبَـــابِ الشَّرْقِ مُـــؤْتَمَـــرًا بِمِثْلِـــهِ تَـــزْدَهِى الفُصْحَى وَتَـــزْدَانُ (٧٢)

فَقَـــرِّبُـــوا نَهجَهُمْ فَـــالـــرُّوحُ وَاحِـــدَةٌ وَكُلُّهُمْ فِـــى مَجَـــالِ السَّبْقِ أَقْـــرَانُ (٧٣)

لاَ تَبْتَغُـــوا غَيْـــرَ إتْقَـــانٍ وَتَجْـــرِبَـــةٍ فَقِيمَـــةُ النَّـــاسِ تَجْـــرِيبٌ وَإتْقَـــانُ (٧٤)

وَحَبِّبُـــوا لُغَـــةَ العُـــرْبِ الفِصَـــاحِ لَهُمْ فَإنَّ خِـــذْلاَنَهَـــا لِلْشَّـــرْقِ خِـــذْلاَنُ (٧٥)

قُـــولُـــوا لَهُمْ إنَّهَـــا عُنْـــوَانُ وَحْـــدَتِهِمْ وَإنَّهُمْ حَـــوْلَهَـــا جُنْـــدٌ وَأَعْـــوَانُ (٧٦)

وَكَمِّلُـــوهُـــمْ بِأَخْـــلاَقٍ وَمَـــرْحَمَـــةٍ فَإنَّمَـــا المَـــرْءُ أَخْـــلاَقٌ وَوِجْـــدَانُ (٧٧)

مِن شاعرٍ إلى شاعِر

حينما توافد أدباء الأقطار العربية لتكريم المرحوم أحمد شوقى بك فى سنة ١٩٢٧م وتوليته إمارة الشعر حيّا الشاعر صديقه بهذه القصيدة .

وَقَفْتَ تُجَدِّدُ آثَارَهَا ... وَتُنْشِرُ لِلْعُرْبِ أَشْعَارَهَا (١)
وَتُرْجِعُ بَغْدَادَ بَعْدَ الفَنَاءِ ... تُحَدِّثُ لِلنَّاسِ أَخْبَارَهَا (٢)
وَتَبْعَثُ حَسَّانَ مِنَ رَمْسِهِ ... وَتُحْيِي عُكَاظَ وَسُمَّارَهَا (٣)
بِشِعْرٍ لَهُ نَبَرَاتٌ تَهُزُّ ... نِيَاطَ القُلُوبِ وَأَوْتَارَهَا (٤)
أطَاعَتْ قَوَافِيهِ بَعْدَ الشِّمَاسِ ... جَرِيءَ القَرِيحَةِ جَبَّارَهَا (٥)
وَنَظْمٍ لَهُ نَفَحَاتُ الرِّيَاضِ ... إِذَا نَقَّطَ الطَّلُّ أَزْهَارَهَا (٦)

---

(١) آثارها ، أى آثار اللغة العربية ، تنشر : تبعث بعد الموت .

(٢) بغداد : عاصمة العراق وهى تقع على نهردجلة أنشأها أبو جعفر المنصور وجعلها مقر ملكه . وكانت مهد الحضارة العربية وأزهى مدن العالم فى العصر العباسى لغة وعلما .

(٣) حسان : هو ابن ثابت الأنصارى الخزرجي الصحابى ، شاعر النبى – صلى الله عليه وسلم – أدرك الجاهلية والإسلام ، وتوفى سنة ٤٠ هـ . الرمس : القبر . عكاظ (يؤنث ويذكر ، فالتأنيث لغة الحجاز والتذكير لغة تميم) : سوق للعرب بين نخلة والطائف كانت تقوم هلال ذى القعدة وتستمر عشرين يومًا، وقيل شهرًا تجتمع فيها قبائل العرب فيتناشدون ويتفاخرون . السمار : المتسامرون .

(٤) نبراته : رنين إنشاده وجرس توقيعه . نياط القلب : عِرق غليظ نيط به القلب ، أى علق ، إلى الوتين .

(٥) القوافى : جمع قافية بمعنى القصيدة . الشماس : التأبى والامتناع . قريحة الشاعر : ملكته التى يقتدر بها على نظم الشعر .

(٦) نفحات الرياض : ما ينتشر عنها ويفوح من رائحة عطره . الطل : المطر الضعيف أو الندى .

فَمِنْ حِكْمَــــةٍ عَلَّمَتْهــا السِّنُــونَ حِــوارَ النُّفُــوسِ وَإِسْــرَارَهــا (٧)
لَهَــا صَفْحَــةُ الْكَــوْنِ مَنْشُــورَةٌ يُتَــرْجِمُ بِـالشِّعْــرِ أَسْطَـارَهــا (٨)

* * *

وَتَشْبِيبِ لاهٍ لَعُــوبِ الشَّبَــابِ يُنَــاجِى السَّمَــاءَ وَأَقْمــارَهــا (٩)
تَــرَاهُ وَظِلُّ الصِّبَــا وَارِفٌ جَمُــوحَ العَــرِيكَــةِ مَــوَّارَهــا (١٠)
يُغَنِّى كَمــا صَــدَحَتْ أَيْكَــةٌ وَقَــدْ نَبَّــهَ الصُّبْحُ أَطْيَــارَهَــا (١١)
وَيَبْكِى فَيُبْكِى رُسُــومَ الــدِّيَــارِ ، حَنَــانًــا عَلَيْــهِ ، وَآثَــارَهــا (١٢)
وَيَنْسَبُ حَتَى يَلِينَ الهَــوَى وَتَقْضِى الصَّبَــابَــةُ أَوطَــارَهَــا (١٣)
وَتَنْسَى الكَــوَاعِبُ آىَ الحِجَــابِ وَتَبْكِى العَجَــائِزُ أَعْمــارَهَــا (١٤)

* * *

وَتَصْــوِيــرِ طَبٌّ صَنَــاعِ اليَــدَيْنِ حَبَتْــهُ الطَّبِيعَــةُ أَسْــرَارَهــا (١٥)

---

(٨) منشورة : مبسوطة غير مطوية .

(٩) التشبيب : وصف الشاعر محاسن المرأة وتعديد مناحى الجمال فيها . لعوب الشباب : مرح به مدل . المناجاة : المسارة .

(١٠) الوارف : الواسع الممتد . وجعله للصبا ظلا وارفا ، كناية عن اكتمال قوته ، لأن الشجرة إذا تم نموها امتدت فروعها واتسع ظلها . جموح العريكة : أى له نفس قوية وطبيعة غالبة . الجموح : من صفات الخيل ، وهو الذى يركب رأسه لا يثنيه شيء . الموّار : فعال من المور ، وهو مبالغة في الثورة والاضطراب .

(١١) الصدح : رفع الصوت بالغناء . الأيكة : الحديقة ذات الأشجار الكثيرة الملتفة .

(١٢) رسوم الديار : آثارها التى تبقى على الأرض دالة عليها .

(١٣) النسيب : التشبيب بالمرأة فى الشعر وذكر محاسنها . الصبابة : حرارة الشوق والهوى . الأوطار : جمع وطر (بالتحريك) وهو الحاجة .

(١٤) الكواعب : جمع كاعب ، وهى الجارية نهد ثديها .

(١٥) الطب (بالفتح) : الماهر فى عمله . صناع اليدين : يحذق الصنعة بهما . حبته : منحته ، وخلعت عليه .

كَـأنَّ (رُفَــــائِيـلَ) فـي كَفِّـــــهِ يُعِيــدُ الفُنُــونَ وَأَعْصَــارَهَـــا (١٦)
يُـــــرِيكَ إذَا خَـطَّ فِي طِـــرْسِـــهِ حَيَــــاةَ القُــــرُونِ وأدْوَارَهَـــــا (١٧)
وَيَـــرْسُمُ (أنــــدَلُسًـــا) بِـــاليَـــرَاعِ فَتَلْمِسُ كَفُّكَ أَسْــــــوارَهَـــــا (١٨)
وَإِنْ وَصَفَ الحَـــرْبَ خِلْتَ الْحِــرابَ تَسُــــدُّ مِنَ الأرْضِ أقْطَــارَهَـــا (١٩)
فَتُمْسِكُ جَنْبَكَ ذُعْـــــرًا تَخَــــافُ قَنَــــاهَــــا وتَـــرْهَبُ بَتَّـــارَهَــا (٢٠)
أشَــــوْقِي وَأنْـتَ طَبِيبُ النُّفُــــوسِ وَضَعْتَ عَـنْ النَّفْسِ آصَــارَهَـــا (٢١)

* * *

نَصَـــرْتَ الفَضِيلَـــةَ ، مِنْ بَعْــدِ أنْ طَـوَاهَــا الــزَّمَــانُ ، وَأنْصَــارَهَــا (٢٢)
وَجِئْتَ لِمِصْـــــرَ كَعِيسَى المَسِيحِ تُفَتِّحُ لِلنُّـــورِ أَبْصَـــارَهَــــا (٢٣)
بِــــآيٍ تُفَصِّلُهَـــــا مُحْكَمَـــاتٍ كَأنَّ مِـنَ الــوَحْيِ أفْكَــارَهَـــا (٢٤)
تَــرُدُّ الشبِيبَــــةَ لِلصَّــــالِحَـــاتِ وَتَــرْجِعُ لِلـــدِّينِ هَتَّـــارَهَـــا (٢٥)
جَـــزَيْتُ بِشِعْـــرِكَ شِعْــــرًا وَهَلْ تُجَـازِي الخَمَــائِلُ أَمْطَــارَهَــا ؟ (٢٦)
فَكُنْتَ شَــرِيـفَ قَــوَافِي البَيَـــانِ وَكُنْتُ بِفَضْلِكَ مِهْيَـــارَهَـــا (٢٧)
فَغَــــرِّدْ كَمَـــا شِئْتَ لافُضَّ فُــوكَ وَعِشْ بَطَـلَ الضَّـادِ مِغْــوَارَهَـــا (٢٨)

---

(١٦) رفائيل : مصور إيطالى مبدع ولد فى ٦ ابريل ١٤٨٣م وتوفى فى ٦ أبريل ١٥٢٠م . الأعصار : الأزمنة ، الواحد ، عصر (بالفتح) .
(١٧) الطرس : الصحيفة يكتب فيها .
(١٨) اليراع : القلم .
(٢١) الآصار : جمع إصر ، وهو ماتئن تحته النفس من أثقال وأعباء .
(٢٣) يشير إلى معجزة عيسى عليه السلام فى إبرام الأكمه .
(٢٥) يريد بالهتار : الذى غلبه الشيطان على عقله فمرق من الدين واستخف بتعاليمه .
(٢٦) الخمائل : المواضع الكثيرة الشجر ، الواحدة خميلة .
(٢٧) مهيار : هو الأديب الشاعر أبو الحسن مهيار بن مرزويه الفارسى الديلمى ، المعروف بجودة الصياغة وقوة الشعر ، وقد كانت وفاته ليلة الأحد لخمس خلون من شهر جمادى الآخرة سنة ٤٢٨هـ .

وَصِيَّة

عرض على الشاعر بعض أصدقائه قطعة نثرية باللغة الفرنسية يوصى فيها كاتبها ابنته بالتحلى بكريم الصفات ، ثم طلب إليه أن يقول شعرًا على مثالها فنظم هذه القصيدة فى سنة ١٩١٨م .

يَـــابْنَتِى إِنْ أَرَدْتِ آيَـــــةَ حُسْـنٍ ... وَجمَــالاً يَــزِينُ جِسْمــاً وَعَقْــلاً (١)

فَــانْبِــذِى عَـــادَةَ التَّبَــرُّجِ نَبْــذًا ... فَجَمَـــالُ النُّفُــوسِ أَسْمَـى وَأَعْلَى (٢)

يَصْنَـعُ الصَّـــانِعُـــونَ وَرْدًا وَلَكِـنْ ... وَرْدَةُ الـرَّوْضِ لا تُضَـارَعُ شَكْــلا (٣)

صِبْغَــةُ اللهِ صِبْغَـــةٌ تَبْهَــرُ النَّفْــــ ... ــسَ ، تَعَــالَى الإِلَــهُ عَــزَّ وَجَــلاّ (٤)

ثُمَّ كُــونى كَــالشَّمْسِ تَسْطَعُ لِلنَّــــ ... ــاسِ سَـواءً : مَـنْ عَـزَّ مِنْهُمْ وَذَلاّ (٥)

فَــامْنَحِى المُثْـرِيَـاتِ لِينًــا وَلُطْفًــا ... وَامْنَحِى البـائِسَـاتِ بِـرًّا وَفَضْــلا (٦)

زِينَــةُ الــوَجْـهِ أَنْ تَـرَى العَيْـنُ فِيــهِ ... شَـــرَفـاً يَسْحَــرُ العُيُــونَ وَنُبْــلا (٧)

وَاجْعَلِى شِيمَـــةَ الْحَيَـــاءِ خِمــارًا ... فَهْــوَ بِـــالْغَـادَةِ الكَـرِيمَـــةِ أَوْلَى (٨)

لَيْسَ لِلْبِنْـتِ فِـي السَّعـــــادَةِ حَظٌّ ... إِنْ تَنَــاءَى الحيَـاءُ عَنْهـــا وَوَلَّى (٩)

والْبَسِى مِـنْ عَفَــافِ نَفْسِكِ ثَــوْبــاً ... كُلُّ ثَــوْبٍ سِـــوَاهُ يَفْنَى وَيَبْلَى (١٠)

وإِذا مَــارَأَيْـتِ بُــؤْســاً فَجُــودِى ... بِـدُمُـوعِ الإِحْسَـانِ يَهْطِلْـنَ هَطْـلا (١١)

---

(١) الآية : العلامة .

(٨) الشيمة : السجية والطبع . الخمار : ماتغطى به المرأة رأسها ووجهها .

(١١) يهطل : ينصب انصبابا فى تتابع وكثرة .

فَدُمُوعُ الإحْسانِ أَنْضَرُ فِي الْخَدِّ   وَأَبْهَى مِنَ اللآلِي وَأَغْلَى (١٢)

وَانْظُرِي فِي الضَّمِيرِ - إِنْ شِئْتِ مِرْآ   ةً - فَفِيهِ تَبْدُو النُّفُوسُ وَتُجْلَى (١٣)

ذاكَ نُصْحِي إِلَى فتَاتِي وَسُؤْلِي   وَابْنَتِي لاتَرُدُّ لِلأَبِ سُؤْلا (١٤)

دَارُ العُلوم

احتفل كبار خريجى دار العلوم فى شهر أغسطس سنة ١٩٢٧م بانقضاء خمسين عاما منذ إنشائها . وقد حضر هذا الحفل الجامع عِلية رجال مصر ، وخيرة علمائها وأدبائها . وأنشد الشاعر هذه القصيدة فى هذا المهرجان .

يَا خَلِيلَيَّ خَلِّيَانِى وَمَا بِى ... أَوْ أَعِيدَا إِلَيَّ عَهْدَ الشَّبَابِ (١)

حُلُمٌ قَدْ مَضَى ، وَأَيَّامُ أُنْسٍ ... ذَهَبَتْ غَيْرَ مُزْمِعَاتِ الإِيَابِ (٢)

وَأَزَاهِيرُ كُنَّ تَاجَ عَرُوسٍ ... عُفِّرَتْ بَعْدَ لَيْلَةٍ فِى التُّرَابِ (٣)

وَبِسَاطٌ لِلشَّارِبِينَ يُصَلِّى ... فِيهِ إِبْرِيقُهُمْ بِلا مِحْرَابِ (٤)

فِى حَدِيثٍ أَحْلَى مِنَ الأَمَلِ الْحُـ ... ـلْوِ وَأَصْفَى دِيبَاجَةً مِنْ شَرَابِ (٥)

كُلُّ فَصْلٍ كَأَنَّهُ صَفْحَةُ الرَّوْ ... ضِ وَعِنْدَ العُقَارِ فَصْلُ الْخِطَابِ (٦)

وَمُجُونٌ يَحُوطُهُ الأَدَبُ الْجَـ ... ـمُّ فَمَا رَاعَهُ اللِّسَانُ بِعَابِ (٧)

يَتَغَنَّوْنَ بِالنُّوَاسِيِّ حِينًا ... وَبِشِعْرِ الفَتَى أَبِى الْخَطَّابِ (٨)

---

(٤) يريد بصلاة الابريق : ميله فى أيدى الشاربين ليصبوا منه الخمر ثم اعتداله . تشبيهًا بركوع المصلى واستوائه . المحراب : مكان الإمام في المسجد .

(٥) ديباجة الشيء : رواؤه ومظهره .

(٦) الفصل : القطعة من الحديث . صفحة الروض : مابدا لك منه موشى بالزهر والنور . العقار : الخمر . فصل الخطاب : الكلام يسمو فلايدرك له شأو ولا مدى .

(٨) النواسى : هو أبو نواس الحسن بن هانىء الشاعر المتفنن الجاد الماجن . ولد بقرية كور خوزستان سنة ١٤٥هـ . وتوفى ببغداد سنة ١٩٩هـ . وأبو الخطاب : هو عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة القرشى ، أشعر قريش وأرق أصحاب الغزل وأوصف الشعراء لأحوال النساء ، ولد بالمدينة ليلة مات عمر بن الخطاب ومات محترقًا فى سفينة سنة ٩٣هـ . وخص النواسى وأبا الخطاب لما عرف عن الأول من مجونه ووصفه للخمر ، وعن الثانى من غزله وتشبيبه .

كُلَّمـــا هَـــزَّتِ الْمُـــدَامُ يَـــدَيْهِمْ قَهْقَهَـتْ ثُلَّـــةٌ مِـنَ الأكْـــوَابِ (٩)
صـــاحَ فِيهِـمْ دِيكُ الصَّبـاحِ فَطـــارُوا كُلُّ جَمْـعٍ لِفُـرْقَـةٍ وَاغْتِـرَابِ ! (١٠)

* * *

يَـاشَبـابًـا أَقَـامَ أَقْصَـرَ مِنْ حَسْـــ ـــوَةِ طَيْـرٍ عَلَى وَحًى وَارْتِيَـابِ (١١)
لَكَ عُمْـرُ النَّـدَى يَطِيـرُ مَعَ الشَّمْـــ ـــسِ وَعُمْـرُ الْبُـرُوقِ بَيْنَ السَّحـابِ (١٢)
كُنْتَ فِينـا كَمــا لَمَحْنَـا حَبـابًـا فَنَظَـرْنَـا فَلَمْ نَجِـدْ مِنْ حَبَـابِ (١٣)
وَعَــرَفْنَـاكَ مُـــذْ ذَهَبْتَ كَمـا يُعْـــ ـــرَفُ فَضْلُ النُّبُـوغِ بَعْـدَ الـذَّهَـابِ (١٤)
مُـــذْ خَلَعْنَـــا ثِيــابَكَ الْقُشْبَ لَـمْ نَنْـــ ـــعَمْ بِشَىْءٍ مِنْ مُنْفِسَـاتِ الثِّيَـابِ (١٥)
وَرَأَيْنَــا فِى لَـوْنِـكَ الفَـاحِمِ اللمّـــ ـــاحِ هُـزْوًا بِلَـوْنِ كُلِّ خِضَـابِ (١٦)
أَيْنَ لَـوْنُ الْحَيَـاةِ وَالقَهْـرِ وَالقُـــ ـــوَّةِ مِـنْ لَـوْنِ نَـاصِلِ الأعْشَـابِ؟(١٧)

* * *

يَـاسَـوَادَ العُيُـونِ ! يَـاحَبَّـةَ القَلْبِ ! وَيَـاخَـالَ كُلِّ خَـوْدٍ كَعَـابِ! (١٨)
سَـــرَقَ اللَّيْلُ مِنْكَ لَـــوْنَـا فَـأَمْسَى مَسْـرَحَ اللَّهْـوِ مَـوْطِنَ الإطْـرَابِ (١٩)

---

(٩) المدام : الخمر . القهقهة : ارتفاع الصوت بالضحك . الثلة : الجماعة .

(١١) حسوة الطير : المرة من شربه ، ولاتكون إلا بمقدار مايضع منقاره فى الماء ثم يرفعه فى عجلة وخوف شأن الذى يشغله مايريبه ، فهو يخاف أن يؤتى من مأمنه . الوحى : العجلة والسرعة . الارتياب : الشك .

(١٣) الحباب : الفقاقيع تعلو سطح الماء .

(١٥) القشب : الجديدة من الثياب ، الواحد : قشيب . منفسات الثياب : النفيس المرغوب فيه منها .

(١٧) القهر : الغلبة والاستطالة . ناصل الأعشاب : الذابل الذى ذهب لونه .

(١٨) سواد العيون : أعز شىء فيها . حبة القلب : سويداؤه . الخال : الشامة السوداء فى الخدّ . والخود الشابة الحسنة الخلق الناعمة . الكعاب : الناهدة الثديين .

وَرَأَى فِيكَ أَحْمَــدُ لَــوْنَ كــافُــ ـــورٍ فَغَنَّى خَــوالِــدَ الآدَابِ (٢٠)
بَسْمَــةٌ لِلــزَّمَــانِ أَنْتَ ، تَلَتْهــا كَشْــرَةٌ لِلــزَّمَــانِ عَنْ أَنْيــابِ (٢١)
تُلْمِــا رُبَّتْ خَــدَعَ نَفْسِــي بِنَفْسِي كَشَفَتْ لِي الْمِرْآةُ وَجْـهَ الصَّوَابِ (٢٢)
رُبَّ صِــدْقٍ تَــوَدُّ لَــوْ كَــانَ كِـذْبًا وَكِـذَابٍ لَوْ كـانَ غَيْـرَ كِـذَابِ! (٢٣)
لَيْتَ لِي لَمْحَــةً أُعِيــدُ بِهــا مِنْــ ـكَ بَقَايا تِلْكَ الأَمَانِي العِذَابِ (٢٤)
حَيْثُ أَخْتَــالُ نَــاضِـرَ العُــودِ بَسَّـــ ـــامًا كَثِيرَ الهَــوَى قَلِيلَ العِتَــابِ (٢٥)
فِي صِحَــابٍ مِثْلِ الــدَّنَــانِيــرِ لاتَبْــ ـلَى مَــوَدَّاتُهُمْ بِطُــولِ الصِّحَــابِ (٢٦)
بِــوُجُــوهٍ غُــرٍّ تَــرَاهــا فَتَتْلُــو فِي أَسَــارِيــرِهــا سُطُــورَ كِتَــابِ (٢٧)
نَسْبِقُ الْخَطْــوَ لِلسُّــرُورِ وِثَــابًــا لاتُنَــالُ الْمُنَى بِغَيْــرِ الــوِثَــابِ (٢٨)
وَنَجُــرُّ الــذُّيُــولَ فِي غَيْــرِ نُكْــرٍ طَاهِرِي النَّفْسِ طَاهِرِي الْجِلْبَابِ (٢٩)
إِنْ دَعَــانــا الهَــوَى لِغَيْــرِ سَـدِيـدٍ سَــدَّدَتْنـا كَــرَائِمُ الأَحْسَــابِ (٣٠)
زَيْنَبٌ ، أَيْـنَ مِنْكِ زَيْنَبُ ، وَالشَّمْــ ـلُ جَمِيعٌ وَالعَيْشُ خِصْبُ الْجَنَابِ؟ (٣١)
وَبَنَــاتُ الثُّغُــورِ يَلْعَبْنَ بِــالأَلْــ ـبابِ لِعْبَ الشَّمُولِ بـالأَلْبابِ (٣٢)

---

(٢٠) أحمد : هو أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبى ، الشاعر الحكيم ، صاحب الأمثال السائرة ، والمعانى النادرة . ولد بالكوفة سنة ٣٠٣هـ ومات مقتولاً سنة ٣٥٤هـ . وكافور : هو أبو المسك الإخشيدى كان أسود اللون . تولى كافور ملك مصر سنة ٣٥٥هـ وبقى عليها إلى أن مات سنة ٣٥٧هـ . وكان أبو الطيب اتصل بكافور ومدحه ، رجاء أن ينال مالم ينل عند غيره .

(٢٧) غر : بيض . يصفها بالسماحة والطلاقة . أسارير الوجه : غضونه وخطوطه .

(٢٩) نجر الذيول : أى نمشى فى تيه واختيال .

(٣١) زينب : كنى بها الشاعر عن المحبوبة . الجناب : الناحية . خصب الجناب : أى معشب النواحى مخضرها . وهو كناية عن رغد العيش وخفضه .

(٣٢) بنات الثغور : يشير إلى موطنه الأول رشيد ، وهى ثغر من الثغور المصرية المعروفة بجمال خودها ، وحسن غيدها ، ويذكر أيامه الأولى بها . الألباب : العقول . الشمول : الخمر .

يَتَظَاهَرْنَ بِالْحِجَابِ ، وَهَلْ أَذْكَـ ... سى الجَوَى غَيْرُ لُؤْمِ ذَاكَ الحِجَابِ؟ (٣٣)
كَمْ وُجُوهٍ تَنَقَّبَتْ بِسُفُورٍ ... وَوُجُوهٍ قَدْ أَسْفَرَتْ بِنِقَابِ ! (٣٤)
أَيْنَ تِلْكَ الأَيَّامُ ؟ بَانَتْ وَبِنَّا ... وَتَوَلَّتْ بَشَاشَةُ الأَحْبَابِ ! (٣٥)

* * *

لَيْتَ شِعْرِي ، أَيَرْجِعُ الأَمْسُ عَهْدًا ... غَصَبَتْهُ الأَيَّامُ أَيَّ اغْتِصَابِ؟ (٣٦)
عَهْدَ دارِ العُلُومِ - أَنْتَ يَدَ الدَّهْـ ... ـرِ - جَمَالُ الدُّهُورِ وَالأَحْقَابِ (٣٧)
إنْ ذَكَرْنَاكَ هَزَّنَا الشَّوْقُ لِلشَّـ ... ـوْقِ وَلَهْوِ اللِّدَاتِ وَالأَتْرَابِ (٣٨)
أَنْتَ خِدْنُ الشَّبابِ ، بَيْنَكُما فِى الْـ ... ـوَهْمِ قُرْبَى وَشِيجَةُ الأَنْسَابِ (٣٩)
فَكَأَنِّى أَرَى الزَّمَانَ وَقَدْ دَا ... رَ وَعَادَ الصِّبا نَضِيرَ الإِهَابِ (٤٠)
وَأَرَى «الْجَارِمَ» الفَتِيَّ يَقُودُ الْحَـ ... ـشْدَ فِى جَحْفَلٍ مِنَ الطُّلَّابِ (٤١)
وَاثِبًا لاهِياً ، لَعُوباً ضَحُوكاً ... غَيْرَ مَاوَاجِلٍ وَلاهَيَّابِ (٤٢)
وَاثِقًا بِالإلهِ ، لَيْسَ يَرَى الصَّعْبَ ... سِوَى أَنْ تَهابَ خَوْضَ الصِّعَابِ (٤٣)
فَهُوَ كَالطَّائِرِ الطَّلِيقِ،فَحِيناً ... فِى وِهَادٍ وَمَرَّةً فِى هِضَابِ (٤٤)

---

(٣٣) الحجاب : ماتضعه المرأة على وجهها تستره به . الجوى حرقة الوجد وشدته . إذكاء الجوى : إشعاله وإيقاده .

(٣٥) بانت وبنا : انقطعت عنا وانقطعنا عنها . تولت بشاشة الأحباب : أى حرمنا الهرم والكبر أنس الشباب وبشره .

(٣٧) يد الدهر : أى طول الزمان . الأحقاب : السنون .

(٣٨) هزنا الشوق : استخفنا وحركنا . اللدات والأتراب : المماثلون لك فى سنك .

(٣٩) الخدن : الصديق . وشيجة : مشتبكة لاانفصام لها .

(٤٠) وقد دار : أى عاد بنا إلى سيرتنا الأولى من الصبا والشباب . الإهاب : الجلد . نضرة الإهاب : دليل الشباب والفتوة .

(٤٢) الواجل : الخائف . الهياب : غير المقدام الذى يفقد الجرأة رعبا وفزعا .

عَـــابِثٌ بِـــالغُصُـــونِ فِـى ظِلِّ رَوْضٍ ... حَـــاكَ أَفْـــوافَـــهُ مُلِثُّ الـــرَّبَـــابِ (٤٥)
يَحْمِلُ الكُتْبَ فِي الصَّبَـــاحِ ، وَلِـلآمــ ... ـــالِ فِي صَـــدْرِهِ نَئِيجُ العُبَـــابِ (٤٦)
رَأْسُـــهُ رَأْسُ مَـالِـــهِ ، وَامْتِــلاءُ الــ ... ـــرَّأْسِ خَيْـرٌ مِنَ امْتِـلاءِ الـوِطَـابِ (٤٧)
كُلُّ يَـــوْمِ فِي الامْتِحَـــانَـــاتِ هَيْنٌ ... خَطْبُهُ غَيْـرَ خَطْبِ يَـوْمِ الْحِسَـابِ (٤٨)

* * *

إِيـــهِ دارَ العُلُـــومِ ، كُنْتِ بِمِصْــرٍ ... فِي ظَـلامِ الـدُّجَى ضِيَـاءَ الشِّهَـابِ (٤٩)
فِي زَمَـــانٍ مَنْ كَـــانَ يُمْسِكُ فِيـــهِ ... قَلَمًـــا عُـــدَّ أَكْتَبَ الكُتَّـــابِ ! (٥٠)
أَنْتِ أُمُّ الأَشْبَـــالِ ، إِنْ غَـــابَ لَيْثٌ ... صَـــالَ لِلْحَقِّ بَعْـدَهُ لَيْثُ غَـــابِ (٥١)
تَلِـــدِيـنَ البَنِينَ مِـنْ كُـلِّ مَـــاضٍ ... شَمَّـــرِيٍّ مُـــزَاحِمٍ وَثَّـــابِ (٥٢)
شَـاعِـــرٍ يُنْصِتُ الـوُجُـــودُ إذا قَـــا ... لَ وَيَهْتَـــزُّ هِـــزَّةَ الإِعْجَـــابِ (٥٣)
شِعْـــرُهُ زَفْـــرَةُ الغَـــرَامِ ، تَعَـــالَتْ ... عَنْ قُيُـــودِ الأَوْتَـــادِ وَالأَسْبَـــابِ (٥٤)

---

(٤٥) الأفواف : ضروب من برود اليمن . تشبه الأزهار بها . ملث الرباب : السحاب الممطر .

(٤٦) العباب : الموج . نئيجه : صوته .

(٤٧) الوطاب : جمع وطب (بالفتح) وهو سقاء اللبن . يكنى بامتلاء الوطاب عن الغنى وبامتلاء الرأس عن العلم .

(٤٨) خطبه : خطره وشدته . يوم الحساب : يوم البعث . ويريد به هنا يوم امتحان الحساب .

(٤٩) ظلام الدجى : يريد به ظلمة الجهالة التى كانت تخيم على مصر ، ويخبط فيها المصريون . الشهاب: أحد نجوم سبعة تعرف بالدرارى .

(٥٢) الماضى : المقدام الذى لايثنيه شيء . الشمرى : (بفتح الشين والميم أو بكسرهما) المجرب الجرىء غير الهياب . المزاحم : الذى يغالب غيره ويقوى عليه . الوثاب : السباق إلى الغايات .

(٥٤) زفرة الغرام : جعل الشعر كزفرة المغرم حرّى صادقة التعبير عما يختلج فى النفس ، ويجيش فى الصدر . الأوتاد : جمع وتد ، وهو عند العروضيين على ضربين : مجموع ومفروق ، فالمجموع هو كل ثلاثة أحرف سكن ثالثها ، والمفروق كل ثلاثة أحرف سكن ثانيها . الأسباب : جمع سبب وهو كل حرفين تحركا أو سكن ثانيهما ، ويسمى الأول منهما ثقيلا والآخر خفيفًا . والأوتاد والأسباب ما تتألف منها التفعيلات فى الشعر .

تَتَغَنَّى بِـــهِ العَـــذَارَى فَيَبْعَثْنَ   الهَـوَى بَعْـدَ صَحْـوَةٍ وَمَتَـابِ (٥٥)

تَخِـــذَتْ فِيكِ بِنْتُ عَـــدْنَـــانَ دَارًا   ذَكَّـــرَتْهَـــا بَـــدَاوَةَ الأَعْـــرَابِ (٥٦)

عَـــادَهَـــا الْحُسْنُ فِى ذَرَاكِ وَرَوَّا   هَـا عَلَى غُلَّـةٍ نَمِيـرُ الشَّبَـابِ (٥٧)

وَغَـــدَتْ فِى عُكَـــاظَ بَيْنَ شُيُـــوخٍ   فَتَنَتْهُمْ بِسِحْـــرِهَـــا الْخَـــلاَّبِ (٥٨)

خَلَعُـوا فِى طِـلابِهَا جِـدَّةَ العُمْـرِ ،   وَقَـدْرُ المَطْلُـوبِ قَـدْرُ الطِّـلاَبِ (٥٩)

وَدَنَـــوْا مِنْ خِبَـــائِهَـــا فَـــأَرَتْهُمْ   ثَمَـــرَاتِ النُّهَى وَسِـــرَّ الكِتَـــابِ (٦٠)

* * *

لَـكِ دَارَ العُلُـــومِ فِى كُلِّ نَفْسٍ   أَثَـرُ القَيْنِ فِى صِقَـالِ الْحِرَابِ (٦١)

حَسْبُ مُطْـــرِيكِ أَنَّ كُـلَّ نَجِيبٍ   نَفْحَـــةٌ مِنْ رِجَـالِكِ الأَنْجَـابِ (٦٢)

أَنْتِ كَـالنِّيلِ ، كُلَّمَـا مَسَّ جَدْبًـا   هَـزَّهُ بِـالنَّمَـاءِ وَالإِخْصَـابِ (٦٣)

كِيمِيَـاءُ العُقُـولِ أَنْتِ ، تَصُـوغِـــ   ـــينَ نُضَـارًا مِنَ النُّحَاسِ المُـذَابِ (٦٤)

---

(٥٥) العذارى : الأبكار ، الواحدة عذراء . الصحوة : الإقلاع عن الهوى والخلاص من أسباب المجون . المتاب : التوبة .

(٥٦) فيك : يخاطب دار العلوم . بنت عدنان : اللغة العربيـة ، نسبة إلى عدنان الجد الأعلى للعرب . بداوة الأعراب : إقامتهم فى البادية .

(٥٧) ذراك : نواحيك . الغلة : العطش أو شدته . النمير : الزاكى من الماء الناجع فى الرى .

(٥٨) عكـاظ : سوق للعـرب بين نخلة والطـائف ، وكانت تقوم هلال ذى القعدة وتستمر عشرين يومًا ، تجتمع فيهـا قبائل العرب فيتعـاكظون ، أى يتناشـدون و يتفاخرون . الخلاَّب : الذى يأسر الألباب ويستهويها .

(٥٩) طلابها : طلبها وتعلمها . جدة العمر : أوائله . ويريـد أيام الشباب ومقتبله . وخلع جدَّة العمر : كناية عن إفناء الشباب وبذله .

(٦٠) الخباء : البيت يصنع من وبر أو شعر أو صوف .

(٦١) القين : الحداد . صقال الحراب : شحذها وإعدادها .

(٦٤) النضار : الذهب . والكيمياء فيما كانوا يزعمون تصيير المعادن الخسيسة ذهبًا .

إِنَّ خَمسِينَ حِجَّـةً قَـدْ كَفَتْ مِنْكِ ... لِمَلْءِ الـدُّنْيَـا بِكُـلِّ عُجَـابِ (٦٥)
نَهَضَتْ مِصْـرُ نَهْضَـةَ النَّسْـرِ فِيهـا ... وَاسْتَـوَتْ فـوْقَ مُسْتَقَـرِّ العُقَـابِ (٦٦)
كُلُّ عَـامٍ كَأَنَّـهُ خُطْـوَةُ الْجَبَّـارِ ... أَوْ وَثْبَـةُ الأُسُـودِ الغِضَـابِ (٦٧)
كُلُّ عَـامٍ كَـأَنَّـهُ عَلَمُ النَّصْـرِ ... بِكَـفِّ المُظَفَّـرِ الغَـلَّابِ (٦٨)
كُلُّ عَـامٍ كَطَـالِعِ السَّعْـدِ شِمْنَـا ... ـهُ عَلَى طُـولِ غَيْبَـةٍ واحْتِجَـابِ (٦٩)
كُلُّ عَـامٍ كَـالفَجْـرِ يَهْـزِمُ لَيْـلا ... نَـابِغِيَّ الهُمُـومِ وَالأَوْصَـابِ (٧٠)
كُلُّ عَـامٍ كَـأَنَّـهُ الأَمَلُ الضَـا ... حِكُ ، وَافَـاكِ بَعْـدَ طُـولِ ارْتِقَـابِ (٧١)
كُلُّ عَـامٍ كَـوَافِـدِ الْغَيْثِ تَلْقَـا ... ـهُ وُجُـوهُ الرِّيَـاضِ بِـالتَّرْحَـابِ (٧٢)

* * *

لا تَهَـابِي دَارَ العُلُـومِ مُلِمَّـا ... آيَـةَ المَجْـدِ وَالعُـلا أَنْ تَهَـابِي ! (٧٣)
إِنَّ فِي مِصْـرَ لَـوْ عَلِمْتِ قُلُـوبًـا ... وَاجِفَـاتٍ لِقَلْبِكِ الـوَجَّـابِ (٧٤)
سَتَنَـالِينَ بِـالمَلِيكِ فُـؤَادٍ ... كُـلَّ مَـا تَـرْتَجِينَ مِنْ آرَابِ (٧٥)

---

(٦٥) الحجة : السنة .

(٦٦) العقاب : طائر لايتخذ وكره إلا فى أعالى الجبال .

(٦٩) طالع السعد : فأله ومايجيء مبشرًا به ودليلا عليه . شمناه : نظرناه .

(٧٠) نابغي الهموم : كثيرها شديدها . وهو نسبة إلى النابغة الذبياني الشاعر المعروف ويشير إلى قول النابغة فى وصف الليل :

كلينى لهمٍّ يا أميمة ناصب ... وليل أقاسيه بطيء الكواكب

الأوصاب : الآلام .

(٧٣) ملما : شيئًا ينزل بك مما تكرهين وتخافين ، يشير إلى الفكرة التى نبتت فى ذلك الوقت بإلغاء دار العلوم .

(٧٤) واجفات : مضطربة شفقة عليك . الوجاب : الخفاق .

(٧٥) فؤاد : هو الملك أحمد فؤاد الأول . الآراب : جمع أرب . وهو البغية والمأرب .

لا تُـــرَاعِى وفِـى الكِنَـــانَـــةِ سَعْـــدٌ بَيْنَ أَشْبَــالِــهِ الشِّــدَادِ الصِّــلابِ (٧٦)

وَاطْلُبِى الْخَيْـــرَ وَالمُنَى مِـنْ فُـــؤادٍ نَـاشِـرِ الفَضْـلِ ، نَـاصِـرِ الآدابِ (٧٧)

لا خَلَتْ مِصْـــرُ مِـنْ نَـــدَاهُ فَقَــدْ صَـا رَ عِنَـانَ القُلُــوبِ طَـوْقَ الــرِّقَـابِ (٧٨)

---

(٧٦) لاتراعى : لاتخـافى ولايملأ الـرعب نفسك . الكنانة : مصـر . سعد : هو سعـد زغلول بـاشا زعيم النهضة .

(٧٨) الندى : الكرم والمعروف . العنان : ماتقاد به الدابة . والطوق : مايكون حول العنق .

قبعة بعد عمامة

كان الشاعر عضوًا فى بعثة أرسلتها الحكومة المصرية إلى إنجلترا سنة ١٩٠٨ م فأرسل وهو هناك إلى والده صورته وهو بالقبعة وكتب تحتها هذين البيتين :

لَبِسْتُ الآنَ قُبَّعَــــةً بَعيــــدًا عَنِ الأوْطَانِ ، مُعْتَادَ الشُّجُونِ (١)
فَإنْ هِىَ غَيَّــــرَتْ شَكْلِى فَإنِّى « مَتَى أَضَعِ العِمَامَةَ تَعْرِفُونِى » (٢)

السّـــودان

أنشد الشاعر هذه القصيدة فى جمع حافل بالخرطوم فى زيارته للسودان الشقيق عام ١٩٤١م .

يَـا نَسْمَـــةً رَنَّحَتْ أعْطَـــافَ وَادِينَـا ... قِفِى نُحَيِّيكِ ، أوْ عُـوجِى فَحَيِّينَـا ! (١)
مَرَّتْ مَعَ الصُّبْحِ نَشْـوَى فِى تَكَسُّرِهَـا ... كَأنَّمــا سُقِيَتْ مِنْ كَفِّ سَـاقِينَـا (٢)
أرْخَتْ غَـدَائِرَهَــا أخْـلاطَ نَـافِجَـةٍ ... وَأرْسَلَتْ ذَيْلَهَـا وَرْدًا وَنِسْـرِينَـا (٣)
كَأنّهـا رَوْضَـةٌ فِى الأُفْقِ سَـابِحَـةٌ ... تَمُجُّ أنْفَـاسُ مَسْرَاهَـا الرَّيَـاحِينَا (٤)
هبَّتْ بِنَـا مِنْ جَنُوبِ النِّيلِ ضَـاحِكَةً ... فِيهـا مِنَ الشَّوْقِ وَالآمَـالِ مَا فِينَا (٥)
إنّـا عَلَى العَهْـدِ لاَ بُعْـدٌ يُحَـوِّلُنـا ... عَنِ الـوِدَادِ ، وَلاَ الأيّـامُ تُنْسِينَـا (٦)
أثَـرْتِ يَـا نَسْمَـةَ السُّـودَانِ لاعِجَـةً ... وَهِجْتِ عُشَّ الهَوَى لَوْ كُنْتِ تَدْرِينَا (٧)
وَسِـرْتِ كَـالْحُلْمِ فِى أجْفَـانِ غَـانِيَـةٍ ... وَنَشْـوَةِ الشَّوْقِ فِـى نَجْوَى المُحِبِّينَـا (٨)
وَنِحِى عَلَى خَـافِقٍ فِى الصَّـدْرِ مُخْتَبِسٍ ... يَكَـادُ يَطْفُـرُ شَـوْقًـا حِينَ تَسْـرِينَا (٩)
مَـرَّتْ بِـهِ سَنَـواتٌ مَـا بِهـا أرَجٌ ... مِنَ المُنَى ، فَتَمَنَّى لَـوْ تَمُـرِّينـا ! (١٠)

* * *

(١) رنّحت : أمالت . أعطاف : جوانب . وادينا : المقصود وادى النيل . عوجى : ميلي أو ارجعى .
(٢) نشوى : فرحة متمايلة . تكسرها : تمايلها .
(٣) أخلاط : هو امتزاج الأشياء . نافجة : المسك . نسرين : نبات ذو رائحة ذكية .
(٤) تمج : تنشر .
(٧) لاعجة : شدة وألم فى الصدر .
(١٠) أرج : هو رائحة الطيب والمعنى أنها سنوات خالية من الأمانى .

نَبَّهتِ فِى مِصْرَ قُمْرِيًّا بِمُعْشِبَةٍ مِنَ الرِّيَاضِ كَوَجْهِ البِكْرِ تَلوِينَا (١١)
فَرَاحَ فِى دَوْحِهِ ، وَالعُودُ فِى يَدِهِ يُرَدِّدُ الصَّوْتَ قُدْسِيًّا فَيُشْجِينَا (١٢)
صَوْتٌ مِنَ اللهِ تَأْلِيفًا وَتَهْيِئَةً وَمِنْ حَفِيفِ غُصُونِ الرَّوْضِ تَلْحِينَا (١٣)
يَطِيرُ مِنْ فَنَنٍ نَاءٍ إِلَى فَنَنٍ وَيَبْعَثُ الشَّدْوَ والنَّجْوَى أَفَانِينَا (١٤)
يَا شَادِىَ الدَّوْحِ ، هَلْ وَعْدٌ يُقَرِّبُنَا مِنَ الحَبِيبِ ، فَإِنَّ البُعْدَ يُقْصِينَا ؟ (١٥)
تَشَابهتْ نَزَعَاتٌ مِنْ طَبَائِعِنَا لَمَّا الْتَقَتْ خَطَرَاتٌ مِنْ أَمَانِينَا (١٦)
فَجَاءَ شِعْرِىَ أَنَّاتٍ مُنَغَّمَةً وَجَاءَ شِعْرُكَ غَمْرَ الدَّمْعِ مَحْزُونَا (١٧)
شِعْرٌ صَدَحْنَا بِهِ طَبْعًا وَمَوْهِبَةً وَجَاشَ بِالصَّدْرِ إِلْهَامًا وَتَلْقِينَا (١٨)
وَالنَّفْسُ إِنْ لَمْ تَكُنْ بِالشِّعْرِ شَاعِرَةً ظَنَّتْهُ كُلَّ كَلَامٍ جَاءَ مَوْزُونَا (١٩)
تَعَزَّ يَا طَيْرُ ، فَالأَيَامُ مُقْبِلَةٌ مَا أَضْيَقَ العَيْشَ لَوْ عَزَّ المُعَزُّونَا ! (٢٠)
خُذِ الحَيَاةَ بِإِيمَانٍ وَفَلْسَفَةٍ فَرُبَّ شَرٍّ غَدَا بِالخَيْرِ مَقْرُونَا (٢١)
فَكَمْ وَزَنَّا فَمَا أَجْدَتْ مُوَازَنَةٌ فِى صَفْحَةِ الغَيْبِ مَا يُعْيِى المَوازِينَا (٢٢)
الْكَوْنُ كَوَّنَهُ الرَّحْمَنُ مِنْ قِدَمٍ فَهَلْ تُرِيدُ لَهُ يَا طَيْرُ تَكْوِينَا ؟! (٢٣)
إِنَّ المُنَى لا تُوَاتِى مَنْ يَهِيمُ بِهَا كَالْغِيدِ مَا هَجَرَتْ إِلاَّ المُلِحِّينا (٢٤)
تَبْكِى وَبَيْنَ يَدَيْكَ الزَّهْرُ مِنْ عَجَبٍ وَالأَرْضُ تِبْرًا وَرَوْضَاتُ الهَوَى غِينَا (٢٥)
وَالمَاءُ يَسْبَحُ جَذْلَانَ الغَدِيرِ إِلَى مَنَابِتِ العُشْبِ يُحْيِيهَا فَيُحْيِينَا (٢٦)
وَالزَّهْرُ يَنْظُرُ مَفْتُونًا إِلَى قَبَسٍ يُطِلُّ بَيْنَ ثَنَايَا السُّحْبِ مَفْتُونَا (٢٧)

---

(١١) قمريا : نسبة إلى الطائر المعروف بالقمرى والشاعر يقصد نفسه . معشبة : أرض كثيرة العشب .

(١٦) نزعات : صفات . خطرات : خواطر .

(٢٤) الملحين : الملحفين الدائمى السؤال .

(٢٥) غينا : جمع غيناء أى خضراء طويلة الشجر .

قَــدْ حُــزْتَ مُلْكَ سُلَيْمَـانٍ وَدَوْلَتَــهُ لَكَ الـرِّيَـاحُ بِمَـا تَخْتَارُ يَجْـرِينَـا (٢٨)
مَـا أجْمَلَ الكَـوْنَ لَـوْ صَحَّتْ بَصَـائِرُنَـا وَكَيْفَ نُبْصِرُ حُسْنَ الشَىءِ بَـاكِينَا ؟ (٢٩)
اللهُ قَــدْ خَلَقَ الـــدُّنْيَــا لِيُسْعِــدَنَــا وَنَحْنُ نَمْلَــؤُهَــا حُــزْنًا وَتَـأْبِينَـا (٣٠)

* * *

إنْ جُـزْتَ يَـوْمًا إلَى السُّـودانِ فَـارْعَ لَـهُ مَــوَدَّةً كَصَفَــاءِ الـــدُّرِّ مَكْنُــونــا (٣١)
عَهْـــدٌ لَـــهُ قَـــدْ رَعَيْنَــاهُ بِأعْيُنِنَـــا وَعُــرْوَةٌ قَـدْ عَقَــدْنَـاهـا بِأيْـدِينـا (٣٢)
ظِلُّ العُـــرُوبَــةِ والقُــرآنِ يَجْمَعُنَـــا وَسَلْسَلُ النِّيلِ يُـرْوِيهِمْ وَيُـرْوِينـا (٣٣)
أشَعَّ فِـى غَلَسِ الأيَّــامِ حَــاضِـرُنَــا وَضَـاءَ فِى ظُلْمَـةِ التَـارِيخِ مـاضِينـا (٣٤)
مَجْدٌ عَلَـى الدَّهْرِ ، فـاسْألْ مَنْ تَشَـاءُ بِهِ عَمْـرًا إذا شِئْـتَ ، أوْ إنْ شِئْـتَ آمونـا (٣٥)

تَــرَكْتُ مِصْـــرَ وفِى قَلْبِـى وَقَــاطِــرَتِى مَــراجِلٌ بِلَهِيـبِ النَّـــارِ يَغْلِينـــا (٣٦)
سِــرْنـا مَعًــا فَبُخَــارُ النَّــارِ يَـدْفَعُهــا إلَى اللِّقَـاءِ ، وَنَـارُ الشَّـوْقِ تُـزْجِينـا (٣٧)
تَشُقُّ جَــامِحَــةً غُلْبَ الـرِّيَــاضِ بِنَــا كَالبَرْقِ شَقَّ السَّحَابَ الحُفَّلَ الْجُونا (٣٨)
وَلِلْخَمَــائِلِ فِى ثَـوْبِ الـدُّجَى حَـذَرٌ كَأنَّهــــا تَتَـــوَقَّـى عَيْنَ رَائِينَـــا (٣٩)

---

(٢٨) حزت : ملكت . سليمان : سيدنـا سليمـان عليه السـلام وفى البيت اقتباس من الآيـة الكريمـة : «فسخرنا له الريح تجرى بأمره» .

(٣١) جزت : سرت إلى . ارع : احفظ .

(٣٤) أشعّ : أنار . غلس الأيام : ظلام الأيام .

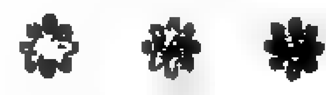
(٣٥) عمرا : يريد عمرو بن العاص . أمونا : توت عنخ آمون من فراعين قدماء المصريين .

(٣٦) مراجل : أوعية النار التى لا دخان لها .

(٣٧) تزجينا : تدفعنا .

(٣٨) جامحة : غالبة . غلب : جمع غلباء ء الحديقة الكثيفة الشجر . الجونا : جمع جُون : الأسود .

كَأنَّهُنَّ العَذارَى جَفْنَ عَاذِلَـةٍ ... فَمَا تَعَرَّضْنَ إلاَّ حَيْثُ يَمْضِينَا (٤٠)
وللقُرى بَيْنَ أضْغَاثِ الكَرى شَبَحٌ ... كَالسِّرِّ بَيْنَ حَنَايا اللَّيْلِ مَدْفُونَا (٤١)
نَسْتَبْعِدُ القُرْبَ مِنْ شَوْقٍ وَمِنْ كَلَفٍ ... وَنَسْتَحِثُّ وإنْ كُنَّا مُجِدِّينَا (٤٢)
وَكَمْ سَألْنَا وفِى الأفْوَاهِ جَابَتُنَا ... وفِى السُّؤالِ عَزَاءٌ لِلْمَشُوقِينَا (٤٣)
وَكَمْ وَكَمْ مَلَّ حَادِينَا لَجَاجَتَنَا ... وَمَا عَلَيْنَا إذَا مَا مَلَّ حَادِينَا (٤٤)
حتَّى إذا مَا بَدَتْ « أسْوانُ » عَنْ كَثَبٍ ... غَنَّى بِحَمْدِ السُّرَى وَاللَّيْلِ سَارِينَا (٤٥)



وَمَا شَجَانِىَ إلاَّ سَيْرُ بَاخِرَةٍ ... نَسْتَعْجِلُ الرَّكْبَ إيذَانًا وَتَأذِينَا (٤٦)
لَهَا تَرَانِيمُ إنْ سَارَتْ مُهَمْهِمَةً ... كَالشِّعْرِ يُتْبِعُ بِالتَّحْرِيكِ تَسْكِينَا (٤٧)
يَا حُسْنَهَا جَنَّةً فِى المَاءِ سَابِحَةً ... تَلْقَى النَّعِيمَ بِهَا والحُورَ وَالعِينَا (٤٨)
مَرَّتْ تَهَادَى ، فَأمْوَاجٌ تُعَانِقُهَا ... حِينًا وَتَلْثِمُ مِنْ أذْيَالِهَا حِينَا (٤٩)
والنَّخْلُ قَدْ غُيِّبَتْ فِى اليَمِّ أكْثَرُهَا ... وَأظْهَرَتْ سَعَفًا أحْوَى وَعُرْجُونَا (٥٠)
مَا لابْنَةِ القَفْرِ والأمْوَاهُ تَسْكُنُهَا ؟ ... وَهَلْ يُجَاوِرُ ضَبُّ الحَرَّةِ النُّونَا ؟ (٥١)
سِرْ أيُّهَا النِّيلُ فِى أمْنٍ وَفِى دَعَةٍ ... وَزَادَكَ اللهُ إعْزَازًا وَتَمْكِينَا (٥٢)

---

(٤٣) جابتنا : إجابتنا .

(٤٥) سارينا : هادينا .

(٤٦) إيذانا : إعلاما بسفرها . تأذينا : الدعوة .

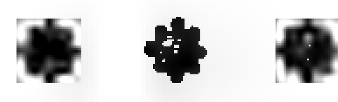
(٤٨) الحور : النساء الجميلات . العينا : خيار الشيء .

(٤٩) تهادى : تتمهل .

(٥٠) سعف : غصن النخلة . أحوى : هو الذى خالط خضرته سواد وصفرة . العرجون : هو ما يبقى يابسا على النخلة بعد قطع الفروع .

(٥١) الحرة : الأرض ذات حجارة سود . النون : الحوت .

أنتَ الكِتابُ كِتابُ الدَّهرِ ، أسطُرُهُ وَعَتْ حَوَادِثَ هَذَا الكَوْنِ تَدْوِينَا (٥٣)
فَكَمْ مُلُوكٍ عَلَى الشَّطَّيْنِ قَدْ نَزَلُوا كَانُوا فَرَاعِينَ أوْ كَانُوا سَلاَطِينا (٥٤)
فُنونُهُمْ كُنَّ لِلأيَّامِ مُعْجِزَةً وَحُكْمُهُمْ كَانَ لِلدُّنْيا قَوانِينا (٥٥)
مَرُّوا كَأشْرِطَةِ « السِّيما » وَمَا تَرَكُوا إلاّ حُطامًا مِنَ الذِّكْرَى يُؤَسِّينَا (٥٦)
إنَّا قَرَأْنَا اللَّيالِى مِنْ عَوَاقِبِهَا فَصَارَ مَا يُضْحِكُ الأغرارَ يُبْكِينا ! (٥٧)



ثُمَّ انْتَقَلْنَا إلَى الصَّحْراءِ تُوسِعُنَا بُعْدًا ، وَنُوسِعُها صَبْرًا وَتَهْوِينا (٥٨)
كَأنَّهَا أمَلُ المَأْفُونِ أطْلَقَهُ فَرَاحَ يَخْتَرِقُ الأجْوَاءَ مَأْفُونا (٥٩)
والرَّمْلُ يَزْخَرُ فِى هَوْلٍ وَفِى سَعَةٍ كَالبَحْرِ يَزْخَرُ بِالأمْواجِ مَشْحُونا (٦٠)
تُطِلُّ مِنْ حَوْلِها الكُثْبانُ نَاعِسَةً يَمْدُدْنَ طَرْفًا كَلِيلاً ثُمَّ يُغْفِينا (٦١)
وَكَمْ سَرَابٍ بَعِيدٍ رَاحَ يَخْدَعُنَا فَقُلْتُ : حَتَى هُنَا نَلْقَى المُرَائِينا ! (٦٢)
أرْضٌ مِنَ النَّوْمِ والأحْلامِ قَدْ خُلِقَتْ فَهَلْ لَهَا نَبَأٌ عِنْدَ « ابْنِ سِيرِينا » ؟ (٦٣)
كَأنَّما بَسَطَ الرَّحْمَنُ رُقْعَتَهَا مِنْ قَبْلِ أنْ يَخْلُقَ الأمْوَاهَ وَالطِّينا (٦٤)
تَسَلَّبَتْ مِنْ حُلِىِّ النَّبْتِ آنِفَةً وَزُيِّنَتْ بِجَلاَلِ اللهِ تَزْيِينا (٦٥)
صَمْتٌ وَسِحْرٌ وإرْهَابٌ وَبُعْدُ مَدَى مَاذَا تَكُونِينَ ؟ قُولِى ، مَا تَكُونِينا ؟ (٦٦)
صَحْرَاءُ فِيكِ خَبِيئًا سِرُّ عِزَّتِنَا فَأفْصِحِى عَنْ مَكَانِ السِّرِّ وَاهْدِينَا (٦٧)

---

(٥٧) عواقبها : آخرها . الأغرار : غير المجربين .

(٥٨) توسعنا : تزيدنا .

(٥٩) المأفون : ضعيف العقل . الأجواء : مابين السماء والأرض .

(٦٣) ابن سيرينا عالم من العلماء المسلمين له كتاب فى تفسير الأحلام .

(٦٥) تسلبت : خلت من .

إنّـا بَنُـو العُـرْبِ يَـا صَحْـراءُ كَمْ نَحَتَتْ مَنْ صَخْـرِكِ الصَّلْدِ أخْـلاَقًا أوَالِينـا (٦٨)
عَــزُّوا ، وَعَــزَّتْ بِهِمْ أخْــلاَقُ أُمّتِهِمْ فِى الأرْضِ ، لمّا أعَزّوا الْخُلْـقَ وَالدِّينا (٦٩)
مِنَصَّــةُ الحُكْـمِ زَانُــوهـا مَــلاَئِكَــةً وَجَـذْوَةُ الحَـرْبِ شَبُّوهـا شَيـاطِينـا (٧٠)
كـانُــوا رُعَــاةَ جِمــالٍ قَبْلَ نَهْضَتِهِمْ وَبَعْـدَهَــا مَـلأُوا الآفـاقَ تَمْـدِينـا (٧١)
إنْ كَبّـرتْ بِأقـاصِـى الصِّينِ مِئْـذَنـةٌ سَمِعْتَ فِى الغَرْبِ تَهْلِيلَ المُصَلِّينَا (٧٢)

* * *

قِفْ يَـا قِطـارُ فَقَـدْ أوْهَى تَصَبُّـرَنـا طُولُ السِّفَـارِ ، وَقَدْ أكْـدَتْ قَوَافِينَـا (٧٣)
وَقَـدْ بَـدَتْ صَفْحَـةُ الْخُرْطُـومِ مُشْرِقَـةً كَما تَجَلَّى جَلالُ النُّـورِ فِى « سِينا » (٧٤)
جِئْنَــا إلَيْهَــا وفِى أكْبَــادِنَـا ظَمَــأٌ يَكَــادُ يَقْتُلُنــا لَــوْلا تَــلاقِينــا (٧٥)
جِئْنَــا إلَيْهَــــا ، فَمِنْ دَارٍ إلـى وَطَنٍ وَمِنْ مَنَــازِلِ أهْلِينَــا لأهْلِينَــا (٧٦)
يَـا سَاقِىَ الحَـىِّ جَـدِّدْ نَشْـوَةً سَلَفَتْ وَأنْتَ « بـالجَبَنَاتِ » الحُمْـرِ تَسْقِينَا (٧٧)
وَاصْــدَحْ بِنُــونِيّــةٍ لَمّــا هَتَفْـتُ بِهــا تَسْرِقُ السَّمْعَ «شَوقِـى» وَ «ابنُ زَيْدُونا» (٧٨)
وَأحْكِمْ اللَّحْـنَ يـا سَــاقِى وَغَنِّ لَنَــا « إنّـا مُحيُّـوكِ يَــا سَلْمَى فَحَيِّينـا » (٧٩)

---

(٧٧) سلفت : مضت . الجبنات : أوعية من الفخار يصنع السودانيون القهوة بها .

(٧٨) نونية : يقصد هذه القصيدة وهى نونية . شوقى : هو الشاعر أحمد شوقى وله قصيدة نونية أيضًا أولها :

يـانـائح الطلح أشـباه عوادينــا نــأسى لـواديك أم تأسى لـوادينـا

ويعارض بها الشاعر الأندلسى ابن زيدون فى نونيته ومطلعها :

أضحى التنائى بديـلا عن تدانينا وناب عن طيب لقيانـنـا تجافينـا

(٧٩) إنا محيـوك ياسلمى فحيينا : مطلع نـونية الشاعر عمـرو بن سعد بن مالك وهـو شاعر جـاهلى وكان يلقب بالمرقش الأكبر . وتكملة البيت : وإن سقيت كرام الحىّ فاسقينا .

دَمْعَةٌ عَلى صَديق

في اليوم الأول من شهر مارس سنة ١٩٣٦م انتقل إلى جوار ربه المرحوم الأستاذ « أبو الفتح الفقى » وكيل دار العلوم ، ورئيس جماعة دار العلوم ، فكان لنعيه وقع على القلوب أليم ، وفقدت مصر بفقده عالمًا من أفاضل علمائها ، ورجلاً من خيرة رجالها .

وكان رحمه الله صديقًا حميمًا للشاعر ، فبكاه ورثاه بهذه القصيدة التى ألقيت فى الحفلة التى أقامتها لتأبينه جماعة دار العلوم بدار الأوبرا فى مساء الاثنين ٢٠ من إبريل سنة ١٩٣٦م .

مَلَكَ المُصَابُ عَلَيْهِ كُلَّ جِهاتِهِ … إنْ كانَ مِن صَبْرٍ لَدَيْكَ فَهاتِهِ ! (١)

أسْوانُ تَعْرِفُهُ إذا اخْتَلَطَ الدُّجَى … بِالنَّبْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي أنَّاتِهِ (٢)

يَبْكِي وَيَنْظُرُ فِي السَّمَاءِ مُصَعِّدًا … مَا يَبْتَغِي الْحَيْرَانُ مِنْ نَظَرَاتِهِ ؟ (٣)

خَفَقَانُ نَجْمِ الأُفْقِ مِنْ خَفَقَانِهِ … وَهَجِيرُ قَيْظِ البِيدِ مِنْ زَفَرَاتِهِ ! (٤)

وبُكاءُ كُلِّ غَمَامَةٍ هَتَّانَةٍ … مِنْ بَعْضِ مَا يُبْدِيهِ مِنْ عَبَرَاتِهِ (٥)

وَنُوَاحُ ذَاتِ الطَّوْقِ فِي أعْوَادِهَا … مَا تُرْسِلُ الأقْلامُ مِنْ نَفَثَاتِهِ (٦)

يَرْثِى فَيَخْتَبِسُ البُكَاءُ بِصَوْتِهِ … أينَ الرَّخِيمُ الْعَذْبُ مِنْ أصْوَاتِهِ ؟ (٧)

فِي صَدْرِهِ قَلِقُ الْجَوَانِحِ مُوجَعٌ … مَلَّتْ نُجُومُ اللَّيلِ مِنْ دَقَّاتِهِ (٨)

---

(٢) الأسوان : الحزين . الدجى : الظلام . النبرة : الصوت . ويريد بالنبرة السوداء : صوته الحزين .

(٣) مصعدا : أى متردد النظرات لا يكاد يستقر بصره فى بقعة .

كَـالطَّيْـرِ فِي قَفَصِ الْحَـدِيـدِ مُـوَثَّقًا قَـدْ أَوْهَنَ الأَسْـلاَكَ مِـنْ خَفَقَـاتِـه (٩)
يَبْكِي ويَضْـرِبُ بِـالْجَنَـاحِ مُجـرَّحًـا يَـا وَيْـلَ مـا فَعَلَتْ يَمِينُ رُمَـاتِـه ! (١٠)

* * *

نُـوَبٌ كلَيَـلاتِ المَحَـاقِ تَتَـابَعَتْ مُتَشَـابِهـاتٍ ، هَـذِهِ مِنْ هـاتِـه (١١)
وَبَنَـاتُ دَهْـرٍ قَـدْ زَحَمْنَ مَنَـاكِبِي وَيْـلاَهُ ! لَـوْ أَسْطِيـعُ وَأْدَ بَنَـاتِـه ! (١٢)
أَوْدَى (أَبـو الفَتْحِ) الْمُـرَجَّى واختَفَى عَلَمٌ طَـواهُ الـدَّهْـرُ في طَيَّـاتِـه (١٣)
وانْحَــازَ للـرَّكْـبِ الـذِي مِنْ آدَمٍ مــازَالَ يُـزْعِجُنَـا رَنِينُ حُـدَاتِـه (١٤)
سَـارَتْ بِـهِ الأَحْبـابُ تَسْتَبِقُ الْخُطَـا وَالقَلْبُ مَكْظُـومٌ عَلَـى حَسَـرَاتِـه (١٥)
فَـوَقَفْتُ أَنْظُـرُ فِي الفَـلاَةِ فَلَمْ أَجِـدْ إِلاَّ جَـلالاً فِي فَسِيحِ فَـلاتِـه ! (١٦)

* * *

يـا جَـامِعًـا شَمْلَ الشُّيُـوخِ بِحَزْمِـهِ مَنْ ذَا يَلُمُّ اليَـوْمَ مِنْ أَشْتَـاتِـه ؟ (١٧)
يَمْشِي الـرَّعِيلُ نَـواكِسًـا أَبْصَـارُهُ مِنْ بَعْـدِ مـا عَبِـثَ الـرَّدَى بِحُمـاتِـه (١٨)
أَلْـوَى بِعَـزْمَتِـهِ وَهَـدَّ شِمـاسَـهُ قَـدَرٌ أَطَاحَ القَـرْمَ عَنْ صَهَـوَاتِـه (١٩)

---

(١١) النوب : المصائب تنوب بها الأيام وتصيب . المحاق (بالتثليث) : آخر الشهر . وقبل ثلاث ليال من آخره . أى أنها نوب مدلهمة حالكة كليالي المحاق كلها سود .

(١٢) بنات الدهر : حادثاته وشدائده . زحمن مناكبي : أى أثقلتني لكثرتهن حتى عييت بحملهن . وأد البنت : دفنها في القبر وهي حية . فعلت العرب ذلك مخافة العار والحاجة قبل الإسلام .

(١٣) أودى : مات .

(١٤) انحاز : مال . الحداة : الذين يرفعون الصوت بالغناء يستحثون بذلك الإبل على المسير .

(١٦) الفلاة : القفر . ويريد بها حيث قبور الموتى .

(١٨) الرعيل : القطعة من الجياد شبه به جماعة دار العلوم . نواكسو الأبصار : مطأطئو الرءوس . أبصارهم إلى الأرض .

(١٩) ألوى بعزمته : أتى عليها وأوهنها . شماسه : أى عزته وتأبيه وامتناعه . القرم : السيدالعظيم . الصهوات : جمع صهوة (بالفتح) وهى مقعد الفارس من الفرس .

حَيْـرَانُ يَعْثُـرُ بِـالأَعِنَّـةِ مِثْلَمَـا يَتعثَّـرُ التَّمْتَـامُ فِي تَـاءاتِـه(٢٠)

يَطْفُـو نَشِيجُ اليَأْسِ مِنْ لَهَـوَاتِـهِ وَتئِـزُّ نَـارُ الشَّـوْقِ فِي لَبَّـاتِـه(٢١)

سَـارَتْ بِـهِ الفُرْسَانُ تَخْبِطُ فِي الـدُّجَى وَالـرَّكْبُ قَـدْ زَاغَـتْ عُيُونُ هُـداتِـه(٢٢)

يَبْكُـونَ للطَـرْفِ الْمُخَلَّى سَـرْجُـهُ وَالفـارِسِ المُنْبَتِّ عَنْ غـايَـاتِـه(٢٣)

يَبْكُـون للِّـدِّرْعِ المُطَـرَّحِ حَطَّمَتْ أيـدِى الـزَّمـانِ العُسْرِ مِنْ حَلَقَـاتِـه(٢٤)

يَبْكُـونَ أطْـوَلَهُمْ يَـدًا ، وَأَبَـرَّهُمْ كَفًّـا ، وَأَسْبَقَهُمْ إِلـى قَصَبَـاتِـه(٢٥)



خُلُقٌ كَمـا يَصْفُـو النُّضَـارُ وَطَلْعَـةٌ أزْهَى مِـنَ ابْنِ اللَّيلِ فِي هـالاَتِـه(٢٦)

مَنْ صَـارَ فِي الْخَمْسِينَ فَخْـرَ بِـلادِهِ قَـدْ كَـانَ فِي العِشْرِيـنَ فَخْرَ لِـدَاتِـه(٢٧)

وَالـدَّهْـرُ لا يُنْشِى الـرِّجَـالَ صَـوارِمًا إلاَّ إذا نَضِجُـوا عَلَى جَمَـرَاتِـه(٢٨)

صَـانَ الكَـرَامَـةَ أَن تُمَسَّ ، وَإِنَّمـا إذلالُ نَفْسِ المَـرْءِ مِـنْ زَلاَّتِـه(٢٩)

مُنِعَ الـرُّقِيـقُ ولا تَـزَالُ عِصـابَـةٌ تَهْفُـو إلى أغْـلالِـهِ وَسِمَـاتِـه !(٣٠)

قَـدْ كَـانَ كَـالفَلَكِ الـدَّءُوبِ نَشَـاطُـهُ لاَ يَسْتَـرِيحُ الـدَّهْـرَ مِنْ دَوْرَاتِـه(٣١)

فَإذا تَـراءَى سَـاكِنًـا فَـلأَنَّـهُ فِي أسْرَعِ الأَحْوَالِ مِـنْ حَـرَكَـاتِـه !(٣٢)

الْحَـقُّ وَالإيمـانُ مِلْءُ فُـؤَادِه وَبَـلاَغَـةُ الأَعْـرابِ مِلءُ لَهَـاتِـه(٣٣)

---

(٢١) تئز : تصوّت . اللبات : جمع لبة وهى المنحر .

(٢٣) الطرف : الفرس الكريم . والكلام على المجاز . المخلى سرجه : أى الذى أصبح مكانه من سرجه خاليًا . المنبت : الذى حيل بينه وبين إدراك غايته .

(٢٤) الدرع : ثوب ينسج من زرد الحديد يلبس فى الحرب وقاية من سلاح العدو (يؤنث ويذكر). المطرح : الملقى . العسر : الشديدة .

(٢٥) يكنى بطول اليد : عن السبق إلى الفضل. أبرهم كفا : أى أكثرهم جودًا وعطاءً . وأسبقهم إلى قصباته.أى إنه كان أولهم فى ذلك . القصبات فى الأصل : ما كان ينصب فى حلبة السباق . فمن سبق اقتلعها وأخذها ليعلم أنه السابق من غير نزاع .

فإذا تَخَطَّـــرَ لِلجِــدَالِ مُصَــاوِلاً فَـاحْذَرْ فَتَى الفِتْيَـانِ فِي صَوْلاتِـه ! (٣٤)
السَّيْلُ فـِي دَفَعَـاتِـــهِ ، والسَّيفُ فِي عَزَمَـاتِـه ، والمَـوْتُ فِي وَثَبَـاتِـهِ (٣٥)
لَيْسَ القَـــوِىُّ بِنَـابِـــهِ وَبِظِفْــرِهِ مِثْلَ القَــوِىِّ بِـرَأْيِــهِ وَثَبَـاتِـــهِ(٣٦)
وَالْحُجَّـــةُ البَيْضَــاءُ أفْضَلُ مَقْطَعًـا مِنْ نَصْلِ كُلِّ مُهَنَّــدِ وَشَبَــاتِــهِ(٣٧)

* * *

مــاذَا أصَــابَ اللَّيْثَ عَنْ غَــدَوَاتِـهِ صُبْحًـا ، وَمَـاذَا نَـالَ مِنْ رَوْحَـاتِـه ؟(٣٨)
سَمَحَتْ لَــهُ الـدُّنْيـا بِمــاءِ سَرَابِهـا فَــابْتَــاعَــهُ مِنْها بِمَـاءِ حَيَـاتِـهِ(٣٩)
إِنَّ الأمَــــانِىَّ الْحِسَـــانَ جَمِيلَــــةٌ لَــوْ حَقَّقَ الإنسَـــانُ أُمْنِيَّـــاتِـــهِ(٤٠)
فَلَـــرُبَّ رَوْضٍ لِلنَّــواظِـــرِ مُعْجِبٍ كَمَنَتْ سُمُـومُ الصِّلِّ فـِي زَهَـراتِـه !(٤١)
قَــدْ كَـــانَ لِى أَمَلٌ سَقَيْتُ فُــرُوعَــهُ بِـدَمِى وَغَـذَّيْتُ المُنَى بِعـذَاتِــه(٤٢)
أَحْنُــو عَلَيْـــهِ مِنَ الهَجِيــرِ يَمَسُّــهُ وَمِنَ النَّسِيمِ يَهُــزُّ مِنْ أَسَــلاتِــه(٤٣)
وأذُودُ عَنْــهُ الطَّيْـــرَ إِنْ حَــامَتْ عَلَى زَهْــرٍ يُضِىءُ الأُفْقَ فِي عَـذَبـاتِـــه(٤٤)
اللَّيْـلُ يَنْفَحُـــهُ بِـــذَائِبِ طَلِّــــهِ والصُّبْحُ يَمْنَحُـــهُ شُعَــاعَ إِيَــاتِــهِ(٤٥)
حَتَى إذا قَـــوِيَتْ لِــدَانُ غُصُــونِــهِ وَاسْتَحْصَـدَ الْمَــرْجُــوُّ مِنْ ثَمَــراتِـهِ(٤٦)

(٣٧) المهند : السيف المطبوع من حديد الهند وهو من أجود السيوف . نصل المهند وشباته : حديدته بحدها .

(٤١) كمنت : توارت واستخفت . الصل : الحية التى لا ينفع مع سمها علاج .

(٤٢) العذاة : الأرض الطيبة البعيدة الوخم . ويريد بها منبته الطيب . وهذا البيت والأبيات الثمانية بعده فى غرض خاص بالشاعرلوفاة نجله البكر فى سبتمبر سنة ١٩٣٥م .

(٤٣) الهجير : شدة الحر . الأسلات : الفروع الدقيقة .

(٤٤) أذود : أمنع وأطرد . حامت : حلّقت ودارت . العذبات : الأغصان .

(٤٥) ينفحه : يهبّ عليه بليلا . الطل : الندى . الاياة : النور . أى إن أسباب الحياة والرغد كانت موفورة .

(٤٦) لدان الغصون : اللينة الطرية . الواحد ، لدن . استحصدت الثمرات : قاربت النضج وحان لها أن تحصد .

وأَخَـذْتُ أَسْتَجْلِي السَّنَـا مِنْ نَـوْرِهِ ... وَأَشَمُّ رِيحَ الْخُلْـدِ مِنْ نَفَحَـاتِـه(٤٧)

وَأُفَـاخِـرُ الـزُّرَّاعَ أَنَّ غِـرَاسَهُمْ ... لَمْ يَـزْكُ مِثْلَ زَكَـائِهِ ونَبَـاتِـه(٤٨)

عَصَفتْ بِـهِ هُـوجٌ فَخَـرَّ مُعَفَّـرًا ... وَجَنَى عَلَيْـهِ الْحَيْنُ قَبْلَ جَنَـاتِـهِ(٤٩)

وَوَقَفْتُ أَنْظُـرُ لِلحُطَـامِ مُحَطَّمًـا ... مُتَفَتِّتَ الأفْـلاذِ مِثْلَ فُتَـاتِـهِ(٥٠)

أَهْـوِنْ بِـدُنْيَـا مَـا لِحَيٍّ عِنْـدَهَـا ... وَعْـدٌ يُنَجِّـزُ غَيْـرَ وَعْـدِ وَفَـاتِـهِ !(٥١)

سَلْ كُلَّ مَـنْ كَتَبَ الكَتَـائِبَ غَـازِيًـا ... هَلْ رَدَّ عَنْهُ الْجَيْشُ سَهْمَ مَمَـاتِـهِ ؟(٥٢)

إِنَّ ابْـنَ داودٍ عَلَى سُلْطَـانِـهِ ... قَـدْ خَـرَّ مُنْفَـرِدًا عَلَى مِنْسَـاتِـهِ(٥٣)

وَهُـوَ الـذِي مَلَكَ الْمُلُـوكَ بِبَأْسِـهِ ... وَأَخَـافَ جِنُّ الأَرْضِ مِنْ سَطَـوَاتِـهِ(٥٤)

كُلُّ ابنِ أُنْثَـى فِي الْحَيَـاةِ إِلَـى مَـدًى ... وَالمَـرءُ فِي الـدُّنْيَـا إِلَـى مِيقَـاتِـهِ(٥٥)

* * *

أَأَخِي ! دَعَـوْتُ فَلَمْ تُجِبْ ، وَلَـرُبَّمَـا ... قَـدْ كُنْتَ أَسْبَقَ نَـاهِضٍ لِـدُعَـاتِـهِ(٥٦)

---

(٤٧) أستجلى : أنظر وأتبين . النور : الأزهار ، الواحدة ، نوره . سناه : تألقه وإشراقه . نفحاته : ما يفوح وينتشر من رائحته العطرة . أشم ريح الخلد : أى ريح الجنة .

(٤٨) يزكو : ينمو .

(٤٩) الهوج : الرياح العاصفة غير المستوية فى هبوبها . يريد عصف الموت . المعفر : الذى اختلط بالتراب . الحين : الهلاك . الجناة: ما يجنى .

(٥٠) الحطام : ما تحطم وتكسر . يريد رفاته . محطمًا ، أى مهدود القوى حزنًا . الأفلاذ : جمع فلذة (بالكسرة) وهى القطعة من الكبد . يصف فى هذا البيت والأبيات الثمانية قبله فقيده الذى أودى من بعد ما اكتمل وقوى . مشبهًا إياه بالنبت فى أدواره المختلفة ، ثم يذكر ما كان يبذله فى سبيله حتى إذا ما استحصد عدا عليه الموت فاختطفه من بين يديه . أحوج ما يكون إليه ، وتركه محطم الأوصال مفتت الكبد حزنًا .

(٥٣) ابن داود : هو سليمان بن داود عليهما السلام ، وقد آتاه الله ملكًا وسلطانًا واسعًا ، وسخر له الريح والجن وعلمه منطق الطير . وقد ورد فى القرآن الكريم تعداد نعم الله عليه . المنسأة (بالكسرة) : العصا . يشير إلى ما يروى من أنه عليه السلام مات متكئًا على عصاه ، وبقى كذلك لا يعرف موته ، حتى نخرت عصاه فلم تقو على حمله فخرّ على الأرض ، فعلم أنه ميت .

قَدْ كَانَ عَهْدُكَ فِي بَشَاشَةِ أُنْسِهِ عَهْدَ الشَّبَابِ مَضَى إِلَى طِيَّاتِهِ(٥٧)
كَانَ الزَّمَانُ يُظِلُّنَا بِرَبِيعِهِ فَتَرَكْتَنِي لِلْقُرِّ مِنْ مَشْتَاتِهِ(٥٨)
أَبْكِي الشَّبَابَ وَزَهْوَهُ وَصِحَابَهُ والمُشْرِقَ الوَضَّاحَ مِنْ بَسَمَاتِهِ(٥٩)
كُنَّا كَفَرْعَيْ بَانَةٍ فَتَفَرَّقَا وَالدَّهْرُ لا يَبْقَى عَلَى حَالاتِهِ (٦٠)
والعُمْرُ أَضْيَقُ أَنْ يُمَدَّ لِسَالِكٍ إِنْ أَوْسَعَ الْخُطُواتِ فِي سَاحَاتِهِ (٦١)
أَصْفَيْتَنِي مَحْضَ الوِدَادِ وطَالَمَا خَلَطَ المُمَاذِقُ مِلْحَهُ بِفُرَاتِهِ (٦٢)
وَرَفَعْتَ مِنْ شِعْرِي ، وَكُنْتُ تُحِبُّهُ وَتُحِسُّ سِرَّ الفَنِّ فِي أَبْيَاتِهِ (٦٣)
فَاسْمَعْهُ مِنْ بَاكٍ أَطَاعَ شُجُونَهُ فَطَغَتْ زَوَاخِرُهَا عَلَى مَرْثَاتِهِ (٦٤)
نَظَمَ الدُّمُوعَ فَكُنَّ بَحْرًا كَامِلاً وَأَقَامَ بِالزَّفَرَاتِ تَفْعِيلاَتِهِ (٦٥)
أَنْشِدْهُ حَسَّانًا إِذَا لاقَيْتَهُ فِي جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ بَيْنَ رُوَاتِهِ (٦٦)

---

(٥٧) الطيات : جمع طية ، وهي الجهة والمقصد .

(٥٨) ربيع الزمان : أيامه النضرة الطيبة . يريد به أيام الشباب . القر : البرد . المشتاة : زمن الشتاء . ويريد بقرّ الشتاء أيام الكبر .

(٦٠) البانة : واحدة البان ، وهو شجر سبط القوام لينه ، ورقه كورق الصفصاف .

(٦٢) محض الوداد : خالصه . أصفاه محض الوداد : صدقه الأخاء والمحبة . المماذق : الكاره الذى لا إخلاص عنده . الفرات : العذب .

(٦٤) الشجون : الهموم والأحزان . الواحد : شجن (بالتحريك) . طغت : فاضت وجاوزت الحد . زواخرها : أي كثيرها وعميمها تشبيهًا لها بالبحر الزاخر الكثير الماء . مرثاته : أى ما أعده لك من شعر يرثيك به .

(٦٥) نظم الدموع : ضمّها وألفها . بحرًا كاملاً : أى ممتلئًا . ويريد به أحد بحور الشعر المسمى بالكامل ، وفى هذا اللفظ تورية ظاهرة لأن القصيدة من هذا البحر . الزفرات : الأنفاس الحارة من الحزن . التفعيلات : الأجزاء التى يتألف منها الشعر .

(٦٦) يريد بحسان : حسان بن ثابت الأنصارى شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم .

وَافْخَـرْ بِقَـوْمِـكَ أَنْ أعـادُوا لِلْـورَى   عَهْـدَ البَيَـانِ ومُجْتَلَى آيـاتِـهِ(٦٧)
وَانْعَمْ بِـرِضْـوانِ الإلـهِ وظِلِّـهِ   وَاسْعَدْ بِعَيْشِ الْخُلْدِ في جَنَّـاتِهِ(٦٨)
إنَّ الـذِى خَلَقَ البُكَـاءَ أغـاثَـهُ   بـاللُّطْـفِ والإحْسانِ مِنْ رَحَمـاتِـهِ(٦٩)

---

(٦٧) بقومك : أى بأبناء دار العلوم . مجتلى آياته : أى آياته الناطقة البينة المرئية .

(٦٨) رضوان الإله : رضاه .

أعـلامُ المجْمَــع

في رثاء الأساتذة أحمد الإسكندري وحسين والي ونلينو أعضاء مجمع اللغة العربية . أنشدت بدار الأوبرا في فبراير سنة ١٩٣٩م .

غَـدًا فِي سَمَاءِ الْعَبْقَرِيَّةِ نَلْتَقِي ... وَتَجْتَمِعُ الأَنْدَادُ بَعْدَ التَّفَرُّقِ(١)

وَنَذْكُرُ عَيْشًا كَالأَزَاهِرِ لَمْ يَطُلْ ... وَوُدًّا كَمَشْمُولِ الرَّحِيقِ الْمُصَفَّقِ(٢)

وَنَضْحَكُ مِنْ آمَالِنَا كَيْفَ أَنَّهَا ... أَصَاخَتْ إِلَى وَعْدِ الزَّمَانِ الْمُلَفَّقِ(٣)

وَنَسْبَحُ فِي أَنْهَارِ عَدْنٍ كَأَنَّمَا ... سَرَائِرُنَا مِنْ مَائِهَا الْمُتَدَفِّقِ(٤)

وَنَخْتَرِقُ الأَجْوَاءَ بَيْنَ مُدَوِّمٍ ... يَمُدُّ جَنَاحَيْهِ ، وَبَيْنَ مُصَفِّقِ(٥)

* * *

ذَكَرْتُ أَحِبَّائِي ، وَقَدْ سَارَ رَكْبُهُمْ ... إِلَى غَيْرِ آفَاقٍ ، عَلَى غَيْرِ أَيْنُقِ(٦)

أُوَدِّعُهُمْ مَا بَيْنَ لَوْعَةِ وَاجِدٍ ... تَطِيرُ بِهِ الذِّكْرَى ، وَزَفْرَةِ مُشْفِقِ(٧)

وَأَبْعَثُ فِي الصَّحْرَاءِ أَنَّاتِ شَيِّقٍ ... وَهَلْ تَسْمَعُ الصَّحْرَاءُ أَنَّاتِ شَيِّقِ !؟(٨)

تَعَلَّقْتُ بِالْحَدْبَاءِ حَيْرَانَ وَالِهًا ... وَكَيْفَ ! وَمَاذَا نَافِعِي مِنْ تَعَلُّقِي !؟(٩)

---

(٢) الرحيق : صفوة الخمر . المشمول : البارد يقال (غير مشمول) . هبت عليه ريح الشمال فأبردته . المصفق : المصفى بتحويله من إناء إلى إناء .

(٥) مدوم : دوم الطائر . حلق في الهواء دون أن يحرك جناحيه . مصفق : من صفق الطائر بجناحيه حركهما فسمع لحركتهما صوت .

(٦) أينق : جمع ناقة وجمع الجمع : أيانق .

(٩) الحدباء : النعش .

لَمَسْتُ فَلَمْ أَلْمِسْ سِوَى أَرْيَحِيَّةٍ مِنَ النُّورِ، لُفَّتْ فِى رِدَاءٍ مُخَلَّقِ(١٠)

* * *

أَتُدْفَنُ فِى الأَرْضِ الكُنُوزُ وَفَوْقَهَا خَلاَءٌ، إِلَى لأْلائِهَا جِدُّ مُمْلِقِ ؟(١١)

وَيَمْضِى الْحِجَا مَا بَيْنَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ كَلَمْحَةِ طَرْفٍ أَوْ كَوَمْضَةِ مُبْرِقِ ؟(١٢)

يَضِيقُ فَضَاءُ الأَرْضِ عَنْ هِمَّةِ الفَتَى وَيُجمَعُ فِى لَحْدٍ مِنَ الأَرْضِ ضَيِّقِ(١٣)

تَبَابٌ لِهذا الدَّهْرِ، مَاذَا يُرِيدُهُ ؟ وَأَىُّ جَدِيدٍ عِنْدَهُ لَمْ يُمَزِّقِ ؟(١٤)

يُصَدِّعُ مِنْ أَعْلاَمِنَا كُلَّ رَاسِخٍ وَيُطفِىءُ مِنْ أَنْوَارِنَا كُلَّ مُشْرِقِ(١٥)

هُوَ المَوْتُ مَا أَغْنَى اسْمَهُ عَنْ صِفَاتِهِ وَعَنْ كُلِّ أَلْوَانِ الكَلامِ المُنَمَّقِ(١٦)

رَمَتْنِى عَوَادِيهِ فَإِنْ قُلْتُ إِنَّهَا مَضَتْ بِأَمَانِىءِ الحَيَاةِ فَصَدِّقِ !(١٧)

* * *

أَأَحْمَدُ أينَ الأَمْسُ، والأَمْسُ لَمْ يَعُدْ سِوَى ذِكْرَيَاتٍ لِلخَيَالِ المُؤَرِّقِ(١٨)

كَأَنِى أرَاكَ اليَوْمَ تَخْطُبُ صَائِلاً وَتَهْدِرُ تَهْدَارَ الْفَنِيقِ المُشَقْشِقِ(١٩)

تُنَافِحُ عَنْ بِنْتِ الصَّحَارِى مُشَمِّرًا وَتَفْتَحُ مِنْ أَسْرَارِهَا كُلَّ مُغْلَقِ(٢٠)

---

(١٠) مخلق : الخلوق والخلوقة ضرب من الطيب . المخلق : ما وضع عليه الخلوق .

(١١) جد مملق : مفتقر جدًا .

(١٢) الحجا : العقل والفطنة .

(١٤) التباب : القطع والإهلاك . وتبًا له : دعاء عليه بالهلاك .

(١٩) هدر الفتيق : ردد صوته فى حنجرته . التهدار : مصدر منه. المشقشق : البعير يخرج من فيه ما يشبه الرئة إذا هاج ويسميها العامة (القلة) .

(٢٠) تنافح : تدافع . بنت الصحارى : كناية عن اللغة العربيه . مشمرًا : مجتهدًا . أسرارها : خفاياها ومعضلاتها . مغلق : مقفل .

مَضَى حَـارِسُ الفُصْحَى فَخَلَّـدَهُ اسْمُـهُ كَما خَلَّـدَ الأَعْشَى حَدِيثَ الْمُحَلَّقِ(٢١)
فَقَـدْنَـا بِـهِ زَيْنَ الْفَـوَارِسِ ، إِنْ رَمَى أَصَـابَ وإِنْ يُرْخِ الْعِنَـانَيْنِ يَسْبِقِ(٢٢)
فَقُلْ لِلَّـذِي يَسْمُـو لِـذَيْلِ غُبَـارِهِ ظَلَمْتَ العِتَـاقَ الشَّيْظَمِيَّاتِ فَـارْفُقِ(٢٣)
إِذَا مَـا رَمَى عِنْـدَ الجِـدَالِ عَبَـاءَهُ رَمَـاكَ بِسَيْلٍ يَقْـذِفُ الصَّخْرَ مُغْـرِقِ(٢٤)
فَجَـانِـبْ إِذَا كُنْتَ الحَكِيمَ سُـؤَالَـهُ وَأَطْـرِقْ إِلَى آرا ئِهِ ثُمَّ أَطْـرِقِ(٢٥)

* * *

أَأَحْمَـدُ ، إِنْ تَمْـرُرْ بِـوَالِي فَحَيِّـهِ وَبَلِّغْـهُ أَشْوَاقَ الفُـؤادِ المُحَـرَّقِ(٢٦)
طَـوَيْنَـاهُ صَيَّـادَ الأَوابِـدِ لَـمْ يَـدَعْ عَـزِيزًا عَلَى الأفهـامِ غَيْـرَ مُـوَثَّقِ(٢٧)
لَـهُ نَظْـرَةٌ لَمْ يَحْتَمِلْ وَقْعَ سِحْـرِهَـا غَرِيـبُ ابْن حُجْرٍ أَوْ عَوِيـصُ الفَرَزْدَقِ(٢٨)

---

(٢١) الأعشى : هو أعشى قيس أبو بصير من فحول شعراء الجاهلية . المحلق : لقب عبد العزى ابن حنتم وكان فقيرًا خامل الذكر مدحه الأعشى بقصيدته التى مطلعها :

أرقت وما هذا السهاد المؤرق ... وما بى من سقم وما بى تعشق

فنبه ذكر المحلق وعلا شأنه ، وخلد التاريخ اسمه .

(٢٣) العتاق : من الخيل . النجائب، ومفرده عتيق ككريم . الشيظميات : واحدها شيظمى وهو الفرس الرائع بطول جسمه وقوته. ارفق : ترفق وتلطف .

(٢٦) والى : هو المرحوم الأستاذ حسين والى عضو المجمع اللغوى وأحد فحول العربية فى عصر النهضة . تخرج فى الأزهر وزاول مهنة التدريس فيه وفى مدرسة القضاء الشرعى ، وتدرج فى مناصب الأزهر السامية . ولما أنشىء المجمع اختير عضوًا فيه وكانت مواقفه فيه خالدة ، وآراؤه حكيمة ، وله عدة مؤلفات فى الأدب واللغة ورسم الحروف معظمها لم يطبع بعد . أشواق : جمع شوق وهو نزاع النفس وحركة الهوى . المحرّق : من حرقه بالنار يحرقه بالغ فى الإحراق .

(٢٧) الأوابد : الوحوش ، والمراد عويصات المسائل وغرائبها مما يعز فهمه . الموثق : المحكم المتقن .

(٢٨) ابن حجر : امرؤ القيس إمام شعراء الجاهلية . عويص : من عوص الكلام صعب . والعويص من الشعر ما صعب فهم معناه . الفرزدق : أحد فحول الشعراء الأمويين مشهور بصلابة الشعر وغرابته .

أَحَــاطَ بـــآثــارِ الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَــدِ إِحَــاطَــةَ فَيَّــاضِ البَيَــانِ مُــدَقِّقِ(٢٩)
إذا مَسَّ بِـــالكَفِّ الجَبِينَ تَــدافَعَتْ جُيُـوشُ المَعَــانِي فَيْلَقًا إِثْــرَ فَيْلَقِ(٣٠)

* * *

وَيَـــوْمًـــا مَـعَ الإِسْكَنْــدَرِيِّ رَأَيْتُــهُ يُجَــاذِبُـهُ فَضْلَ الْحَـدِيثِ المُشَقَّقِ(٣١)
فَهَــذَا يَـرَى فِي لَفْظَــةٍ غَيْــرَ مَـا يَـرَى أَخُــوهُ ، وَيَخْتَــارُ الــدَّلِيلَ وَيَنْتَقِي(٣٢)
فَقُلْتُ أرَىَ لَيْثًـــا وَلَيْثًـــا تَجَمَّعَـــا وأَشْـدَقَ مِلءَ العَيْنِ يَمْشِي لأَشْـدَقِ(٣٣)
وَأَعْجَبَنِــي رَأْيٌ سَلِيـــمٌ وَمَنْطِـــقٌ يَصُـــولُ عَلَى رَأْيٍ سَلِيمٍ ومَنْطِقِ(٣٤)
وَقَــدْ لَـــوَّحَتْ أَيْــدِيهِمَــا فَكَأَنَّهــا إِشَـــارَاتُ رَايَــاتٍ تَــرُوحُ وَتَلْتَقِي(٣٥)
وَلَمْ أَرَ فِـي لَفْظَيْهِمَـــا نَبْـــرَ عَــائِبٍ وَلَمْ أَرَ فِـي عَيْنَيْهِمَـــا لَمْحَ مُحْنَقِ(٣٦)
فَقُلْتُ هِـيَ الفُصْحَى بِخَيـــرٍ وَإِنَّهَـــا بِأَمْثَــالِ هَــذَيْنِ الْحَفيَّيْنِ تَــرْتَقِي(٣٧)

* * *

(٢٩) الخليل بن أحمد : هو واضع علم العروض ، وصاحب معجم العين .
(٣٠) تدافعت : تدافعوا في الحرب : دفع بعضهم بعضًا . الفيلق : الجيش .
(٣١) الإسكندري : هو المرحوم الأستاذ أحمد علي السكندري . حجة الأدب العربي واللغة العربية ، تلقى دروسه في الأزهر ، ثم في دار العلوم ، ثم كان مدرسًا في المدارس الأميرية ، فناظرًا لمدارس المعلمين فأستاذًا بدار العلوم ، فعضوًا في المجمع توفي سنة ١٩٣٨م . يجاذبه : يجذبه حوله عن موضعه كجاذبه . والمراد هنا النقاش والمجادلة ، لأن كلاً يجذب الآخر لرأيه بكلامه . جذب الشيء فضل : الفضل هنا بمعنى الطرف . المشقق : شقق الكلام أخرجه أحسن مخرج .
(٣٣) أشدق : الشدَق . سعة الشدق وخطيب أشدق بليغ .
(٣٦) نَبر: نبر فلانا بلسانه . نال منه . لمْح : لمح إليه اختلس النظر ولمح البرق لمع . محنق : الحنق . الغيظ أو شدته .

وَلَمْ أنْسَ نَلِّينُـو وَقَـدْ جَـاءَ فَيْصَـلاً بِحُجَّـةِ بَحَّـاثٍ وَرَأْيِ مُحَقِّقِ(٣٨)
وَفِكْـرٍ لَـهُ مِنْ فِطْـرَةِ الـرُّومِ دِقَّـةٌ وَمِنْ نَفَحَـاتِ العُـرْبِ حُسْـنُ تأَلُّقِ(٣٩)
يُنَسِّـقُ عِلْمَ الأَوَّلِيـنَ مُجَـاهِـدًا ولاَ خَيْـرَ فِى عِلْـمٍ إذَا لَمْ يُنَسَّـقِ(٤٠)
تَقَـاسَمَـهُ غَـرْبٌ وَشَـرْقٌ فَـأَلَّفَتْ مَنَـاقِبُـهُ مَـا بَيْنَ غَـرْبٍ ومَشْـرِقِ(٤١)
فَـدَعْ ما يُغَطِّى الـرَّأسَ واسْمَعْهُ لا تَجِـدْ سِـوَى عَـرَبِىٍّ فِـى العُـرُوبَـةِ مُعْـرِقِ(٤٢)
إذا صَـالَ أَلْقَى الـرُّمْحَ كُلُّ مُنَـازِلٍ وإِنْ هُـوَ دَوَّى سَفَّ كُـلُّ مُحَلِّقِ(٤٣)
عَشِقْنَـاهُ وَضَّـاحَ الْخَـلاَئِقِ مُخْلِصًـا وَمَنْ يَكُ وَضَّـاحَ الخَـلائِقِ يُعْشَقِ(٤٤)
فَيَـا مَجْمَـعَ الفُصْحَى عَـزَاءً فَكُلُّنَـا إلَى الشاطِىءِ المَوْعُودِ رُكَّابُ زَوْرَقِ(٤٥)
وَمَـا عَقِمَتْ أُمُّ اللُّغَـاتِ وَلا خَلَتْ خَمـائِلُهَـا مِنْ سَجْعِ كُلِّ مُطَـوَّقِ(٤٦)

---

(٣٨) نلينو : هـو المستشرق الإيطالى الكبيـر الأستاذ نلينو ولـد فى تورينـو من بلاد إيطاليـا سنة ١٨٧٢م . وأتقن دراسة الرياضيات والفلك والفلسفة والفقه وتاريخ الأديان . وفد إلى القاهرة فى بعثة إيطالية سنة ١٨٩٣م ليتزود من علـوم الشرق ، ولاسيمـا العلوم الإسلاميـة ثم عاد إلى وطنه فـاشتغل مدرسًـا للعلوم العربية فى المعهد الشرقى بنابولى وفى جامعة روما ثم بلرم . فأستاذًا للتاريخ الإسلامى بجامعة روما . وألقى محاضرات هـامة فى الجامعة المصـرية بين عامى سنة ١٩٠٩م وسنـة ١٩١٣ ثم دعاه الملك فؤاد سنـة ١٩٢٦ ليكون أستـاذًا بكلية الآداب واختير عضـوًا فى المجمع كما اختيـر عضوًا فى مجمع إيطـاليا وفى الجمعيتيـن الشرقيتين الإنجليـزيـة والألمانيـة . وفى مجمع دمشق العلمى . تـوفى سنـة ١٩٣٨م .

(٤٣) دوّى : دوى الطائر : طار فى الهواء ولم يحرك جناحيه . سف الطائر : هبط إلى الأرض .

بَغـدَادُ

ألقيت فى حفل افتتاح المؤتمر الطبى العربى ببغداد فى ٩ من فبراير سنة ١٩٣٨م .

بَغْـدَادُ ، يَـــا بَلَــدَ الـــرَّشِيـــدِ ! وَمَنَـــارَةَ الْمَجْـــدِ التَّلِيــــدِ !(١)
يَـــا بَسْمَـــــةً لَمَّـــا تَـــزَلْ زَهْــرَاءَ فِـى ثَغْــــرِ الْخُلُـــودِ(٢)
يَـــا مَـــوْطِنَ الْحُبِّ الْمُقِيمِ وَمَضْـــرِبَ الْمَثَلِ الشُّـــرُودِ(٣)
يَـا سَطْـرَ مَجْـــــــدٍ لِلْعُرُو بَـــةِ خُطَّ فِى لَـوْحِ الْــوُجُـودِ(٤)
يَـــا رَايَـــةَ الإِسْـــلاَمِ ، وَالْـــ إِسْـــلاَمُ خَفَّـــاقُ الْبُنُـــودِ(٥)
يَـــا مَغْــــرِبَ الأَمَلِ الْقَـــدِيـمِ ، وَمَشْـرِقَ الأَمَــــــلِ الْجَـدِيـدِ(٦)
يَـــا بِنْتَ دِجْلَـــــةَ ، قَـــدْ ظَمِئْتُ لِـــــرَشْفِ مَبْسِمِكِ الْبَــــرُودِ(٧)
يَـــا زَهْـــــرَةَ الصَّحْـــــرَاءِ ، رُدِّ ى بَهْجَـــةَ الـــدُّنْيَـــا وَزِيــدِى(٨)
يَـــا جَنَّـــــةَ الأَحْــــلاَمِ ، طَـــا لَ بِقَـــوْمِنَـــا عَهْـــدُ الـــرُّقُـــودِ(٩)
يَــــا بُهْـــــرَةَ الْمُلْـكِ الْفَسِيـحِ ، وَصَخْـــــرَةَ الْمُلْكِ الْـــوَطِيـــدِ(١٠)

(١) بغداد : مدينة عظيمة على شاطىء نهر دجلة من بلاد العراق ، وكانت مقرالخلافة العباسية ، بناها أبو جعفر المنصور ثانى الخلفاء العباسيين سنة ١٤٥هـ . والرشيد هو هارون الرشيد خامس خلفاء بنى العباس تولى الخلافة (١٧٠ - ١٩٣هـ) وكان عصره عصر نعيم ورخاء ، وفى زمنه ازدهرت بغداد وعظم شأنها .

(٣) الشرود : السائر الذائع المنتشر .

(٧) المَبسم : الثغر ،وهو ماتقدّم من الأسنان حيث يكون الابتسام ، والمراد الريق . البرود : البارد .

(١٠) بهرة الملك : قصبته ومقره . الوطيد : الثابت المتين .

يَـــــــا زَوْرَةً تُحْيِـى الْمُنَـى　　　إِنْ كُنْتِ صَـادِقَــةً فَعُــودِى !(١١)

* * *

بَغْـــــدَادُ ، يــــــا دَارَ النُّهَـى　　　وَالْفَـنِّ ، يَـــا بَيْـتَ الْقَصِيـــدِ(١٢)

نَبَـتَ الْقَــــرِيضُ عَلَـى ضِفَــا　　　فِـكِ بَيْنَ أَفْنَــانِ الْـــوُرُودِ(١٣)

سَـــرَقَ التَّــدَلُّلَ مِنْ « عِنَــا　　　نِ » وَالتَّفَنُّنَ مِـنْ « وَحِيــــدِ »(١٤)

يَشْـــدُو كَـأَنَّ لَهَــاتَــــهُ　　　شُـــدَّتْ عَلَى أَوْتَــارِ عُــودِ(١٥)

بَغْـــدَادُ ، أَيْنَ الْبُحْتَـــرِىُّ ؟　　　وَأَيْـنَ أَيْنَ ابْـنُ الْـــوَلِيـــدِ ؟(١٦)

ومَجَـــالِسُ الشُّعَــــراءِ فـى　　　بَيْتِ ابْـنِ يَحْيَـى وَالــرَّشِيـــدِ ؟(١٧)

أَيْـنَ الْقِيَـــانُ الضَّـــاحِكَـــا　　　تُ يَمِسْـنَ فِى وَشْـيِ الْبُــرُودِ ؟(١٨)

السَّــاحِـرَاتُ الْفَــاتِنَــا　　　تُ النُّجْـلُ مِـنْ هِيـفٍ وَغِيــــدِ(١٩)

---

(١٤) عنان : جارية الناطفى كانت مغنية رائعة الحسن فاتنة الدلال . وحيد : اسم مغنية اشتهرت فى العصر العباسى بافتنانها فى الغناء ، ولابن الرومى قصيدة فى وصفها .

(١٦) البحترى : هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائى ، شاعر مطبوع من شعراء الدولة العباسية المقربين إلى الخليفة المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان ، وكانت ولادته بمنبج (وهى بلدة قديمة بين حلب والفرات) سنة ٢٠٦هـ . وتوفى بها سنة ٢٨٤هـ .

ومسلم بن الوليد الملقب بصريع الغوانى كان أيضًا من الشعراء المفلقين فى عهد هارون الرشيد ، وهو أول من تكلف البديع فى شعره ، وكانت وفاته بجرجان سنة ٢٠٨هـ .

(١٧) ابن يحيى هو الفضل بن خالد بن برمك ، وكان هو وأخوه جعفر وأبوهما يحيى من وزراء الرشيد وأنبه الناس وأبعدهم صيتًا وأرفعهم قدرًا وأعظمهم كرمًا ، وبلغ من أمرهم أنهم زاحموا الخليفة فى نفوذه وسلطانه ، وأصبح الملك فى قبضتهم ، ولهذا غضب عليهم الرشيد وفتك بهم . وكانوا إلى كياستهم وحسن سياستهم رجال فضل وعلم وأدب ، وكانت مجالسهم ونواديهم مقصد الشعراء وكعبة البلغاء والأدباء .

(١٨) القيان : جمع قينة وهى الأمة المغنية . الوشى : مصدر وشيت الثوب من باب وعد أى رقمته ونقشته . البرود : جمع برد وهو الثوب المخطط .

(١٩) النجل : جمع نجلاء صفة من النجل بفتحتين وهو سعة العين وحسنها . هيف : جمع هيفاء صفة من الهيف بفتحتين وهو ضمر البطن ورقة الخاصرة . غيد : جمع غيداء صفة من الغيد بفتحتين وهو لين الأعطاف والتثنى .

السَّاهِرَاتُ مَعَ النُّجُو ... مِ الآنِفَاتُ مِنَ الْهُجُودِ(٢٠)
مِنْ كُلِّ بَيْضَاءِ الطُّلَى ... مَهْضُومَةِ الْكَشْحَيْنِ رُودِ(٢١)
يَخْطِرْنَ حَتَّى تَعْجَبَ الْـ ... أَغْصَانُ مِنْ لِينِ الْقُدُودِ(٢٢)
وَإِذَا سَفَرْنَ فَأَيْنَ ضَوْ ... ءُ الشَّمْسِ مِنْ شَفَقِ الْخُدُودِ ؟(٢٣)
يَعْبَثْنَ بِالأَيَّامِ ، وَالْـ ... أَيَّامُ أَعْبَثُ مِنْ وَلِيدِ !(٢٤)
خَبَأَ الْجَمَالُ لَهُنَّ كَنْزًا ... بَيْنَ سَالِفَةٍ وَجِيدِ(٢٥)

* * *

كَمْ جَاشَ جَيْشُكِ بِالْفَوَا ... رِسِ مِنْ أَسَاوِرَةٍ وَصِيدِ !(٢٦)
لِلنَّصْرِ فِي أَعْلامِهِمْ ... صِلَةٌ بِأَبْنَاءِ الْغُمُودِ(٢٧)
مُلْكٌ إِذَا صَوَّرْتَهُ ... عَجَزَ الْخَيَالُ عَنِ الصُّعُودِ(٢٨)
وَجُهُودُ جَبَّارِينَ تَصْغُرُ ... دُونَهَا شُمُّ الْجُهُودِ(٢٩)
الرُّسْلِ تَتْلُو الرُّسْلَ مِنْ ... بِيضٍ صَقَالِبَةٍ وَسُودِ(٣٠)

---

(٢١) الطُّلَى : الأعناق أو أصولها ، واحدتها طُلية . مهضومة : ضامرة لطيفة . الكشح : ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف . مهضومة الكشحين : هيفاء ضامرة البطن رقيقة الوسط . رود : رقيقة لينة ناعمة .

(٢٢) القدود : جمع قد وهو القامة وحسن التقطيع والاعتدال .

(٢٥) السالفة : جانب العنق . الجيد : العنق أو مقدمه أو موضع القلادة منه .

(٢٦) جاش جيشك : ماج واضطرب لكثرته كالبحر الزاخر المائج . الفوارس : جمع فارس وهو راكب الفرس . الأساورة : جمع أسوار بضم الهمزة وكسرها وهو القائد والجيد الرمى بالسهام . الصيد : جمع أصيد وهو الملك ورافع رأسه كبرًا والأسد .

(٢٧) أبناء الغمود : كناية عن السيوف .

(٢٩) شم : جمع أشم وهو المرتفع العالى .

(٣٠) الصقالبة : جيل تتاخم بلادهم بلاد الخزر بين بلغر وقسطنطينية ، والمراد الأمم والممالك الأوربية المجاورة لبحر الخزر والبحر الأسود فى الشمال والغرب .

سَـــارُوا « لِقَصْـــرِ الْخُلْـــدِ » يُغْشِى — طَـــرْفَهُمْ وَهَجُ الحَـــدِيـــدِ(٣١)

يَتَعَثَّـــــــــــرُونَ ، كَـــأَنَّهُـــمْ — يَمْشُـــونَ فِى حَلَقِ الْقُيُـــودِ(٣٢)

الْجَـــوُّ يَسْطَعُ بِـــالظُّبَـــا — وَالأَرْضُ تَـــزْخَـــرُ بِـــالْجُنُـــودِ(٣٣)

حَتَّى إِذَا رَجَعُـــوا بَـــدَا — بِجِبَـــاهِهِمْ أَثَـــرُ السُّجُـــودِ(٣٤)

* * *

الْفَلْسَفَـــاتُ عَـــرَفْتِهَـــا — وَالْعِلْمُ طِفْلٌ فِى الْمُهُـــودِ(٣٥)

وَالْغَـــرْبُ يَنْظُـــرُ فِى خُمُـــودٍ — نَحْـــوَ قَـــاتِلَـــةِ الْخُمُـــودِ(٣٦)

كَـــمْ مَـــوْئِلٍ لِلْمُسْتَجِيـــرِ ، — وَمَنْهَـــلٍ لِلْمُسْتَفِيـــدِ(٣٧)

وَ « الْجَـــاحِظُ » الْمَـــرِحُ اللَّعُـــو — بُ يَغُـــوصُ لِلـــدُّرِّ الْفَـــرِيـــدِ(٣٨)

بَغْـــدَادُ ، يَـــا وَطَنَ الأَدِيـــبِ ، — وَأَيْكَـــةَ الشِّعْـــرِ الْغَـــرِيـــدِ(٣٩)

جَـــدَّدْتِ أَحْـــلاَمِى ، وَكُنْتُ — صَحَـــوْتُ مِنْ عَهْـــدٍ عَهِيـــدِ(٤٠)

جَمَـــحَ الْخَيَـــالُ فَمَـــا اطْمَأَنَّ ، — وَلا اسْتَقَـــرَّ إِلَى خُلُـــودِ(٤١)

---

(٣١) يريد بقصر الخلد قصر الخليفة ببغـداد . الطرف : العين . يعشى طرفهم : يصيب عيونهم بالعشا ، وهو سوء البصر بالليل والنهار . وهج الحديد : توقده ولمعانه .

(٣٢) عثر فى مشيه وتعثر: كبا وزل وسقط . الحلق : جمع على غير قياس لحلقة .

(٣٣) يسطع : يرتفع ، والمراد يزدحم ويتلألأ من قولهم سطعت النـار إذا ارتفعت وعظم لهبها واشتد توقدها ، الظبا : جمع ظبة وهى حد السيف والرمح ونحوهما . تزخر : تمتلىء .

(٣٨) الجاحظ : هو أبو عثمان عمرو الجاحظ بن بحر الكنانى البصرىّ ، ولد بالبصرة حوالى سنة ١٦٠هـ . وكان راويـة فيلسوفًـا كاتبًا مصنفًـا أديبًا عالمًـا بالحيـوان والنبات وصّافًـا لأحوال النـاس فكه المجلس خفيف الروح غـاية فى الظرف وطيب الفكـاهة ، ومن مـؤلفاته المشهـورة كتاب الحيوان وكتـاب البيان والتبيين وكتاب البخـلاء ، وطريقته فى الكتـابة لا تزال قدوة ومثـالاً عاليًا لنـوابغ الكتّاب ، وكانت وفـاته ببغداد سنة ٢٥٥هـ وقد نيف على التسعين .

(٤٠) عهد عهيد : زمن قديم .

جَــــازَ الْقُـــرونَ النَّـــائِيَـــا ... تِ ، وَفَـكَّ أَسْـــرَارَ الْعُقُـــودِ(٤٢)

ذَكَـــرَ الْعُهُـــودَ فَأَنَّ لِلْـــذِّ ... كْـــرَى ، وَحَـنَّ إِلَـى الْعُهُـــودِ(٤٣)

وَاهْتَـــاجَـــهُ الطَّيْـفُ الْبَعِيـــدُ ، ... فَجُـنَّ لِلطَّيْـفِ الْبَعِيـــــدِ(٤٤)

وَصَبَـــــا إِلَى ظِـلِّ الْعُـــرُو ... بَــةِ فِـى حِمَـى الْمُلْـكِ الْعَتِيـــدِ(٤٥)

* * *

يَـــا أُمَّـــةَ الْعَـــرَبِ ارْكُضِـى ... مِـلءَ الْعِنَـــانِ ، وَلاَ تَهِيـــدِى(٤٦)

سُـــودِى ، فَـــآمَـــالُ الْمُنَـى ... وَالْعَبْقَـــرِيَّـــةِ أَنْ تَسُـــودِى(٤٧)

هَـــذَا أَوَانُ الْعَـــدْوِ لاَ الْــــ ... إِبْطَـــاءِ وَالْمَشْيِ الْـــوَئِيـــدِ(٤٨)

الْمَجْـــــدُ أَنْ تَتَـــوَثَّبِى ... وَإِذَا وَثَبْـتِ فَـــلاَ تَحِيـــدِى(٤٩)

وَتُحَلِّقِـى فَـــوْقَ النُّجُـــو ... مِ بِـــلاَ شَبِيـــهٍ أَوْ نَـــدِيـــدِ(٥٠)

وإِذَا شَـــدَا الْكَـــوْنُ الْمَفَـــا ... خِـــرَ كُنْتِ عُنْـوَانَ النَّشِيـــدِ(٥١)

لاَ تُخْطِـىء حَـــــدَّ الْعُـــلاَ ... مَـــا لِلْمَعَـــالِـى مِنْ حُـدُودِ !(٥٢)

مَنْ يَصْطَـــدِ النَّمِـــرَ الْـــوَثُـــو ... بَ يَعِفَّ عَـنْ صَيْـــدِ الْفُهُـــودِ(٥٣)

* * *

هَـــذِى طَـــلاَئِعُ نَهْضَـــةٍ ... ذَهَبَتْ بِـــآثَـــارِ الـــرُّكُـــودِ(٥٤)

بَغْـــدَادُ أَشْـــرَقَ نَجْمُهَـــا ... وَبَـــدَا بِهَـــا سَعْـدُ السُّعُـــودِ(٥٥)

---

(٤٢) القرون : جمع قرن وهو مائة سنة. النائيات : البعيدات . العقود : جمع عقد وهو العشرة من العدد ، فالعقود عشرات السنين .

(٤٥) صبا : مال وتاق . والعروبة مصدر عرب لسانه إذا كان عربيًا فصيحًا . والمراد القومية العربية . الحمى : المكان المحمى الذى لا يُقرب ولا يجترأ عليه . العتيد : العظيم .

(٤٦) اركضى : أمر من الركوض وهو العدو والإسراع . العنان ككتاب : سَير اللجام الذى تمسك به الدابة . ملء العنان : كناية عن شدة الركوض ونهاية الإسراع . لا تهيدى : لا تبالى أو تخافى .

سَلَكَتْ إِلَى الْمَجْدِ الْقَدِيمِ مَحَجَّةَ النَّهْجِ السَّدِيدِ(٥٦)
وَزَهَتْ بِأَقْمَارِ الْهُدَى وَسَطَتْ بِأَظْفَارِ الأُسُودِ(٥٧)
بَغْدَادُ ، إِنَّا - وَفْدَ مِصْرَ - نَفِيضُ بِالشَّوْقِ الأَكِيدِ(٥٨)
جِئْنَا نُحَيِّى الْعِلْمَ وَالْـ آدَابَ فِى الْعَدَدِ الْعَدِيدِ(٥٩)
مَرْآكِ عِيدٌ لِلْمُنَى فُزْنَا بِهِ فِى يَوْمِ عِيدِ(٦٠)
أَهْلُوكِ أَهْلُونَا ، وَأَبْنَاءُ الْعَشِيرَةِ وَالْجُدُودِ(٦١)
بَيْنَ الْقُلُوبِ تَشَوُّفٌ كَتَشَوُّفِ الصَّبِّ الْعَمِيدِ(٦٢)
حَتَّى يَكَادَ يُحِبُّ نَخْلَكِ نَخْلُ أَهْلِى فِى « رَشِيدِ »(٦٣)
شَطَّتْ مَنَازِلُنَا ، وَمَا احْتَاجَ الْفُؤَادُ إِلَى بَرِيدِ(٦٤)
الرَّافِدَانِ تَمَازَجَا فِى الْحُبِّ بِالنِّيلِ السَّعِيدِ(٦٥)

---

(٥٦) المحجة : جادّة الطريق أى معظمه . النهج : الطريق الواضح .

(٥٧) زهت : افتخرت وتاهت ، ويريد بأقمار الهدى علماءها الأعلام وقادتها وزعماءها الذين يهدونها سبيل الرشاد . سطت : صالت وقهرت وبطشت .

(٥٨) كان الوفد الذى يشير إليه الشاعر مؤلفًا منه والمرحوم الأستاذ أحمد عمر الإسكندرى ممثلين للمجمع اللغوى ، ثم من أطباء على رأسهم على إبراهيم باشا .

(٦٠) المنى جمع منية وهى ما يتمناه الإنسان ويريده ويهواه . به : بالمرأى . وأشار بالشطر الثانى إلى موافقة حفلة افتتاح المؤتمر (٩ من فبراير سنة ١٩٣٨م) ليوم عرفة (وقفة عيد الأضحى من ذى الحجة سنة ١٣٥٦هـ) .

(٦٢) التشوف : التطلع إلى الشىء والنظر والإشراف ، والمراد الحب والاشتياق . الصب : العاشق المستهام . العميد : الذى هدّه العشق وأضناه الغرام .

(٦٣) رشيد : بلد الشاعر من بلدان مديرية البحيرة على فرع النيل الغربى (فرع رشيد) .

(٦٤) شطت : بعدت .

(٦٥) الرافدان : دجلة والفرات .

وَتَعَـــانَقَ الظِّـــلاَّنِ : ظِـلُّ ... الطَّـــاقِ وَالْهَـــرَمِ الْمَشِيـــدِ(٦٦)

جِئْنَـــاكِ نَسْتَبِقُ الْخُطَـــا ... أَنْضَـــاءَ أَوْدِيَـــةٍ وَبِيـــدِ(٦٧)

طَـــالَتْ بِنَـــا الصَّحْـــرَاءُ حَتَّى ... خِلْتُهَـــا أَبَـــدَ الأَبِيـــدِ(٦٨)

يَتَخَلَّصُ الْمَـــرمَى الْمَـــدِيـــدُ ... بِهَـــا إِلَـى مَـــرْمًى مَـــدِيـــدِ(٦٩)

كَتَخَلُّصِ الْحَسْنَـــــاءِ مِـنْ ... وَعْـــدٍ طَـــوَتْـــهُ إِلَى وُعُـــودِ(٧٠)

بَحْـــرٌ بِـــلاَ شَطَّيْـنِ يَـــزْ ... خَـــرُ بِـــالتَّنَـــائِفِ وَالنُّجُـــودِ(٧١)

وَسَفِينَتِـى « نَـــرْنٌ » بِهَـــا ... مَـــا فِـى فُـــؤَادِى مِنْ وَقُـــودِ(٧٢)

جِئْنَـــا إِلَـى الْغَـــازِى سَلِيـلِ ... الْعُـــرْبِ وَالْحَسَبِ الْمَجِيـــدِ(٧٣)

نَخْتَـــالُ بَيْـنَ هِبَـــاتِـــهِ ... فِـى ظِلِّ إِحْسَـــانٍ وَجُـــودِ(٧٤)

---

(٦٦) الطاق : إيوان كسرى وهو على مسافة غير بعيدة من بغداد ، ويريد بالهرم هرم الجيزة الأكبر على مقربة من مدينة الجيزة فى جنوبها الغربى ، وهو إحدى عجائب الدنيا السبع ، وبه عرفت مصر وامتازت عن سائر الممالك والبلاد ، بناه الملك خوفو مؤسس الأسرة الرابعة من الأسر الملكية قبل الميلاد بنحو ثلاثة آلاف سنة . المشيد : المطلى بالشيد وهو ما تطلى به الجدران من جص ونحوه ، المشيد أيضًا : الرفيع العالى .

(٦٧) نستبق الخطا : نبتدرها ونعاجلها ونسرع فيها . الخطا : جمع خطوة . أنضاء : جمع نضو وهو المهزول الذى أضعفه السفر وأضناه أى هزله . البيد : جمع بيداء وهى الصحراء .

(٦٨) خلتها :ظننتها . الأبد : الدهر والزمان والدائم . وهو يريد بالصحراء هنا بادية الشام فى شمال الجزيرة العربية ، ويجتازها المسافر من دمشق إلى بغداد بسيارة (نرن) فى نحو ٢٠ ساعة فى ذلك الوقت .

(٧١) يزخر : يعظم ويمتد ويزدحم . التنائف : جمع تنوفة وهى المفازة أو الأرض الواسعة البعيدة الأطراف أو الفلاة لا ماء بها ولا أنيس . والنجود : جمع نجد وهو ما ارتفع من الأرض .

(٧٢) أراد بالسفينة السيارة الكبيرة الصحراوية التى كان يركبها . و « نرن » اسم شركة أجنبية تملك السيارات الكبيرة التى تغدو وتروح فى تلك الصحراء بين دمشق وبغداد . الوقود : بضم الواو وفتحها النار أو اتقادها .

(٧٣) الملك غازى ملك العراق ابن الملك فيصل ابن الملك حسين.

أَحْيَا الْمُنَى بِالْعَزْمِ وَالتَّدْ ... بِيرِ والسَّعْيِ الْحَمِيدِ(٧٥)
وَغَدَتْ بِهِ سُوحُ الْعُرُو ... بَةِ مَنْهَلاً عَذْبَ الْوُرُودِ(٧٦)
فِي نَهْضَةِ « الْفَارُوقِ » ... والْغَازِي غِنًى لِلْمُسْتَزِيدِ(٧٧)
« فَارُوقُ » مُنْبَثَقُ الرَّجَا ... ءِ وَمُلْتَقَى الرُّكْنِ الشَّدِيدِ(٧٨)
عَاشَا وَعَاشَ الشَّرْقُ فِي ... عِزٍّ وَفِي عَيْشٍ رَغِيدِ(٧٩)

---

(٧٦) السوح : جمع ساحة وهى الناحية والفضاء بين دور الحى ، والمراد بالعروبة القومية العربية . المنهل : المورد أى مكان النهل وهو الشرب ، والورود مصدر ورد الماء إذا بلغه ووافاه ، والمرا د المورد والماء .

(٧٨) منبثق : اسم مكان من انبثق السيل ونحوه إذا تفجر . الركن : العز والمنعة.

صَـــومَـــان

نزل الشاعر ضيفًا فى أحد الرمضانات ببعض أثرياء [illegible]
وكانوا بخلاء ، فقال هذين البيتين ١٩٠٥م

أَتَى رَمَضَـــانُ غَيْـــرَ أَنَّ سَـــرَاتَنَـــا   يُرِيدُونَهُ [illegible] بِهِ النَّفْسُ(١)

يَصُـــومُـــونَ صَـــوْمَ الْمُسْلِمِيـنَ نَهَـــارَهُ   وَصَوْمَ النَّصَارَى حِينَمَا تَغْرُبُ الشَّمْسُ(٢)

جُـــزحٌ لَـمْ يَنْدَمِــل

أنشدت هـذه القصيدة فى حفلة تأبين المغفور له الشيخ عبـد الـوهاب النجـار فى دار جمعيـة الشبـان المسلمين بالقاهرة عام ١٩٤٢م .

أقـــامُـــوا بَعْضَ يَـــوْمٍ فَـــاسْتَقَلّـــوا ... فَطَـــارَ القَلْبُ يَخْفِقُ حَيْثُ حَلّـــوا(١)
مَضَتْ بِهِـمُ النَّجَـــائِبُ مُصْعِـــدَاتٍ ... تَمَـلُّ بِهـــا الطَّـــرِيقُ وَلا تَمَـلُّ(٢)
زَوَامِـلُ لَـمْ يُعَـــــوِّقْهُـنَّ لَيْـلٌ ... وَلَـمْ يُثْقِـلْ كَـــــوَاهِلَهُـنَّ حِمْـلُ(٣)
رَآهـــا آدَمٌ ، وَعَـــدَتْ بِنُـــوحٍ ... وَوَلَّـى بَعْـــدَهَـــا نَسْلٌ وَنَسْـلُ(٤)
يُسَـــايِـــرُهُنَّ أنَّـى سِـــرْنَ بَيْنٌ ... وَيَتْبَعُهُـــنَّ حَيْـثُ ذَهَبْـنَ ثُكْـلُ(٥)
هَـوَتْ أُمُّ الـــرَّكَـائِبِ ! كَيْـفَ سَـارَتْ ؟ ... وَهَلْ تَـدْرِى الـــرَّكَـــائِبُ مَنْ تُقِلُّ ؟(٦)
أُسَـــائِلُهَـــا - وَقَـــدْ شَطَّـتْ - وُقُـوفًـا ... وَأيْنَ مِـنَ الـــوُقُـــوفِ المُشْمَعِلُّ ؟(٧)
طَفِقْتُ أمُـــدُّ نَحْـــوَ الـــرَّكْبِ طَـــرْفِى ... فَغَـصَّ الطَّـــرْفَ كُثْبَـــانٌ وَرَمْـلُ(٨)

---

(١) أقاموا : نزلوا وحلوا . استقلوا : مضوا وارتحلوا . حلّوا : حيث نزلوا .
(٢) النجائب : الإبل السريعة والمقصود بها مواكب الموتى .
(٣)زوامل : الإبل الحاملة للطعام والمتاع . كواهلهن: عواتقهن وهو ما بين الكتفين . حمل : ثقل .
(٤) عدت : جاوزت .
(٥) بين : فراق . ثكل : فقدان .
(٦) هوت : سقطت . أم الركائب : التى تتقدم الركب . تقل : تحمل .
(٧) شطت : جاوزت الحد . المشمعل : النشيط - المسرع .
(٨) طفقت : جعلت . أمد : أنظر . طرفى : عينى . غصّ : امتلأ .

وقُمْتُ أُطِلُّ مِنْ شَرَفٍ عَلَيْهِمْ فَخَانَتْنِى الدُّمُوعُ فَما أُطِلُّ (٩)
وَنَادَيْتُ الحبيبَ فَعَادَ صَوْتِى وَفِى نَبَرَاتِهِ هَلَعٌ وَخَبْلُ(١٠)
أَصَاخَ لَهُ مِنَ الصَّحْرَاءِ نَجْدٌ فَرَدَّدَهُ مِنَ الصَّحْرَاءِ سَهْلُ(١١)
إذا بَدَتْ الغَزَالَةُ ثُمَّ غَارَتْ عَلِمْنَا أنَّ هَذَا العَيْشَ ظِلٌّ !(١٢)

* * *

هِىَ الدُّنْيَا ، فَلَيْسَ لَهَا ذِمَامٌ وَلَيْسَ لَهَا عَلَى الأَيَّامِ خِلٌّ (١٣)
إذا أعْطَتْ فَقَدْ أعْطَتْ قَلِيلاً وَلا يَبْقَى القَلِيلُ وَلا الأَقَلُّ (١٤)
تَدُورُ : فَبَيْنَ شَيْخٍ أسْكَتَتْهُ مَنِيَّتُهُ ، وَطِفْلٍ يَسْتَهِلُّ (١٥)
لَهَا نَهْلٌ مِنَ الأُمَمِ المَوَاضِى وَمِمَّا تَنْسُلُ الأَيَّامُ عَلُّ (١٦)
نَعُودُ إلَى التُّرَابِ كَمَا بَدَأْنَا فَكُلُّ حَيَاتِنَا نَقْضٌ وَغَزْلُ ! (١٧)
رَأَيْتُ لكُلِّ مُشْكِلَةٍ حُلولاً وَمُشْكِلَةُ المَنِيَّةِ لا تُحَلُّ ! (١٨)
إذا كَانَ الفَنَاءُ إلَى بَقَاءٍ فَانْجَعُ مَا يُصِحُّكَ مَا يُعِلُّ ! (١٩)

* * *

بِنَفْسِى فِى الثَّرَى غُصْنًا رَطِيبًا يَرِفُّ مِنَ الشَّبَابِ وَيَخْضَئِلُّ !(٢٠)

(٩) شرف : علو - مكان عال . أطل : أنظر .
(١٠) خبل : فساد .
(١١) أصاخ : استمع . نجد : ما ارتفع من الأرض . سهل : الأرض المنبسطة .
(١٢) الغزالة : الشمس . غارت : ولت وغربت . ظل : المقصود غير حقيقى .
(١٣) ذمام : عهد - حرمة . خل : صديق .
(١٦) نهل : مورد . عل : توقع . وأصله لعل .
(١٧) غزل : غزل الخيط هو إبرامه . ونقض : ضد الغزل .
(١٩) أنجع : أصح . يصحك : يشفيك . ما يعل : ما يصيبك بالعلة .
(٢٠) يرف : يرفرف . يخضئل : تكثر أغصانه وأوراقه . وفى هذا البيت وما بعده يصور الشاعر ذكريات له أليمة بعد وفاة نجله البكر فى أول مراحل الشباب (عام ١٩٣٥) .

تُضَاحِكُهُ لَدَى الإِصْبَاحِ شَمْسٌ وَيَلْثِمُهُ لَدَى الإِمْسَاءِ طَلٌّ (٢١)
كَأَنَّ حَفِيفَهُ نَضِرًا وَرِيقًا بِسَمْعِي حَلْيُ غَانِيَةٍ يَصِلُّ (٢٢)
يَمِيلُ بِهِ النَّسِيمُ كَأَنَّ أُمًّا يَمِيلُ بِصَدْرِهَا الخَفَّاقِ طِفْلُ (٢٣)
إذا اشْتَبَهَتْ غُصُونُ الرَّوْضِ شَكْلاً فَلَيْسَ لِقَدِّهِ فِي الحُسْنِ شَكْلُ (٢٤)
ضَنَنْتُ بِهِ وَجُدْتُ لَهُ بِنَفْسِي وَإِنَّ الحُبَّ تَبْذِيرٌ وَبُخْلُ (٢٥)
وَكُنْتُ أَشَمُّ رِيحَ الخُلْدِ مِنْهُ وَأهنأُ فِي ذَرَاهُ وأَسْتَظِلُّ (٢٦)
وَقُلْتُ لَعَلَّهُ يَبْقَى وَرَائِي بِدَوْحَتِهِ، فَمَا نَفَعَتْ « لَعَلَّ » (٢٧)
فَسَلْ عَنْهُ العَوَاصِفَ : أيُّ نَوْءٍ أطَاحَ بِهِ ؟ وَأيَّ ثَرَىً يَحُلُّ ؟ (٢٨)
نَأَى عَنِّي وَخَلَّفَ لِي فُؤَادًا يَذُوبُ أَسًى عَلَيْهِ وَيَضْمَحِلُّ (٢٩)
يُبِلُّ عَلَى التَّدَاوِي كُلُّ جُرْحٍ وَجُرْحُ القَلْبِ دَامٍ لا يُبِلُّ ! (٣٠)

* * *

أَشَرْتُمْ بِالرِّثَاءِ فَهِجْتُمُونِي وَتَعْذِيبُ الذَّبِيحَةِ لا يَحِلُّ (٣١)
فَضَلَّ الشِّعْرُ فِي وَادِي الثَّكَالَى وَكَانَ إذا تَحَفَّزَ لا يَضِلُّ (٣٢)
خُذُوا مِنِّي الرِّثَاءَ دُمُوعَ عَيْنٍ تَكِلُّ المُعْصِرَاتُ وَلا تَكِلُّ (٣٣)

(٢١) يلثمه : يقبله . طلّ : ندى .

(٢٢) حفيفه : صوته. نضرًا : حسنًا يافعًا مخضرًا . وريقًا : كثير الأوراق الخضراء الحسنة . حَلْيُ : ما تتحلى به المرأة . يصل : يصدر صوتًا عندما يحتك ببعضه .

(٢٤) قده : قوامه .

(٢٦) ذراه : كنفه .

(٢٨) نوء : ريح شديدة . أطاح : قذف به بعيدًا .

(٢٩) نأى : بعد . يضمحل : يذهب ويضعف ويندثر .

(٣٠) يبل : يبرأ . دام : ينزف دمًا .

(٣٢) الثكالى : الحزانى على فقدهن أبنائهن . تحفز : تهيأ .

(٣٣) تكل : تتعب . المعصرات : السحائب تعتصر المطر .

وآلامَ الجَرِيحِ ، أطَلَّ نبْلٌ يُزَاحِمُ جَانِبَيْهِ وَغَارَ نَبْلٌ(٣٤)
وَشِعْرًا يُلْهِبُ الأشْجَانَ جزْلاً كَمَا أذْكَى لَهِيبَ النَّارِ جَزْلٌ(٣٥)
فَلَيْسَ بِهِ مَعَ الأَنَّاتِ خَبْنٌ وَلَيْسَ بِهِ مَعَ الزَّفَرَاتِ خَبْلٌ(٣٦)
لَهُ نَغَمٌ يَعِزُّ عَلَيْهِ مِثْلٌ عَلَى مَاضٍ يَعِزُّ عَلَيْهِ مِثْلٌ(٣٧)
لَعَلَّ بِهِ لِمَنْ فُجِعُوا عَزَاءً فَإِنَّ جَمِيعَنَا فِى الحُزْنِ أَهْلٌ(٣٨)
فَقَدْ يَشْفِى بُكَاءٌ مِنْ بُكَاءٍ كَمَا يَشْفِى أَلِيمَ الْجُرْحِ نَصْلٌ(٣٩)
بَكَىَ خَيْرُ البَرِيَّةِ خَيْرَ طِفْلٍ وَدَمْعُ العَيْنِ فِى الأَحْدَاثِ نُبْلٌ(٤٠)

* * *

مَضَىَ « النَّجَارُ » وَالعَلْيَاءُ حِصْنٌ عَلَيْهِ بَعْدَهُ بَابٌ وَقُفْلٌ(٤١)
بِهِ جَمَعَ الحِجَا لِلْعِلْمِ شَمْلاً فَبُدِّدَ بَعْدَهُ لِلْعِلْمِ شَمْلٌ(٤٢)
لَهُ حُجَجٌ يُسَمِّيهَا كَلامًا وَمَا هِىَ غَيْرُ أَسْيَافٍ تُسَلُّ(٤٣)
إذا فَاضَتْ يَنَابِعُهُ خَطِيبًا عَلِمْتَ بِأنَّ مَاءَ البَحْرِ ضَحْلٌ(٤٤)
يَذِلُّ لَهُ شَمُوسُ القَوْلِ طَوْعًا وَيَسْتَخْذِى لَهُ المَعْنَى المُدِلُّ(٤٥)

---

(٣٤) غار : اختفى ودخل . نبل : سهل .
(٣٥) جزلاً : رصينًا . أذكى : أشعل . جزل : الحطب اليابس .
(٣٦) خبن : سقوط أحد الأحرف - حذف الثانى الساكن فى الشعر . خبل : حذف السين والفاء من مستفعلن فى البسيط والرجز من بحور الشعر .
(٣٩) نصل : حد السيف أو السكين والمقصود مشرط الجراح .
(٤٠) خير طفل : يريد به « إبراهيم » بن سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - لما توفى قال : « إن القلب ليحزن وإن العين لتدمع وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون » .
(٤٢) الحجا : العقل . شمل : ما اجتمع من أمره .
(٤٥) يذل : يخضع . شموس القول : العصى التافر من القول كالحصان النافر الذى يذل وينقاد لصاحبه . طوعًا : منقادة له . المدل : الذى يدل على المعنى .

بَيَـــانٌ مُشْـــرِقُ اللَّمَحَـــاتِ زَاهٍ وَقَـــوْلٌ صَـــادِقُ النَّبَـــرَاتِ فَصْلُ(٤٦)
وَآيَـــاتٌ تَـــرَى فِيهَـــا « ابنَ بَحْـــرٍ » يَصُـــولُ كَمَـــا يَشَـــاءُ وَيَسْتَـــدِلُّ(٤٧)
يَفُلُّ شَبَـا الخُصُـومَـةِ كَيْفَ كَـانَتْ بِـــرَأيٍ كَـــالْمُهنَّـــدِ لا يُفَلُّ(٤٨)
فَـــذَاكَ الفَضْـلُ ، جَـلَّ اللهُ رَبِّـى ! فَلَيْسَ يُحَـــدُّ لِلـــرَّحْمَٰنِ فَضْلُ(٤٩)
رَأَيْتُكَ والـــرَّدَى يَـــدْنُـــو رُوَيْـــدًا إليْكَ كَمَـــا دَنَـــا لِلْفَنَـكِ صِلُّ (٥٠)
فَـــوَجْهُكَ ذَابِـلٌ ، والصَّمْتُ هَمْسٌ وَمَشْيُكَ وَاهِـنُ الْخُطَـــواتِ دَأْلُ(٥١)
تَجُـــرُّ وَرَاءَكَ السَّبْعِينَ عَـــامًـــا وَلِلسَّبْعِيـــنَ أَرْزَاءٌ وَثِقْـــلُ(٥٢)
مَشَيْتَ كَـأَنَّ رِجْـــلاً فِي بِسَـــاطِى تَسِيـــرُ بِهـــا ، وَفَـــوْقَ القَبْـــرِ رِجْلُ(٥٣)
أَتَيْتَ تَـــزُورُنِى فَهُـــرِعْتُ أَسْعَى إلَيْـــكَ ، وَدَمْـــعُ عَيْنِـــى يَسْتَهِـــلُّ(٥٤)
وَكَـــانَ عِنـــاقُنَـــا لَمَّـــا افْتَـــرَقْنَـــا وَثَـــاقًـــا لِلْمَـــوَدَّةِ لا يُحَـــلُّ(٥٥)
ذَمَمْتَ لِـىَ المَشِيبَ وفِيـــهِ حَـــزْمٌ وأطْـــرَيْتَ الشَّبَـــابَ وَفِيـــهِ جَهْلُ(٥٦)
وَأَيْنَ الْحَـــزْمُ وَيْحَكَ يَـــا ابْـنَ أُمِّى إذا مَـــا خَـــانَنِى جِسْمٌ وَعَقْلُ ؟(٥٧)
أَتَـــذْكُـــرُ إذْ تَمَـــازَحْنَـــا لِتَنْسَى وَقَـــدْ أَدْرَكْتَ أَنَّ المَـــزْحَ خَتْلُ !(٥٨)
إذَا أَمَلَ الفَتَـى فَـــالهَـــزْلُ جِـــدٌّ وَإنْ يَئِسَ الفَتَى فَـــالجِـــدُّ هَـــزْلُ !(٥٩)

---

(٤٦) فصل : قاطع .
(٤٧) ابن بحر : الجاحظ الكاتب العربى الشهير .
(٤٨) يفل : يكسر . شبا : حد الشىء . المهند : السيف . لا يفل : لا يكسر .
(٥٠) الردى : الموت . يدنو : يقترب . رويدًا : تمهلاً .
(٥١) واهن الخطوات : ضعيف المشى . دأل : مشى الضعيف من مرض أو كبر .
(٥٢) أرزاء . مصائب . ثقل : ضد الخفّة .
(٥٤) هُرعت : أسرعت . يستهل : يبدأ فى الهطول .
(٥٨) ختل : خداع .

فَـدَيْتُكَ ! هَلْ إِلَى الأُخـرَى بَـرِيـدٌ ؟ وَهَـلْ لِتَـــــزاوُرِ الأَرْوَاحِ سُبْـلُ ؟(٦٠)
وَهَلْ يَبْقَـى الفَتَى بَعْـدَ المنَـايَــا لَـــهُ بِـــالأَهْلِ والإِخْــوانِ شُغْلُ ؟(٦١)
وَهَلْ تَصِـلُ الـــدُّمُـــوعُ إِلَى حَبِيبٍ وَيَعْلَمُ حُـرْقَـةَ الأَشْجَــانِ نَجْلُ ؟(٦٢)
وَهَلْ لِى بَيْنَ مَـنْ أهــوَى مَكَـــانٌ إذا قَـــوَّضْتُ رَحْلِى أو مَحَـلٌّ ؟(٦٣)
وَهَلْ فِـى سَـاحَـةِ الجَنَّـاتِ نَهْـرٌ يَـــزُولُ بِمَـــائِهِ حِقْــــدٌ وَغِلٌّ ؟(٦٤)
وَهَلْ إِنْ سَـــاءَلَ الأَحْيَـــاءُ قَبْـرًا يُجَابُ لِصَيْحَـةِ الأَحْيَاءِ سُـؤْلُ ؟(٦٥)
لَقَـدْ جَلَّ المُصَــابُ ،وَجَلَّ صَبْـرِى عَلَيْكَ ، وَأَنْتَ مِنْ صَبْـرِى أَجَلُّ !(٦٦)
فَقُـمْ واخْطُبْ بِحَفْلِـكَ ، كَمْ تَغَنَّـى وَهَــامَ بِصَـوْتِكَ الـــرَّنَـانِ حَفْلُ !(٦٧)
وَذَكِّـــرْنَـــا اليَقِينَ فَكَمْ عُقُـــولٍ تَكَـــادُ عَلَيْـكَ مِنْ شَجَنٍ تَـــزِلُّ(٦٨)
وَقُـلْ إِنَّ الفَنَــــاءَ إِلَى خُلُـــودٍ وَإِنَّ زَخَـــارِفَ الأَيَّـــامِ بُطْـلُ(٦٩)
وَإِنَّ المَـــوْتَ إِطْـــلاقٌ لِـــرُوحٍ مُعَـــذَّبَـــةٍ ، وَإِنَّ العَيْشَ غُـلٌّ(٧٠)
شَبَــــابُ المُسْلِمِينَ بِكُلِّ أَرْضٍ عَلَيْكَ ثَنَـــاؤهُـمْ فَـــرْضٌ وَنَفْلُ(٧١)
أَخَــــذْتَ عَلَيْهِـمُ لِلْحَـقِّ عَهْـــدًا فَـــرَنَـوْا بِـــالْعُهُــودِ وَمَــا أَخَلُّـوا(٧٢)
شَبَـــابٌ إِنْ دَعَـــا القُـــرآنُ شُمْسٌ وَإِنْ تَسْتَصْـرِخِ النَّجَـــداتُ بُسْلُ(٧٣)

---

(٦٠) سبل : طرق .
(٦٢) الأشجان : الأحزان .
(٦٣) قوّضت : كسرت وهدمت .
(٦٤) غِلّ : غش وحقد .
(٦٩) بطل : كذب وباطل .
(٧٠) غُلّ : ضيّق - مقيّد .
(٧١) فرض : فريضة واجبة . نَفْلُ : تطوع .
(٧٣) تستصرخ : تستغيث . بُسل: شجعان .

بَنُـو العُــرْبِ الَّــذِيـنَ عَلَــوْا وَسَــادُوا سَمَـــا فَـــرْعٌ لَهُـمْ وَاعْتَـــزَّ أَصْلُ(٧٤)

فَنَمْ مِلءَ الجُفُــونِ « أَبَــا صَــلاحٍ » فَفِى الجَنَّــاتِ لِـــلأَبْــرَارِ نُـــزْلُ(٧٥)

يَطُــوفُ بِقَبْــرِكَ الـــزَّاكِى سَـــلامٌ وَيَنْضَحُــهُ مِنَ الـــرَّحمَــاتِ وَبْلُ(٧٦)

وَهَـــاكَ رِثَـــــاءَ مَحْــــزُونٍ مُقِـلٍّ وَمَـــــا أَوْفَى إِذَا بَـــــذَلَ المُقِـلُّ(٧٧)

---

(٧٤) سما : علا وارتفع . أصل : حسب ونسب .

(٧٥) نزل : مكان للإقامة الدائمة .

(٧٦) الزاكى : ذو الرائحة الطيبة . ينضحه : يرشه . وبل : مطر شديد .

(٧٧) مقل : يعد شعره قليلا بالنسبة لما يستحق .

لبنان الثائر

نظم الشاعر هذه القصيدة عندما ثار لبنان ثورته الوطنية في أواخر عام ١٩٤٣م . ففاز بانتخاب نوابه . وكان الشاعر ينوى زيارة بيروت في ذلك الحين .

هَاجَ شَوْقَ الوَالِهِ المُضْطَرِبِ ... حُلُمٌ شَقَّ ظَلامَ الحُجُبِ(١)

جَرَّدَ اللَّيْلُ عَلَيْهِ غَيْهَبًا ... فَتَخَطَّى عَقَبَاتِ الغَيْهَبِ(٢)

زَارَنِى واللَّيْلُ فِى غَفْوَتِهِ ... يَتَمطَّى عَنْ دِثَارِ السُّحُبِ(٣)

طَائِفٌ إنْ رُمْتَهُ لَمْ تَلْقَهُ ... وَهْوَ مِنْ جَفْنِكَ بَيْنَ الهُدُبِ !(٤)

بَارِعُ الرِّيشَةِ حَتَّى لَتَرَى ... غَائِبَ الشَّخْصِ كَأَنْ لَمْ يَغِبِ(٥)

بَسَمَاتُ الرَّوْضِ مِنْ أَلْوانِهِ ... وَسَنَا الكَأْسِ وَدُرُّ الحَبَبِ(٦)

فِى يَدَيْهِ مِجْهَرٌ مِنْ عَجَبٍ ... تُفْتَحُ العَيْنُ بِهِ عَنْ عَجَبِ(٧)

قُلْتُ : هَذِى جَنَّةٌ ؟ أَمْ مَا أَرَى ؟ ... أَمْ تَهَاوِيلُ خَيَالٍ كَذِبِ(٨)

أَمْ أَنَا غَيْرِى ؟ وَإِلاّ مَنْ أَنَا ؟ ... أَمْ هُوَ السِّحْرُ غَدَا يَلْعَبُ بِى؟(٩)

---

(١) هاج : أثار . الحجب : الأستار .

(٢) غيهبا : ظلمة .

(٣) غفوته : نومه . يتمطى : يتثاءب . دثار : غطاء .

(٤) طائف : ما يجول بالخاطر أثناء النوم . رمته : أردته . الهدب : رموش العين .

(٥) بارع الريشة : ماهر في الرسم والتصوير .

(٦) سنا الكأس : ضوء الكأس . در الحبب : ما يطفو فوق الماء من فقاقيع تشبه الدر .

(٧) مجهر : منظار مكبّر .

مـــا الـــذِى يَبْـــدُو لِعَيْنِــى سَـــامِقًـــا	يَتَحَـــدَّى سَبَحَـــاتِ الكَـــوْكَبِ؟(١٠)
أرْضُــــــهُ مِسْكٌ ، وفِــى تُـــــرْبَتِـــــهِ	يَنْبُتُ الفَــنُّ مَكَـــــــانَ العُشُـبِ(١١)
وإذا شَـــــــــادٍ يُغَنِّى مَـــــــــرِحٌ	لُـؤْلُـؤِىُّ الصَــوْتِ ، حُلْـوُ المَـذْهَبِ(١٢)
صَــاحِ : ذا لُبْنَـــانُ فَـــانْـــزِلْ سَفْحَــهُ	قُلْتُ : مَـــــالِى غَيْـــرَهُ مِنْ أرَبِ(١٣)
هُـــوَ عِـــرِّيسٌ لآسَـــادِ الْحِمَـى	وكِنَــاسٌ لِظِبَـــاءِ الـــرَّبْــرَبِ(١٤)
قَـــدْ تَمَنَّـــاهُ الهَـــوَى مِنْ بُعُـــدٍ	كَيْفَ لَـــوْ أَبْصَـــرَهُ عَنْ كَثَبِ !؟ (١٥)
الأزاهِيـــــــــرُ بِـــــهِ مِنْ قُبَلٍ	وَاليَنَـــــــابِيعُ رَحِيقُ العِنَبِ(١٦)
وَقُـــدُودُ الهِيفِ فِى رَوْضَـــاتِـــهِ	قُضُبٌ تَمْـــــرَحُ بَيْنَ القُضُبِ(١٧)
جُمِعَتْ لَيْـــــلاتُـــــهُ مِنْ دَعَجٍ	وَسَنَـــا إصْبَـــاحِـــهِ مِنْ لَبَبِ(١٨)
وَسَجَـــايَـــا أهْلِـــهِ أنْسَـــامُـــهُ	كَمْ نَعِمْنَـــا بِشَـــذاهـــا الطَّيِّبِ !(١٩)
كَتَبَ المَجْــــدُ لَهُمْ تَـــارِيخَهُمْ	فِى جَبِيـنِ الـدَّهْـرِ لا فِى الكُتُبِ(٢٠)
كُـــلُّ شَهْـــمٍ أرْيَحِـــىٍّ أغْلَـــبِ	مِنْ كَـــــرِيمٍ أرْيَحِىٍّ أغْلَبِ(٢١)
بَيْنَ عَـــدْنَـــانَ وَغَسَّـــانَ لَهُمْ	نَسَبٌ يَـــــرْفَعُ شَأْوَ النَّسَبِ(٢٢)
نَصَبُــــــــوا فِى كُلِّ أرْضٍ رَايَهُمْ	مَـا دَرَوْا فِى المَجْـدِ مَعْنَى النَّصَبِ ؟(٢٣)

---

(١٠) سبحات الكوكب : حيث تسبح الكواكب .
(١١) مسك : طيب .
(١٢) حلو المذهب : جميل اللحن والطريقة .
(١٣) أرب : مقصد .
(١٤) عريس : غيل الأسد . كناس : بيت الظبى . ظباء الربرب : ظبى القطيع .
(١٧) قضب : أغصان .
(١٨) دعج : سواد العين وسعتها . سنا إصباحه : نور صباحه وإشراقه . لبب : خالص الشىء .
(٢٢) عدنان وغسان : أصل قبائل العرب . شأو : السبق والغاية .
(٢٣) النصب : التعب .

وأذَلُّوا الصَّعْبَ فِى رِحْلاتِهِمِ | أىُّ صَعْبٍ عِنْدَهُمْ لَمْ يُرْكَبِ ؟(٢٤)
وَطَوَوْا شَرْقًا بِشَرْقٍ ، وَجَرَى | سَيْلُهُمْ يَزْحَمُ شَطَّ المَغْرِبِ(٢٥)
يَنْزَحُ النَّازِحُ مَا فِى رَحْلِهِ | غَيْرُ إقْدَامٍ وَعَزْمٍ ذَرِبِ(٢٦)
وَرجَاءٍ بِرَجَاءٍ يَلْتَقِى | وَكِفَاحٍ لِلِقَاءِ النُّوَبِ(٢٧)
رَأْسُ مَالِ المَرْءِ مَا فِى رَأْسِهِ | مِنْ ذَكَاءٍ ، لا حُطَامُ النَّشَبِ(٢٨)
مَلَكُوا الدُّنْيَا فَلمَّا جَمَحَتْ | مَلَكُوهَا بِرَفِيعِ الأدَبِ(٢٩)
لَيْسَ لِلْسَّيْفِ عَلَى حِدَّتِهِ | صَوْلَةُ الشِّعْرِ ، وَوَخْزُ الخُطَبِ(٣٠)
هَذَّبُوا الفُصْحَى وَلَمُّوا شَمْلَهَا | بَعْدَ أنْ كَانَتْ صَدًى فِى سَبْسَبِ(٣١)
جَمَّعُوهَا حُلْوةَ الجَرْسِ كَمَا | تَجْمَعُ النَّحْلَةُ حُلْوَ الضَّرَبِ(٣٢)
أنْتَ يَا لُبْنَانُ عَزْمٌ وَنُهىً | لَسْتَ مِنْ صَخْرٍ وَلا مِنْ حَصَبِ !(٣٣)
كُلَّمَا أطْلَعْتَ لَيْلاً شَفَقَا | مُوِّهَتْ صَفْحَتُهُ بِالذَّهَبِ(٣٤)
ظَنَّتِ الغِيدُ وَمَا أجْرَأَهَا ! | أنَّهُ مِنْ خَدِّهَا الْمُخْتَضِبِ(٣٥)
سِحْرُ شِعْرٍ ، ومَجالِى فِتْنَةٍ | وَعُيونٌ أُغْرِمَتْ بِاللَّعِبِ(٣٦)

---

(٢٥) شط المغرب : دول الغرب (المهجر) التى هاجروا إليها .
(٢٦) رحله : متاعه . ذرب : حاد ماض .
(٢٧) النوب : الشدائد والكوارث .
(٢٨) النشب : الممال والعقار .
(٢٩) جمحت : شردت وبعدت كالحصان الجامح .
(٣٠) حدته : مضاءه . وخز : طعن .
(٣١) سبسب : الفلاة – الصحراء .
(٣٢) الضَّرب : العسل .
(٣٣) حصب : الحصو الصغير .
(٣٤) شفقا : حمرة الشمس فى أول الليل . موهت : طليت صفحته : جوانبه .
(٣٥) المختضب : الملون بلون الخضاب .

وابْتِسَامٌ فِيهِ أشْرَاكُ الهَوَى | وَحَدِيثٌ فِيهِ عُذْرُ المُذْنِبِ(٣٧)
أيْنَ قَلْبِى ؟ غَصَبُوهُ ، فَاسْألُوا | « جَارَةَ الوادِى » عَنِ الْمُغْتَصِبِ(٣٨)
وَاشْفَعُوا لِى ، وَاحْذرُوا غَضْبَتَهَا | آهِ مِنْ صَوْلَةِ هَذَا الغَضَبِ !(٣٩)
ثُمّ قُولُوا : مُسْتَهَامٌ وَصِبٌ | وَيْلَتَا لِلمُسْتَهَامِ الوَصِبِ(٤٠)
طَائِرٌ غَرَّدَ فِى دَوْحَتِكُمْ | عَلَّمَ الأطْيَارَ مَعْنَى الطَّرَبِ(٤١)
طَارَ مِنْ مِصْرَ يُحَيِّى أُمَّةً | تَوَّجَتْ بِالْمَجْدِ هَامَ الْحِقَبِ(٤٢)
قَاهِرِىٌّ أخْجَلَتْ ألْحَانُهُ | رَنَّةَ العُودِ ، وَشَدْوَ القَصَبِ(٤٣)
خُلِقَتْ أوْتَارُهُ قُدْسِيَّةً | مِنْ حَنَانِ الحُبِّ ، لا مِنْ عَصَبِ(٤٤)
فَارْحَمِى مُغْتَرِبًا لَيْسَ اسْمُهُ | فِى رُبَا لُبْنَانَ بِالْمُغْتَرِبِ(٤٥)
جَاءَ يَبْغِى الْحُبَّ لا الْحَبَّ فَهلْ | جَاوَزَ المِسْكِينُ حَدَّ الطَّلَبِ ؟(٤٦)
فَنَصَبْتِ الفَخَّ خَدّاعَ المُنَى | خَشِنَ الكَفِّ ، حَدِيدَ المِخْلَبِ(٤٧)
وَأتَى هَيْمَانَ يَشْدُو وَاثِبًا | لَيْتَهُ فِى يَوْمِهِ لَمْ يَثِبِ !(٤٨)
فَارْتَمَى بَيْنَ جَنَاحٍ هَائِضٍ | وَجَنَاحٍ خَافِقٍ مُضْطَرِبِ(٤٩)
واجِبَ القَلْبِ ، وَلَوْلا نَظْرَةٌ | عَرَضَتْ لا هِيَةً لَمْ يَجِبِ(٥٠)

---

(٤٢) هام : قمة . الحقب : السنون .

(٤٣) قاهرى : نسبة إلى القاهرة والشاعر يقصد نفسه . القصب : المقصود المزمار .

(٤٤) قدسية : طاهرة . عصب : الأعصاب بالجسم .

(٤٥) ربا : أعالى .

(٤٦) لا الحب : الحبوب .

(٤٧) المخلب : الظفر .

(٤٩) هائض : مكسور .

(٥٠) واجب القلب : خافق القلب .

أَطْلِقِيـــــهِ وَابْعَثِى آمـــالَـــهُ وَثَـــوابَ اللهِ فِيـــهِ احْتَسِبِى(٥١)
هَلْ عَلَى الهَـــاتِفِ بِـــالْحُسْنِ إذا مـــا شَـــدَا مِنْ حَـــرَجٍ أوْ عَتَبٍ ؟(٥٢)
قَـــدْ بَـــراهُ السُّقْـمُ إلاّ فَضْلَـــةً مِنْ فُـــؤادٍ حَـــائِرٍ مُلْتَهِـبِ(٥٣)

* * *

كَـمْ هَفَـــا القَلْبُ لِلُبْنَـــانَ وَكَـمْ عَـاقَـهُ صَرْفُ الـزَّمـانِ القُلَّبِ !(٥٤)
أَصْبَحَ الحُكْمُ بِـــهِ فِى نُخْبَـــةٍ مِنْ بَنِيـــهِ الكُـــرَمَـــاءِ النُّجُبِ(٥٥)
كُلُّهُـمْ حُـــــــرٌّ أبِىٌّ يَنْتَمِـى فِى ذُرا المَجْـــدِ إلَى حُـــرٍّ أبِى(٥٦)
وَهَبُـــوا الـــرُّوحَ لِلُبْنَـــانَ فِـدىً وَضَنِيـــنٌ كُـــلُّ مَـــنْ لَـــمْ يَهَـبِ(٥٧)
خُلُـقٌ مِثْلُ أزاهِيـــرِ الـــرُّبـــا ضَحِكَتْ لِلْعَـــارِضِ الْمُنْسَكِبِ(٥٨)
وَسِيـــاسَـــاتٌ وَرَأىٌ سَـــاطِعٌ يَضَـعُ الحَقَّ مَكَـــانَ الـــرِّيَـبِ(٥٩)
قَـــادَهُمْ خَيْـــرُ رَئِيسٍ لِلْعُـــلا شَمَّـرِىُّ العَـــزْمِ عَـــالِى الحَسَبِ(٦٠)
عَـــاشَ لُبْنَـــانُ وَعَـــاشَتْ رَايَـــةٌ لِلْكِـــرامِ العُـــرْبِ فَـــوْقَ الشُّهُبِ(٦١)

---

(٥١) احتسبى : اكتفى .
(٥٣) براه : أضناه . السقم : المرض . فضلة : بقية . فؤاد : قلب .
(٥٥) نخبة : جماعة منتخبة . النجب : نجباء أشراف .
(٥٦) أبى : لا يقبل الضيم . ذرا : علا .
(٥٧) ضنين : بخيل .
(٥٨) العارض المنسكب : السحاب الممطر .
(٥٩) الريب : الشك .

يَـومٌ عَبُــوس

نظم الشاعر هـذه الأبيات فى يوم اشتد فيـه البرد بإنجلترا عام ١٩٠٩م وقد كان موفدًا إليها فى بعثة تعليمية .

وَيْـــلاهُ مِـنْ يَـــوْمِ الخَمِيـــــــ ـــسِ فَـإِنَّــــهُ يَـــوْمٌ عَبُـــوسْ(١)
فِيـــهِ تَحَـــارَبَتْ الــرِّيَـــا حُ فَــلا تَقُلْ حَــرْبَ الْبَسُــوسْ(٢)
خَـــافَتْ غَـــوائِلَـــهُ الغَـــزَا لَـــةُ ، فَـــالْغَمَـــامُ لَهَـــا تُـــرُوسْ(٣)
يَـــوْمٌ أَحَطْنَـــا بِـــالَّلَظَى فِيـــهِ ، وَنَكَّسْنَـــا الـــرُّؤُوسْ(٤)
فَكَـأَنَّنَـــا قُمْنَـــا نُـــؤَيِّـــدُ فِيـــهِ مُعْتَقَـــدَ المَجُـــوسْ(٥)

---

(٢) البسوس : اسم امرأة من العرب قامت بسببهـا الحرب بين قبيلتى بكر وتغلب ابنى وائل من قبائل ربيعة وظلت أربعين سنة .

(٣) غوائله : دواهي . الغزالة : الشمس . الغمام : السحاب المظلم . تروس : جمع ترس وهو المجن الذى يتستر به المحارب ويتوقى به ضربات عدوه .

(٤) اللظى : النار الملتهبة . نكسنا : جعلنا الرءوس إلى أسفل .

(٥) معتقد المجوس : لأنهم يقدسون النار ويعبدونها وينحنون لها فى صلاتهم.

ضَــيفٌ كــريم

نشرت هذه القصيدة فى يونية عام ١٩٤٧م حينما تخلص الأمير محمد عبد الكريم الخطابى من الأسر ونزل ضيفًا على مصرَ وملكها السابق فاروق .

حَلَّقَ النَّسْــرُ كَمَــا شَــاءَ وَصَــاحْ ... وَرَمَى بِـالقَيْـدِ فِي وَجْـهِ الـرِّيَـاحْ(١)

وَجَــلا عَــنْ رِيشِــهِ العَــارَ كَمَــا ... تَنْجَلِي الأَصْدَاءُ عَنْ بِيضِ الصِّفَاحْ(٢)

وَأَطَــاحَ القَفَصَ المَشْئُــومَ ، لا ... تَعْــرِفُ الجِنُّ مَتَى أَوْ أَيْـنَ طَـاحْ(٣)

كَـمْ قَضَى اللَّيْـلَ بِــهِ مُسْتَيْئِسًـا ... جَــزِعًــا ، بَيْنَ أَنِينٍ وَنُــوَاحْ(٤)

وَلَكَـمْ حَـنَّ إِلَى أَوْطَــانِــهِ ... قَلِقَ الأَضْـلاعِ ، خَفَّـاقَ الْجَنَـاحْ(٥)

يُـرْسِلُ العَيْنَ فَـلاَ يَلْقَى سِـوَى ... لُجَجٍ خُضْـرٍ دَمِيمَـاتٍ شِحَـاحْ(٦)

يَشْتَكِى لِلَّيْلِ فِـى وَحْشَتِــهِ ... فَـإِذا غَــابَ تَشَكَّى لِلصَّبَــاحْ(٧)

ذَهَبَ المَـاضِى مَجِيـدًا حَـافِـلاً ... رَحْمَــةُ اللهِ عَلَيْــهِ ! أَيْنَ رَاحْ ؟ (٨)

* * *

أَإِسَــارُ الْحُــرِّ حَقٌّ سَــائِغٌ ... وَإِبَـاءُ الْحُــرِّ شَيْءٌ لا يُبَـاحْ !(٩)

---

(٢) جلا : كشف . الأصداء : الصدى الذى يصيب الحديد . بيض الصفاح : السيوف .

(٣) أطاح : رمى بعيدًا عنه . القفص المشئوم : المقصود الأسر .

(٥) خفاق : مضطرب متحرك . الجناح : للطائر كاليد للإنسان .

(٦) لجج : البحر المرتفع الأمواج . دميمات : قبيحات . شحاح : بخلاء .

(٩) إسار : الهمزة للاستفهام والأسار بمعنى القيد والأسر . سائغ : جائز .

وَإذا سُـــدَّتْ لإحْسَـــانٍ يَـــدٌ هَـزَّتِ الفِتْنَـةُ أطْـرَافَ الـرِّمَـاحْ ! ؟(١٠)
وإذا جَفَّـتْ لَهَــــــــاةٌ ظَمَـأً ضَـنَّتِ الأنْفُسُ بِـالمَـاءِ القَـرَاحْ ! ؟(١١)
وإذا مَـــــالَ أخٌ نَحْـــــوَ أخٍ مَـلأَ الأفْـوَاهَ شَغْبٌ وَصِيَـاحْ ! ؟(١٢)
وإذا أنَّ جَـــــــرِيحٌ دَنِـفٌ لِطَبِيبٍ ، قِيلَ : لا تَشْكُ الْجِرَاحْ ! ؟(١٣)
هَلْ عَلَـى المَفْجُـوعِ فِي أوْطَـانِـهِ حَـرَجٌ إنْ رَدّدَ الشَّكْـوَى وَبَـاحْ ! ؟(١٤)
أوْ عَلَـى مَنْ رَامَ أنْ يَحْيَـا كَمَـا يَتَمنَّى الحُـرُّ ذَنْبٌ أوْ جُنَـاحْ ! ؟(١٥)
أوْ عَلَى الْعَـانِي مَـلامٌ إنْ رنَـا بَعْدَ عِشْـرِينَ ، لإطْـلاقِ السَّرَاحْ ! ؟(١٦)

❊ ❊ ❊

ثُمّ قَـالُـوا : لَمْ يَصُـنْ مِيثَـاقَـهُ وَنَبَـا عَنْ خُلُـقِ العُـرْبِ السَّمَـاحْ(١٧)
أيُّ عَهْـدٍ يَـرْتَضِيـهِ بَـاسِلٌ عَـرَبِيُّ النَّبْعِ ، رِيفِيُّ الْجِمـاحْ ؟ !(١٨)
أيُّ عَهْـــدٍ هُـــوَ أنْ أُذْبَحَ مِنْ غَيْرَ سِكِّينٍ ، وَلا أشْكُو الـذُّبَاحْ ! ؟(١٩)
هُـوَ عَهْـدُ الـذِّئْبِ يُمْلِيـهِ عَلَى شَـاتِـهِ المِخْلَبُ وَالنَّـابُ الـوَقَـاحْ !(٢٠)
وَهْـوَ القُـوَّةُ ، مَـا أجْـرَأَهَـا ! إنْ مَشَتْ يَوْمًـا إلَى الحَقِّ الصُّـرَاحْ(٢١)

---

(١٠) الفتنة : الدسيسة والوقيعة . يشير إلى منع الحاكم الفرنسى بتونس الطوافة المصرية « فوزية » من الوصول إلى ميناء تونس وكانت تحمل غذاء ومعونة لمنكوبى المجاعة هناك ومنع رجال الحكم الفرنسى بتونس وصول الماء العذب إلى الطوافة .

(١٣) دنف : مريض ثقل عليه المرض .

(١٤) المفجوع : المتألم المتوجع الذى فقد شيئًا عزيزًا .

(١٥) رام : رغب وود . جناح : إثم .

(١٦) عشرين : عشرون عامًا فى الأسر .

(١٧) ميثاقه : عهده . نبا : تباعد عن . إشارة إلى قول الفرنسيين إن الأمير عاهدهم على ألا يفر .

(١٨) النبع : الأصل . ريفى : نسبة إلى ريف تونس . الجماح : الطباع .

(٢٠) شاته : من الغنم : المخلب : الظفر . الناب : السن . الوقاح : الصلب .

كَمْ سِلاحٍ صَالَ مِنْ غَيْرِ يَدٍ ... وَيَدٍ تَدْفَعُ مِنْ غَيْرِ سِلاَحْ !(٢٢)

قَصَدَ الفَارُوقَ يَبْغِى مَوْئِلاً ... فِى رِحَابٍ لِبَنِى العُرْبِ فِسَاحْ(٢٣)

هِمَّةٌ جَاءَتْ تُنَاجِى هِمَّةً ... وَيَدٌ مُدَّتْ إلَى أكْرَمِ رَاحْ(٢٤)

مَلِكٌ يَرْنُو لِعُلْيَا مَلِكٍ ... وَطِمَاحٌ يَتَسَامَى لِطِمَاحْ(٢٥)

فَثَوَى فِى خَيْرِ غِمْدٍ آمِنًا ... صَارِمٌ أرْهَفَهُ طُولُ الكِفَاحْ(٢٦)

لَمْ يَجِدْ غَيْرَ بَشَاشَاتِ المُنَى ... وَارْتِيَاحٍ لِلنَّدَى أىَّ ارْتِيَاحْ !(٢٧)

---

(٢٣) موئلاً : كنفًا وملاذًا .

(٢٥) طماح : علو وارتفاع .

(٢٦) ثوى : أقام . صارم : سيف . أرهفه : رققه – جعله حادًا قاطعًا .

(٢٧) بشاشات : طلاقة الوجه والفرحة . الندى : الكرم .

الحــــربُ

حينما شبت نار الحرب العالمية الأولى ، وشاعت الأخبار بوصف ويلاتها وأوزارها ، واقترب الألمان من باريس فى أول الأمر ثارت شاعرية الشاعر ، واشتدت آلامه لما يصيب الإنسانية فى سبيل أطماعها ، فأنشأ هذه القصيدة فى سنة ١٩١٤م .

مَـنْ سَلَـبَ الأعْيُـنَ أنْ تَهْجَعَــــــا ؟ ... وَبَــزَّ ذَاتَ الطَّــوْقِ أنْ تَسْجَعَـــا(١)
وَمَنْ رَمَـى بِــالشَّــوْكِ فِـى مَضْجَعِى ... فَبِتُّ مَكْلُـــومَ الْحَشَـا مُــوجَعَـا ؟(٢)
رَوَّعَنِـى وَاللَّيْــلُ فـى زِيِّـــــــهِ ... مِنْ مُـرْجِفـاتِ الْخَطْبِ مـا رَوَّعَـا !(٣)
طـاحَتْ بِأَهْـلِ الْغَـرْبِ نـارُ الْـوَغَى ... وَهَبَّتْ الـــرِّيحُ بِهِـمْ زَعْـزَعَــا(٤)
طَــافَ عَلَيْهِمْ بِـــالــرَّدَى طـائِفٌ ... فَـــاخْتَــرَمَ الأَنْفُـسَ لَمَّـــا سَعَى(٥)
وَصَـــاحَ فِيهِمْ لِلتَّـــوَى صَـــائِحٌ ... فَصَمَّتِ الأَسْمَــــاعُ مُــذْ أسْمَعَـــا(٦)
فِى الْبَـرِّ ، فِى الْبَحْــرِ ، وَمِنْ فَـوْقِهِمْ ... لَمْ يَتْـرُكِ المَـوْتُ لَهُـمْ مَـوْضِعَـا(٧)

---

(١) الهجوع : النوم ليلاً . البز : النزع وأخذ الشىء بجفاء وقهر . ذات الطوق : الحمامة المطوقة أى التى فى عنقها من الريش ما يشبه الطوق . سجع الحمام : صوته وغناؤه .

(٢) المضجع : وضع الضجوع وهو النوم على الجنب . مكلوم : مجروح . الحشا : ما اشتمل عليه الجوف .

(٣) روعنى : أفزعنى . الزى : الهيئة . الخطب : النازلة والمصيبة . مرجفاته : شدائده .

(٤) طاح يطوح ويطيح : هلك أو أشرف على الهلاك . الوغى : الحرب . ريح زعزع : شديدة تزعزع الأشياء .

(٥) طاف : دار . الردى : الهلاك . اخترم : أهلك . وفى هذا البيت إشارة إلى الآية الكريمة : ﴿ فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون ﴾ [١٩ سورة القلم] .

(٦) صاح : صرخ وصوت. التوى : الهلاك والموت . صمّت الأسماع : بطلت .

يَجْمَعُهُمْ جَبَّارُهُمْ عَنْوَةً | وَإِنَّما لِلْمَوْتِ مَنْ جَمَّعَا !(٨)
يَحْسُو دَمَ الْقَتْلَى ، فأَظْمِىءْ بِهِ | وَيَنْهَشُ اللَّحْمَ ، فَما أَجْشَعَا !(٩)
لَمْ يَكْفِهِ رُمْحٌ وَلا مُرْهَفٌ | فَاتَّخَذَ الْمِنْطَادَ والْمِدْفَعَا(١٠)
وَخَبَّ فِيها راكِبًا رَأْسَهُ | لِلشَّرِّ مَا خَبَّ وَمَا أَوْضَعَا(١١)
قَدْ غَصَّتِ الأَرْضُ بِأَشْلائِهِمْ | وَأَصْبَحَ الْبَحْرُ بِهَا مُتْرَعَا(١٢)
وَآنَ لِلْعِقْبَانِ أَنْ تَكْتَفِي | وَآنَ لِلْحِيتَانِ أَنْ تَشْبَعَا(١٣)
صَوَاعِقُ الْمِنْطَادِ لا تُتَّقَى | وَصَوْلَةُ الْأَلْغامِ لَنْ تُدْفَعَا(١٤)
أُطْلِقَ عَزْرائِيلُ مِنْ قِدِّهِ | يَرْتَعُ أَنَّى شَاءَ أَنْ يَرْتَعَا(١٥)
تُطْرِبُهُ الْحَرْبُ بِأَزْجالِها | ويَسْتَبِيهُ السَّيْفُ إِنْ قَعْقَعَا(١٦)
كَأَنَّما فِي صَدْرِهِمْ غُلَّةٌ | أَبَتْ بِغَيْرِ الْمَوْتِ أَنْ تُنْقَعَا(١٧)

---

(٨) الجبار : العاتى المستكبر ، والمراد القائد . عنوة : قهرًا .
(٩) يحسو : يشرب شيئًا فشيئًا .
(١١) خب : أسرع ، والخبب ضرب من العدو . ركب رأسه : مضى على وجهه بغير روية لا يطيع مرشدًا . الإيضاع : الإسراع فى السير .
(١٢) غصت : امتلأت . الأشلاء : جمع شلو وهو العضو . وأشلاء الإنسان أعضاؤه بعد البلى والتفرق . مترع : مملوء .
(١٣) آن : حان . العقبان : جمع عقاب وهى من جوارح الطير .
(١٥) عزرائيل : ملك الموت . القد : سير من جلد غير مدبوغ قد يقيد به الأسير . يرتع : يقبض أرواح الناس بكثرة ، ورتع فى الأصل معناها أكل وشرب ما شاء فى خصب وسعة . أو أكل وشرب بشره .
(١٦) الطرب : خفة تصيب من يشتد به السرور . الأزجال : جمع زجل وهو الجلبة والتطريب ورفع الصوت. يستبيه : يأسره ويستميله . القعقعة : حكاية صوت السلاح .
(١٧) الغلة : حرارة العطش . أبت : امتنعت . تنقع : تسكن . من نقع الماء العطش من باب قطع وخضع أى سكنه .

كَأَنَّهُمْ سِرْبُ قَطًا عُطَّشٍ   صَادَفْنَ مِنْ وِرْدِ الرَّدَى مَشْرَعَا(١٨)
كَأَنَّهُمْ والنَّارُ مِنْ حَوْلِهِمْ   جِنٌّ تَأَلَّوْا أَنْ يَبِيدُوا مَعَا(١٩)
صَارُوا مِنَ الْعِثْيَرِ فِى ظُلْمَةٍ   لا تُبْصِرُ الْعَيْنُ بِهَا الإِصْبَعَا(٢٠)

* * *

كَمْ فَارِسٍ يَمْرَحُ فِى سَرْجِهِ   يَهْتَزُّ كَالْغُصْنِ وَقَدْ أَيْنَعَا(٢١)
كَأَنَّهُ الصَّمْصَامُ إِذْ يُنْتَضَى   وَعَامِلُ الرُّمْحِ إِذا أُشْرِعَا(٢٢)
مَا ضَنَّ بِالرِّفْدِ عَلَى وَافِدٍ   وَلا لَوَى حَقًّا وَلا ضَيَّعَا(٢٣)
تَمْشِى بَنَاتُ الْحَىِّ فِى إِثْرِهِ   يَرْشُقْنَهُ بِالزَّهْرِ إِذْ وُدِّعَا(٢٤)
مِنْ كُلِّ بَيْضَاءِ الطُّلَى طَفْلَةٍ   أَسْطَعَ مِنْ بَدْرِ الدُّجَى مَطْلَعَا(٢٥)
تَكُفُّ غَرْبَ الدَّمْعِ أَنْ يُرْتَأَى   وَتَحْبِسُ الزَّفْرَاتِ أَنْ تُسْمَعَا(٢٦)

---

(١٨) السرب : القطيع والجماعة . القطا : ضرب من الحمام . الواحدة قطاة . عطش : جمع عاطش اسم فاعل من عطش . صادفن : وجدن . الورد : الإشراف على الماء وغيره . الردى : الهلاك . المشرع : مورد الشاربة أى الموضع الذى يستقون منه كالمشرعة .

(١٩) تألوا : حلفوا . يبيد : يهلك .

(٢٠) العثير : الغبار .

(٢٢) الصمصام : السيف لا ينثنى . ينتضى : يسل أى يجرد من غمده . عامل الرمح : صدره . أشرع : أميل أو رفع عند القتال .

(٢٣) ضن : بخل . الرفد : العطاء والصلة . وافد : آت ووارد . لوى الحق : جحده .

(٢٤) الحى : القبيلة أو البطن من بطون العرب . ويراد به هنا قوم الفارس وعشيرته. يرشقنه : يرمينه . ودع : شيع عند سفره .

(٢٥) الطلى : الأعناق أو أصولها . طفلة : رخصة ناعمة . أسطع : أعلى وأرفع ، والمراد أبهى وأجمل . الدجى : جمع دجية وهى الظلمة . المطلع : الطلوع .

(٢٦) تكف : تمنع . غرب الدمع : مسيله أو انهلاله من العين . يرتأى : يرى . الزفرات : جمع زفرة وهى إخراج النفس طويلاً ممدودًا .

لَـجَّ بِــــهِ الْمَـــــوْتُ فَأَوْدَى بِـــــهِ وَحَـــزَّمِنْـــهُ اللِّيتَ وَالأَخْـــدَعَــــا(٢٧)
مَــــاتَ فَـــــلاَ قَبْـــرٌ لَـــهُ مَـــــائِلٌ وَلا بَكَى الْبَـــاكِى وَلا شَيَّعَـــبا ! (٢٨)

* * *

سَلْ « لِيجَ » مَــا حَـلَّ بأرْجــائِهــــا فَقَــدْ غَـــدَتْ أَرْجـاؤُهـــا بَلْقَعَــا(٢٩)
واسْأَلْ « نَمُـــورًا » مَـــا دَهَى أَهْلَهــا فَقَــدْ نَعــاهَـــا البَــرْقُ فِيمَــا نَعَى(٣٠)
وَسَــائِلِ الـــرَّوْضَ ذَوِى نَبْتُـــهُ وَسَـــائِلِ الأَطْـــلالَ والأَرْبُعَـــا(٣١)

* * *

بَــــارِيسُ ! والْعُسْـــرَى إِلَى يَسْـــرَةٍ وَغَـــايَـــةُ الْعَـــارِضِ أَنْ يُقْشِعَـــا(٣٢)
أَعَـــزَّكِ الْخَطْبُ بِـأَوْجَـــالِـــهِ ؟ وَكُنْتِ عُـشَّ النَّسْـــرِ أَوْ أَمْنَعَـــا(٣٣)
كُنْتِ لِطُـــلاَّبِ الْهُـــدَى مَعْهَـــدًا وَكُنْتِ رَوْضًـــا لِلْهَـوَى مُمْـــرِعَـا(٣٤)

---

(٢٧) لج به الموت : لازمه . أودى به : أهلكه . حز : قطع . الليت : صفحة العنق . الأخدع : شعبة من عرق الوريد .

(٢٩) « ليج » إحدى المدن البلجيكية التى استولى عليها الألمان بعد تخريبها بمدافعهم . الأرجاء : جمع رجاً وهو الناحية . غدت : صارت . البلقع : الأرض القفر الخالية من أسباب العمران والحياة .

(٣٠) « نامور » : مدينة بلجيكية استولى عليها الألمان عقب استيلائهم على « ليج » فى أوائل الحرب العظمى سنة ١٩١٤م .

(٣١) الأربع : جمع ربع وهو محلة القوم ومنزلهم .

(٣٢) باريس : كبرى المدن الفرنسية ومقر الحكومة ، وقد كادت تسقط فى أيدى الألمان فى أوائل الحرب العظمى سنة ١٩١٤م . العسرى : الضيق والشدة والصعوبة . اليسرة : اسم مرة من يسر الأمر من بابى قرب وتعب أى سهل واتسع . العارض : السحاب يعترض فى الأفق ويراد به هنا الغمة والضيق . يقشع : ينكشف .

(٣٣) عزك : غلبك ، والهمزة للاستفهام ، ويراد بالاستفهام هنا التعجب . الخطب : النازلة الشديدة . الأوجال : جمع وجل وهو الخوف .

(٣٤) أمرع الوادى : أخصب وكثر كلؤه .

مـــا أَحْسَنَ « السِينَ » وَجِيـــرَانُــــهُ   وَأَحْسَنَ الْمُصْطَـــافَ والْمَـــرْبَعَـــا !(٣٥)

أَرِيعَتِ الْحَسْنَـــاءُ فِى خِـــدْرِهـــا ؟   نَعَمْ ، دَعاهـا الـــذُّعْرُ أَنْ تَهْلَعَـا ؟(٣٦)

عَهْـدِى بِهـــا كـــانَـتْ نَــؤُومَ الضُحَى   مَلُـــولَـــةً نـــاعِمَـــةً رَعْـــرَعَـــا(٣٧)

مـــا خَطْبُهـــا والنَّـــارُ مِنْ حَـــوْلِهـــا   والْمَـــوْتُ لَمْ يَتْـرُكْ لَهـــا مَفْـزَعَـــا ؟(٣٨)

* * *

ضَــــرَاغِـمَ الْمَـــاءِ ، ثِبُــــوا وَثْبَـــةً   آنَ لِهَـــــذَا الْغِيلِ أَنْ يُمْنَعَـــــا !(٣٩)

دَعَـــــاكُـمُ الْجَـــــارُ فَكُنْتُمْ إِلَـى   دُعَـــائِهِ مِنْ صَـــوْتِـــهِ أَسْـرَعَـــا(٤٠)

وَسِـــــرْتُمُ لِلْمَــــوْتِ فِى جَحْفَـلٍ   مَــا ضَمَّ رِعْــدِيـــدًا وَلاَ إِمَّعَـــا(٤١)

مِنْ كُـلِّ شَعشَــــاعٍ خَفِيـفِ الْخُطَــا   ذِى مِـــرَّةٍ مُنْجَـــرِدٍ أَرْوَعَـــا(٤٢)

لَــوْ مَـــادَتِ الْأَجْبَـــالُ مِنْ تَحْتِـــهِ   أَوْ خَـرَّتِ الأَفْـلاَكُ مَــازُعْــزِعَــا(٤٣)

---

(٣٥) السين : نهر مشهور بفرنسا يمر بمدينة باريس . المربع : منزل القوم فى الربيع .

(٣٧) نؤوم الضحى : كناية عن الترف والرفاهة ولين العيش . ملولة : من الملل وهو السآمة والضجر . ناعمة : متنعمة . الرعرع : اليافعة الحسنة الاعتدال مع حسن شباب .

(٣٨) الخطب : الشأن والأمر . المفزع : الملجأ .

(٣٩) الضراغم : جمع ضرغام وهو الأسد . الوثوب : الطفر والقفز . آن : حان . الغيل : الأجمة أى الشجر الكثير الملتف ، والغيل مسكن الأسد عادة . يمنع : يحمى . يريد بضراغم الماء رجال الأسطول الإنجليزى وجنود البحر .

(٤٠) يريد بالجار مملكة « بلجيكا » من ممالك أوربا الشمالية ، وهى إلى الجنوب الشرقى من الجزائر البريطانية .

(٤١) الجحفل : الجيش الكثير . الرعديد : الجبان . الإمع والإمعة : الرجل يتابع كل أحد على رأيه لا يثبت على شىء .

(٤٢) الشعشاع : الطويل المسرع . الخطا : جمع خطوة . المرة : القوة وشدة العقل .المنجرد : النشيط ذو الهمة. الأروع : من يعجبك بشجاعته .

(٤٣) مادت : زلزلت وتحركت . الأجبال : جمع جبل . خرت : سقطت . الأفلاك : مدارات النجوم . والمراد النجوم نفسها . زعزع : اضطرب وتحرك .

سَلُوا بِحَارَ الأرْضِ عَنْ مَجْدِكُمْ ... إنَّ بِهَا سِرًّا لَكُمْ مُودَعَا(٤٤)
كَانَتْ وَلاَ زَالَتْ لَكُمْ سَاحَةً ... تَبْنُونَ فِيهَا الشَّرَفَ الأفْرَعَا(٤٥)
تَهْوَى طُيُورُ المَاءِ أَعْلاَمَكُمْ ... فَتَقْتَفِيهَا حُوَّمًا وُقَّعَا(٤٦)
قَدْ طَافَ « نِلْسُنْ » حَوْلَ أُسْطُولِكُمْ ... مُسْتَصْرِخًا غَضْبَانَ مُسْتَفْزِعَا(٤٧)
يُغْضِبُهُ يَا خَيْرَ أَشْبَالِهِ ... أَنْ يَبْلُغَ القِرْنُ بِكُمْ مَطْمَعَا(٤٨)

* * *

يَا خَالِقَ النَّاسِ ، طَغَى شَرُّهُمْ ... فَاهْدِ الْحَيَارَى واكْشِفِ الْمَهْيَعَا !(٤٩)
لَمْ يُشْبِهُوا الإنْسَانَ فِي خَلَّةٍ ... وَأَشْبَهُوا الْحَيَّاتِ والأَسْبُعَا(٥٠)
قَدْ رُفِعَ الإحْسَانُ مِنْ بَيْنِهِمْ ... وَأَوْشَكَ الإيمَانُ أَنْ يُرْفَعَا(٥١)
لَوْلاَ سَنَا هَذِيكَ فِي بَعْضِهِمْ ... لَدُكَّتِ الأرْضُ بِهِمْ أَجْمَعَا(٥٢)

---

(٤٥) الساحة : الناحية وفضاء بين دور الحى . الأفرع : الأعلى .

(٤٦) حوم : دائرات حولها . وقع : حاطات نازلات بها .

(٤٧) « نلسن » من أبطال الإنجليز وقائد أسطولهم إبان الحرب الفرنسية .

(٤٨) القرن : كفؤك فى الشجاعة .

(٤٩) المهيع : الطريق البيّن .

(٥٠) الخلة : الخصلة . الأسبع : جمع سبع وهو المفترس من الحيوان.

ضنّ الشّعر بالمديح

عام ١٩٤٥م

قَدْ قَرأْنَا الحَيَاةَ سَطْرًا فَسَطْرًا ... وَشَهِدْنَا صُرُوفَهَا أَلْوَانَا(١)
وَرَأَيْنَا المِقْدامَ يَسْمُو إِلَى العِـ ... ـزِّ وَلا يَرْتَضِي النُّجُومَ مَكَانَا(٢)
وَلَمَحْنَا بِجَانِبَيْهِ أُنَاسًا ... قُتِلُوا ذِلَّةً وَمَاتُوا هَوَانَا(٣)
إِنَّمَا المَنْصِبُ الكَرِيمُ بِمَنْ فِيـ ... ـهِ ، وَلَيْسَ القَنَاةُ إِلاّ سِنَانَا(٤)
قَدْ حَبَسْنَا المَدِيحَ عَنْ كُلِّ مُسْتَا ... مٍ ، وَأَجْدِرْ بِشِعْرِنَا أَنْ يُصَانَا(٥)
لا تَزِينُ العُقُودُ جِيدًا إِذا لَمْ ... يَكُ بِالْحُسْنِ قَبْلَهَا مُزْدَانَا(٦)
رُبَّ دُرٍّ لاَقَى مِنَ الصَّدْرِ دُرًّا ... وَجُمانٍ فِي النَّحْرِ لاقَى جُمَانَا !(٧)
لَوْ مَدَحْنَا مَنْ لا يَحِقُّ لَهُ المَدْ ... حُ لَوَى الشِّعْرُ رَأْسَهُ فَهَجَانَا(٨)
الرَّسُولُ الكَرِيمُ أَنْطَقَ حَسَّا ... نَا ، وَلَوْلاهُ لَمْ يَكُنْ حَسَّانَا(٩)

---

(١) صروفها : أحداثها .
(٢) يسمو : يعلو ويرتفع .
(٤) القناة : الرماح . سنانا : سنان الرمح .
(٥) حبسنا المديح : منعنا الثناء. مستام : الذليل المهان .
(٧) در : لؤلؤى ثمين . جمان : حبّة من الفضة .
(٩) حسان : حسان بن ثابت شاعر الرسول عليه الصلاة والسلام .

وَابْنُ حَمْـــــدانَ لَقَّنَ المُتَنَبِّى   غُــرَرَ المَــدْحِ فِى بَنِى حَمْــدَانَــا(١٠)
يَصْـدُقُ الشِّعْرُ حِينَمـا يَصْدُقُ النَّـا   سُ فَيَشْـدُو بِمَـدْحِهِمْ نَشْـوانـا(١١)
وَإذا عَـــــزَّتِ المَكَــــارِمُ وَلَّـى   مُطرِقَ الـرَّأْسِ وَاجِمًا خَـزْيانـا(١٢)
وَمَضَى يَشْتَكِـى الــزَّمَـانَ وَيَبْكِى   دارِسَـاتِ الطُّلُــولِ والأَظْعَـانـا(١٣)
فَإذا شِئْتَ أنْ أكُـــونَ زُهَيْـــرًا   فَأَعِنِّـى وَعَـاتِ لِى ابـنَ سِنَـانـا(١٤)

---

(١٠) ابن حمدان : سيف الدولة الحمداني : المتنبي: أبو الطيب أحمد المتنبى الشاعر العربى العظيم.
غرر: جمع غرة . أوائل .
(١١) نشوانا : فرحًا .
(١٣) دارسات الطلول : بقايا الأطلال . الأظعانا : المسافرات
(١٤) زهيرا : هو زهير بن أبى سلمى الشاعر الجاهلى العظيم مدح هرم بن سنان لكرمه وفضله ومروءته .

الإسكندرية

أنشد الشاعر هذه القصيدة فى حفل افتتاح المؤتمر الطبى العربى الذى عقد بحديقة النزهة بالإسكندرية عام ١٩٤٣م أثناء الحرب العالمية الثانية .

بَدَتْ أعْلامُهَا فَهَفَا وَهَامَا ... سَلامًا دُرَّةَ الوَادِى سَلامَا(١)
بَعَثْنَا بِالتَّحِيَّةِ خَفْقَ قَلْبٍ ... يَطِيرُ إِلَيْكِ شَوْقًا واضْطِرَامَا(٢)
تَحِيَّاتٌ إذا رَفَّتْ أثَارَتْ ... أَرِيجَ المِسْكِ ، أوْ رِيحَ الْخُزَامى(٣)
نَظَمْنَا لُؤْلُؤَ الفِرْدَوسِ فِيهَا ... وَسَمَّيْنَاهُ تَضْلِيلاً كَلامَا(٤)

* * *

عَرُوسَ الشَّرْقِ دُونَكِ كُلُّ مَهْرٍ ... وَأَيْنَ لِمِثْلِ مَهْرِكِ أَنْ يُسَامَا ؟(٥)
فَجَوْهَرُ ثَغْرِكِ الفَتَّانِ فَرْدٌ ... تَأَبَّى أَنْ يُرَى فِيهِ انْقِسَامَا(٦)
بَهَرْتِ بَنِى الزَّمانِ حُلَى وَحُسْنًا ... وَدلَّهْتِ الأَوَاخِرَ وَالْقُدَامَى(٧)

---

(١) هفا : اشتاق وحنّ .
(٢) اضطراما : التهابا .
(٣) رفت : تحركت . أريج المسك : رائحة المسك النفّاذة الذكية . الخزامى : نبت زهره أطيب الأزهار ويستعمل كدواء .
(٥) يساما : سام المشترى الشىء قدّر له ثمنًا .
(٦) تأبى : تمنع .
(٧) حُلى : زينة وجمالاً . دلهت : جعلتهم يتدلهون فى حبك .

« فَمَكْسُكِ » مُشْرِقُ البَسَمَاتِ ضَاحٍ	« وَرَمْلُكِ » جَنَّةٌ طَابَتْ مُقَامَا(٨)
تَرَامَى المَوْجُ فَوْقَ ثَرَاهُ صَبًّا	وَكَمْ صَبٌّ تَمَنَّى لَوْ تَرَامَى!(٩)
« وَنُزْهَتُكِ » البَدِيعَةُ مَا أُحَيْلَى	وَمَا أَبْهَى اتّسَاقًا وانسِجَامَا(١٠)
إذا انْتَشَرَتْ أزَاهِرُهَا نِثَارًا	جَمَعْنَ الحُسْنَ فَانْتَظَمَ انْتِظَامَا(١١)

* * *

جَرَى التَّارِيخُ بَيْنَ يَدَيْكِ طِفْلاً	وَشَمْسُ الأُفْقِ لَمْ تَعْدُ الفِطَامَا(١٢)
وَصَالَ البَحْرُ حَوْلَكِ مُنْذُ « مِينَا »	عَظِيمًا يَدْفَعُ الكُرَبَ العِظَامَا(١٣)
يَحُوطُ حِمَاكِ أبْيَضَ أحْوَذِيًّا	كَمَا جَرَّدْتِ مِنْ غِمْدٍ حُسَامَا(١٤)
فَكَمْ غَازٍ بِهِ أمْسَى رَمِيمًا	وَكَمْ فُلْكٍ بِهِ أمْسَتْ حُطَامَا !(١٥)
يَمُدُّ يَدَيْهِ نَحْوَكِ فِي حَنَانٍ	وَيَغْمُرُكِ اعْتِنَاقًا وَاسْتِلاَمَا(١٦)
وَيَشْدُو فِي مَسَامِعِكِ الأغَانِي	بِلَحْنٍ عَلَّمَ السَّجْعَ الحَمَامَا(١٧)
بَعَثْتِ النُّورَ مِنْ زَمَنٍ تَوَلَّى	وَكُنْتِ لِنَهْضَةِ العِلْمِ الدِّعَامَا(١٨)

---

(٨) مكسك : حى المكس الشهير بالإسكندرية . ضاح : واضح . رملك : حىّ الرمل بالإسكندرية . طابت : حسنت .

(٩) صبًا : مغرمًا .

(١٠) نزهتك : حىّ النزهة بالإسكندرية .

(١١) نثارا : تفريقًا وانتشارًا وهو تأكيد .

(١٢) تعد : تتعدى . الفطام : مرحلة الفطام أى فى الصغر .

(١٣) مينا : أول ملك من ملوك مصر الفرعونية من الأسرة الأولى وموحد الوجهين (البحرى والقبلى) .

(١٤) حماك : كنفك . أبيض : لونه أبيض واسمه الأبيض . أحوذيا : النشيط السريع فيما يعمل . جرّدت : أخرجت .

(١٥) غاز : عدو أتى غازيًا . رميما : باليا . فلك : سفينة .

(١٦) اعتناقا : ضمًا . استلاما : تقبيلاً .

(١٧) السجع : الكلام المسجوع – هديل الحمام .

وَفِى فَجْـرِ الـزَّمَـانِ طَلَعْتِ فَجْـرًا   عَلَى الـدُّنْيَـا ، فَأيْقَظْتِ النِّيَـامَـا(١٩)

* * *

دَهَتْك نَـوَازِلٌ لَـوْ زُرْنَ « رَضْـوَى »   لَمَا أبْقَيْنَ « رَضْـوَى » أَوْ « شَمَامَا » (٢٠)

فَكَمْ بَعَثُـوا عَلَى ظَمَإٍ غَمَـامَـا   لَئِيمَ البَـرْقِ قَـدْ حَجَبَ الغَمَـامَـا !(٢١)

أبَـابِيـلاً نَشَأْنَ مُلَعَّنَـاتٍ   تَسُوقُ أمَـامَهَـا المَـوْتَ الزُّؤَامَـا(٢٢)

وَأسْـرابَ الجَحِيـمِ مُحَلِّقَـاتٍ   إذَا مَـا حَـوَّمَتْ قَـذَفَتْ ضِرَامَـا(٢٣)

فَـلا أُمًّـا تَـرَكْنَ وَلا رَضِيعًـا   وَلا شَيْخًـا رَحِمْنَ وَلا غُـلامَـا(٢٤)

وَخَلْفَـكِ رَابِضًـا جَيْشٌ لُهَـامٌ   يَصُـولُ مُنَـاجِـزًا جَيْشًـا لُهَـامَـا(٢٥)

إِلَى « الْعَلَمَيْنِ » أبْـدَى نَـاجِـذَيْـهِ   وَزَمْجَـرَ غَـاضِبًـا وَسَطَـا وَحَـامَـا(٢٦)

وَهَـوَّلَ مَـا يُهَـوِّلُ واسْتَطَـارَتْ   بُـرُوقٌ تَنْشُـرُ النَّبَأَ الجُسَـامَـا(٢٧)

فَمَـا أطْلَقْتِ صَيْحَـةَ مُسْتَجِيـرٍ   وَلا شَـرَّدْتِ عَنْ عَيْنٍ مَنَـامَـا(٢٨)

---

(٢٠) دهتك : أصابتك ودهمتك . نوازل : كوارث . رضوى : جبل رضوي الشهير بالمدينة . شماما : جبل.
يذكر الشاعر غزو الألمان لمصر من الصحراء الغربية أثناء الحرب العالمية الثانية وما أصاب الإسكندرية من غاراتهم .

(٢١) غماما : سحابا . لئيم البرق : ذو برق خبيث وكريه . والمقصود الطائرات التى كان يرسلها الألمان لضرب الإسكندرية بالقنابل فى أعداد كبيرة غطت على السحاب فى سمائها .

(٢٢) أبابيلا : فرقًا متجمعة متتابعة وفيها إشارة إلى الطير الأبابيل التى ترمى بحجارة من سجيل كما جاء ذكر ذلك فى سورة الفيل . الزؤاما : المحتوم .

(٢٣) أسراب : جماعات . حومت : دارت حول الشيء . ضراما : نارًا مشتعلة .

(٢٥) رابضًا : معسكرًا متنظمًا . لهام : عظيم كثير العدد . مناجزًا : محاربًا .

(٢٦) العلمين : موقعة شهيرة وحاسمة فى الحرب العالمية الثانية وسميت بهذا الاسم نسبة إلى البلد التى وقعت فيها حيث انتصر الحلفاء على الألمان وكان الجيش المصرى يحارب مع الحلفاء .
أبدى ناجذيه : كشر عن أنيابه . زمجر : صاح غاضبًا . سطا : بطش وقهر . حاما : دار وحارب فى ميدان القتال .

(٢٧) هوّل : أفزع . استطارت : انتشرت . الجساما : العظيم .

(٢٨) مستجير : مستغيث . شرّدت : بعّدت .

تَحَـدّيتِ الخُطُـوبَ تَـزِيـدُ هَـوْلاً فَتَـزْدَادِينَ صَبْـرًا وَاعْتِـزَامَـا(٢٩)
إذَا عَصَفَتْ بِجَـوِّكِ عَـابِسَـاتٍ مَـلأْتِ الجَـوَّ هُـزْءًا وَابْتِسَـامَـا(٣٠)
« عَمُـودُكِ » فِى سَمَـائِكِ مُشْمَخِـرٌّ عَلَيْـهِ الشُّحْبُ تَـرْتَطِمُ ارْتِطَـامَـا(٣١)
« وَحِصْنُكِ » لا يَلِينُ لَـهُ حَـدِيـدٌ وَلَـوْ شُهُبُ الـدُّجَى كَـانَتْ سِهَـامَـا(٣٢)
وَصَخْـرُكِ لا يَـزَالُ اليَـوْمَ صَخْـرًا يَفُلُّ عَـزَائِمًـا وَيَشُـقُّ هَـامَـا(٣٣)
أَتَـوْكِ مُنَـاجِـزِيـنَ أُسُـودَ غَـابٍ وَشَـالُـوا بَعْـدَ نَكْبَتِهِمْ نَعَـامَـا(٣٤)
وَمَنْ يَكُـنْ الإلَـهُ لَـهُ نَصِيـرًا فَحَـاشَـا أَنْ يُضَيّـعَ أَوْ يُضَـامَـا !(٣٥)

* * *

أَحَقًّـا أَنَّ لَيْلَـكِ صَـارَ لَيْـلاً وَمَغْنَى اللَّهْـوِ قَـدْ أَمْسَى ظَـلاَمَـا ؟(٣٦)
وَأَنَّ حِـدَادَ لَيْلِكِ طَـرَّزَتْـهُ دُمُـوعٌ لِلثَّـوَاكِـلِ وَالْيَتَـامَى ؟(٣٧)
وَأَنَّ مَـلاَعِبًـا ضَحِكَتْ زَمَـانًـا غَـدَتْ بِيَـدِ البِلَى طَلَـلاً رُكَـامَـا ؟(٣٨)
وَأَنَّ الغِيـدَ فِيـكِ وَكُـنَّ زَهْـرًا تَخَيَّـرْنَ الْخُـدُورَ لَهَـا كِمَـامَـا ؟(٣٩)

---

(٢٩) اعتزامًا : قوة وصرامة ونفاذ أمر .
(٣٠) هزءًا : سخرية
(٣١) عمودك : عمود السوارى وهو أحد معالم الإسكندرية . مشمخر : مرتفع شاهق .
(٣٢) حصنك : المقصود قلعة « قايتباى » الشهيرة على البحر . شهب الدجى : نار تسقط من السماء فتضىء فى ظلمة الليل .
(٣٣) يفلّ : يكسر . هاما : رأس الشىء وأعلاه .
(٣٤) مناجزين : محاربين . وشالوا : هزموا وقهروا وانقلبوا عائدين وهم كالنعام أى جبناء .
(٣٥) يضاما : يظلم .
(٣٦) مغنى اللهو : مكان اللهو والغناء .
(٣٧) حداد : ثياب المأتم السود . طرزته : شغلته وصنعته .
(٣٨) عدت : أصبحت . البلى : القدم . طللا : بقايا البناء . ركاما : تراكمت أحجاره بعضها على بعض .
(٣٩) الخدور : جمع خدر وهو مكان الإقامة . كماما : ورق الزهرة الذى يحيط بالثمرة .

وَأَنَّ البَحْـــرَ لَمْ يَنْعَمْ بِـــوَجْـــهٍ صَبَــاحِيٍّ ، وَلَمْ يَهْصِـرْ قَـوامَـا ؟(٤٠)
وَلَمْ تَمْشِ السَّـــوَاحِــرُ فِيـــهِ صُبْحًـا وَلَمْ تَمْـلأْ شَـــوَاطِئَــهُ غَــرَامَــا ؟(٤١)
حَنَـــانَــــا إِنَّهَـــا شِيَمُ اللَّيَـــالِي إِذَا كَشَّفْنَ عَـنْ غَـــدْرٍ لِثَـــامَـــا(٤٢)
وَلَـــوْلا صَـــوْلَـــةُ الأَحْـــدَاثِ فِينَـــا لَمَـــا عَـرَفَ الـوَرَى حَمْـدًا وَذَامَـا(٤٣)
وَقَـــدْ يُخْفِـي الهِــلاَلَ مَحَـــاقُ لَيْلٍ لِيَظْهَـــرَ بَعْـــدَهُ بَـدْرًا تَمَـــامَـــا(٤٤)

* * *

أَبِنْتَ البَحْـرِ ، وَالـذِّكْـرَى شُجُـونٌ إِذَا لَمَسَتْ فُـــؤَادًا مُسْتَهَـــامَـــا(٤٥)
ذَكَــرْتُ صِبَـــايَ فِيكِ ، وَأَيْـنَ مِنِّي صِبَـــايَ ؟ إِلاَمَ أَنْشُـــدُهُ إِلاَمَـــا ؟(٤٦)
فَعُـــذْرًا إِنْ وَصَلْتُكِ بَعْـــدَ هَجْـــرٍ وَمَـا هَجَـرَ الـذِي حَفِظَ الـذِّمَـامَـا(٤٧)
فَهَلْ تَـــدْرِي النَّـــوَى أَنَّـــا الْتَقَيْنَـــا كَمَـــا ضَمَّ الهَـوَى قَبْـلاً تُـؤَامَـا ؟(٤٨)
وَأَنَّـــــا بَيْـنَ عَتْـبٍ وَاشْتِيَـــــاقٍ نُنَــاغِـي الحُبَّ رَشْفًـا وَالْتِـزَامَـا(٤٩)

* * *

سَعَى لَـكِ مِنْ حُمَـــاةِ الطِّـبِّ حَشْـــدٌ فَكُنْتِ كَـــرِيمَـــةً لاَقَـتْ كِــرَامَـــا(٥٠)

---

(٤٠) صباحىّ : جميل . يهصر : يضم بقوة .
(٤١) السواحر : الماشيات فى الوقت قبيل الصبح .
(٤٢) شيم : عادات - صفات . لثاما : وهو الستر الذى يخفى الوجه .
(٤٣) صولة : جولة . الورى : الخلق . ذاما : عيبًا وذمًا .
(٤٤) محاق : ثلاث ليال من آخر الشهر العربى والمراد الظلام .
(٤٥) مستهام : هائم محب .
(٤٧) حفظ الذماما : رعى حرمتك - ثبت على عهدك .
(٤٨) النوى : البعد وكثرة الأسفار . تؤاما : جمع توأم وهو المولود مع غيره .
(٤٩) عتب : عتاب . التزامًا : عناقًا .
(٥٠) حماة الطب : المدافعون عنه وهم الأطباء الذين نزلوا بالإسكندرية وشاركوا فى المؤتمر .

إذا اخْتَلَفُوا لِـوَجْهِ الحَقِّ يَـوْمًـا — مَشَـوْا لِلْحَقِّ فَـالْتَأَمُـوا الْتِئَـامَـا(٥١)

مَـلائِكَـةٌ إذَا لَمَسُـوا عَلِيـلاً — أزاحُـوا الـدَّاءَ وَاسْتَلُّـوا السَّقَـامَـا(٥٢)

وَجُنْـدٌ فِي شَجَـاعَتِهِمْ حَيَـاةٌ — إذَا جَلَبَ الجُنُـودُ بِهَـا الحِمَـامَـا(٥٣)

فَكَـمْ أَوْدَى بِهِـمْ دَاءٌ عُقَـامٌ — إذَا مَـا حَـارَبُـوا دَاءً عُقَـامَـا !(٥٤)

أمَـامًـا يَـا رِجَـالَ الطِّبِّ سِيـرُوا — فَإنَّ لِكُـلِّ مَـرْحَلَـةٍ أمَـامَـا(٥٥)

أقَمْتُمْ مِهْـرَجَـانَ الطِّبِّ يُحْيِي — مَعَـالِمَ دَرْسِـهِ عَـامًـا فَعَـامَـا(٥٦)

وَطُفْتُمْ حَـوْلَ شَيْخٍ عَبْقَـرِيٍّ — فَأَلْقَيْتُمْ بِكَفَّيْـهِ الـزِّمَـامَـا(٥٧)

دَعَـوْنَـاهُ أَبَـا حَسَنٍ « عَلِيًّـا » — فَقُلْتُمْ : نَحْنُ نَـدْعُـوهُ الإمَـامَـا(٥٨)

* * *

وُفُـودَ العُـرْبِ غَنَّـاكُـمْ قَـرِيضِي — وَحَنَّ إلَى مَعَـاهِـدِكُمْ وَهَـامَـا(٥٩)

رَمَى الشَّـرْقُ الغَمَـامَـةَ بَعْـدَ لأْيٍ — وَأَلْقَى تَحْتَ رِجْلَيْـهِ الخِطَـامَـا(٦٠)

عَقَـدْنَـا لِلْعُـرُوبَـةِ فِيـهِ عَهْـدًا — فَـلاَ وَهْنًـا نَخَـافُ وَلا انْفِصَـامَـا(٦١)

---

(٥٢) استلوا : نزعوا – استخرجوا . السقاما : الأمراض .

(٥٣) الحماما : الموت .

(٥٤) أودى : أهلك . داء عقام : داء عضال .

(٥٧) شيخ عبقرى : المقصود الدكتور على إبراهيم باشا رئيس المؤتمر . الزماما : القيادة .

(٥٨) أبا حسن عليا : لقب الإمام على كرم الله وجهه وللدكتور على إبراهيم باشا نجل هـو الأستاذ الدكتور حسن على إبراهيم الجراح المشهور .

(٦٠) الغمامة : ما يوضع على عينى الدابة كى لا ترى .. لأى : تعب ومشقة – جهد . الخطاما : حبل يوضع فى فم البعير ليقاد به .

(٦١) وهنا: ضعفا . انفصاما : تفرق .

تَلُمُّ شَتَــاتَنَـــا أَنَّى نَـــزَلْنَـــا حِجَــازاً أَوْ عِــراقًــا أوْ شَــآمَــا(٦٢)
وَنَمْشِي إنْ دَعَتْ صَفًّـــا فَصَفًّـــا نُصَــافِحُ تَحْتَ رَايَتِهَــا الــوِئَامَــا(٦٣)

(٦٢) شتاتنا : تفرقنا . شآما : بلاد الشام .

(٦٣) رايتها : علمها . الوئام : الوفاق .

محمد رسول الله

ألقى الشاعر هذه القصيدة احتفاء بالمولد النبوى الشريف سنة ١٣٦٢ هجرية (١٩٤٣ م) .

تَحِيَّةُ نَاءٍ مِنْ شَذَى المِسْكِ أَطْيَبُ ... وَمِنْ قَطَرَاتِ المُزْنِ أَصْفَى وَأَعْذَبُ(١)
وَتَبْرِيحُ أَشْوَاقٍ إذا ما تَنَفَّسَتْ ... يَكَادُ لَهَا فَحْمُ الدُّجَى يَتَلَهَّبُ(٢)
وَقَلْبٌ يَضِيقُ الصَّدْرُ عَنْ نَبَضَاتِهِ ... فَيَخْفِقُ غَيْظًا بِالْجَنَاحِ وَيَضْرِبُ(٣)
تَلَفَّتَ فِي الأَضْلاَعِ حَيْرَانَ يَائِسًا ... وَأَنَّ كَمَا أَنَّ السَّجِينُ المُعَذَّبُ(٤)
تُعَاوِدُهُ الذِّكْرَى فَتَنْكَأُ جُرْحَهُ ... وَيَارُبَّ جُرْحٍ حَارَ فِيهِ المُطَبِّبُ !(٥)
وَيَخْدَعُهُ طَيْفُ الخَيَالِ إذا سَرَى ... فَيَبْعَثُ آمَالَ الشَّجِيِّ وَيَذْهَبُ(٦)
وَمَنْ أَبْصَرَ الأَيَّامَ خَلْفَ قِنَاعِهَا ... رَأَى الدَّهْرَ يَلْهُو ، وَالأَمَانِيَّ تَكْذِبُ(٧)
عَجَائِبُ أَحْدَاثٍ تَلِيهَا عَجَائِبٌ ... وَصَبْرِي عَلَى تِلْكَ العَجَائِبِ أَعْجَبُ(٨)
وَلَوْلاَ حَيَاةُ الوَهْمِ أَوْدَى بِأَهْلِهِ ... زَمَانٌ بِأَشْوَاكِ الحَقَائِقِ مُخْصِبُ(٩)
تَبَسَّمْ إذا ما الدَّهْرُ قَطَّبَ وَجْهَهُ ... وَصَفِّقْ لَهُ فِي دَوْرِهِ حِينَ يَلْعَبُ(١٠)
يَمُوتُ الفَتَى مِنْ قَبْلِ أَنْ يَعْرِفَ الفَتَى ... مِنَ الأَمْرِ مَا يَأْتِي وَمَا يَتَجَنَّبُ(١١)

---

(١) ناء : بعيد . شذى المسك : رائحة المسك الذكية الفوّاحة . المزن : السحاب الممتلىء بالماء .
(٢) تبريح أشواق : توهج أشواق . فحم الدجى . المقصود سواد ظلمة الليل . يتلهب : يتقد ويشتعل .
(٥) تنكأ جرحه : تهيج وتثير جرحه قبل أن يبرأ . المطبب : الطبيب المداوى .
(٩) مخصب : كثير الخير .
(١٠) قطّب وجهه : عبس وتجهّم .

وَسِيَّانِ مَا يَدْرِيهِ وَالشَّعْرُ فَاحِمٌ — أثِيثٌ ، وَمَا يَدْرِيهِ وَالشَّعْرُ أشْيَبُ(١٢)
وَقَالُوا : حَيَاةُ الْمَرْءِ دَرْسٌ فَقَهْقَهَتْ — صُرُوفُ اللَّيَالِى وَالقَضَاءُ المُغَيَّبُ(١٣)
إذَامَا جَهِلْتَ النَّفْسَ وَهْىَ قَرِيبَةٌ — فَأَىُّ المَعَانِى بَعْدَ نَفْسِكَ أقْرَبُ(١٤)

* * *

حَنَانًا لِقَلْبِى ، كَيْفَ طَاحَتْ بِهِ المُنَى — وَعَزَّ عَلَى الأيَّامِ مَا يَتَطَلَّبُ ؟(١٥)
يُغَازِلُهُ فِى مَطْرَحِ النَّسْرِ مَأرَبٌ — وَيَخْتِلُهُ فِى مَسْبَحِ الحُوتِ مَأْرَبُ(١٦)
يَكَادُ إذَا مَرَّ الحِجَازُ بِذِكْرِهِ — وَجِيرَتُهُ مِنْ صَدْرِهِ يَتَوَثَّبُ(١٧)
بِلادٌ بِهَا الرَّحْمنُ ألْقَى ضِيَاءَهُ — عَلَى لابَتَيْهَا وَالعَوَالِمُ غَيْهَبُ(١٨)
تَكَادُ إذا مَرَّتْ بِهَا الشَّمْسُ غُدْوَةً — حَيَاءً بِأهْدَابِ السَّحَابِ تَنَقَّبُ(١٩)
يُجَلِّلُهَا قُدْسٌ مِنَ اللهِ سَابِغٌ — وَيَنْفَحُهَا نَشْرٌ مِنَ الْخُلْدِ طَيِّبُ(٢٠)
إذا نَسَبَ النَّاسُ البِلادَ رَأيْتَهَا — إلَى جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ تُعْزَى وَتُنْسَبُ(٢١)
وَإنْ نَضَبَتْ أنْهَارُهَا فَبِحَسْبِهَا — مِنَ الدِّينِ نَهْرٌ لِلهُدَى لَيْسَ يَنْضُبُ(٢٢)
إذا مَاجَرَى فِى الأرْضِ فَالجَدْبُ مُخْصِبٌ — وَإنْ هُوَ جَافَى الأرْضَ فَالخِصْبُ مُجْدِبُ(٢٣)

---

(١٢) أثيث : قوى النمو كثير .
(١٣) المغيّب : ما غاب عنك وهو المستقبل .
(١٥) حنانا : رحمة . طاحت : ذهبت . عز : قلّ وندّر .
(١٦) يغازله : يلاطفه . مطرح النسر : أعالى الجبال . يختله : يخدعه . مسبح الحوت : البحار الكبيرة .
الذكر : التذكر .
(١٨) لابتيها: اللابة الأرض ذات الحجارة السود وبالمدينة المنورة لابتان تكتنفها. غيهب : فى علم الغيب .
(١٩) أهداب السحاب : أطراف السحاب . تنقب : تهرب .
(٢٠) نشر : رائحة طيبة .
(٢١) تعزى : تنتمى وتنتسب .
(٢٢) ينضب : يجف .

يفِيضُ عَلَى الأقْطَـــارِ يُمْنًــا وَرَحْمَـــةً وَيَـــزْأرُ فِي أُذْنِ العُتَـــاةِ وَيَصْخَبُ(٢٤)
تَفَجَّـــرَ مِنْ نَبْعِ النُّبُـــوَّةِ مَـــاؤُهُ لَـهُ الحَـقُّ وِرْدٌ وَالسَّمَـاحَـةُ مَشْرَبُ(٢٥)
وَوَحَّـــدَ بَيْـنَ النَّـاسِ ، لا البُعْــدُ مُبْعِـدٌ عَنْ السَّاحَةِ الكُبْرى،وَلا القُرْبُ مُقْرِبُ(٢٦)
فَلَيْسَ لَـدَى الإسْـلامِ شَـرْقٌ وَمَشْـرِقٌ وَلَيْسَ لَـدَى الإسلامِ غَرْبٌ وَمَغْـرِبُ(٢٧)
هُمُ النَّـاسُ إخْـوانٌ سَــوَاءٌ عَلَى الهُـدَى بَطِيءُ المَسَاعِي والشَّرِيفُ المُهَيَّبُ(٢٨)
فَمــا حَطَّ مِنْ قَـدْرِ الفَـزَارِيِّ فَـاقَـةٌ وَلا زَادَ فِي قَـــدْرِ ابْنِ أيْهَـمَ مَنْصِبُ(٢٩)
يُجَمِّعُهُـمْ قَلْبٌ عَلَـى الحَقِّ وَاحِـــدٌ وَإنْ فُـــرِّقَتْ أوْطَــانُهُمْ وَتَشَعَّبُـــوا(٣٠)
إذا صَـاحَ فِي « جَيْحُـونَ » يَـوْمًـا مُـؤَذِّنٌ أجـابَ عَلَى « التـامِيزِ » دَاعٍ مُثَـوِّبُ(٣١)
وَإنْ ذَرَفَتْ مِـنْ جَفْنِ دِجْلَـــةَ دَمْعَـــةٌ رَأيْتَ دُمُـوعَ النِّيـلِ حَيْـرَى تَصَبَّبُ(٣٢)
وَإنْ مَسَّ جُـرْحٌ مِنْ فِلَسْطِينَ إصْبَعَــا شَكَـا حَـاجِرٌ مِنْـهُ وَأنَّ المُحَصَّبُ(٣٣)

* * *

بِنَفْسِي وَلِيـــدًا فِي أبَــاطِحِ مَكَّـــةٍ تَتِيـهُ بِـهِ الـدُّنْيَـا وَيَشْرُفُ يَعْـرُبُ(٣٤)

---

(٢٨) بطيء المساعي : الرجل ذو الطموح المحدود . المهيب : الذى يهابه الناس .
(٢٩) الفزاريّ : أعـرابى من بنى فزارة داس على فضل إزار جبلـة بن الأيهم وهو من عظمـاء الروم وكـان قد دخل فى الإسلام – فلطم ابن الأيهم الفزارى فشكاه إلى سيدنا عمر بن الخطاب فحكم له بأن يقتص من جبلة .
(٣٠) تشعبوا : تفرقوا .
(٣١) جيحون : نهـر جيحون بـبـلاد التركستـان فى الشرق . التاميـز : نهر بإنجلتـرا فى الغرب . داع : يـدعو النـاس . مثوب : والتـثـويب يكون فـى آذان الفجر خـاصة وهـو قـول المؤذن الصـلاة خير من النـوم والمقصود الاستجابة للصلاة فى جميع أنحاء العالم .
(٣٢) دجلة : نهر دجلة فى العراق . تصبب : تنسكب .
(٣٣) حاجر : نزل للحجاج بالبادية . المحصب : موضع رمى الحجارة بمنى .
(٣٤) بنفسى : أفديه بروحى . وليدا : سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . أباطح : مسيل واسع فيه حصى . يعرب : أبو العرب .

أطَلَّ عَلَيْهَــا مِثْلَمَــا تَبْسِمُ المُنَى وَيَسْطَعُ فِى اللَّيْلِ الخُدَارِى كَوْكَبُ(٣٥)
وَكَانَ لَهَــا رَمْزَ الحَيَاةِ فَأشْـرَقَتْ كَمَا هَزَّ أفْنَــانَ الخَمَــائِلِ صَيِّبُ(٣٦)
وَكَمْ مَـدَّتِ الأعْنَـاقَ تَـرْقُبُ لَمْحَـةً فَطَـالَ عَلَيْهَـا صَبْرُهَـا وَالتَّـرَقُّبُ(٣٧)
تَـوَالَتْ بِهَـا الأيَّـامُ ، تَـذْهَبُ أحْقُبٌ وَتَأْتِى عَلَى اليَأْسِ المُبَـرِّحِ أحْقُبُ(٣٨)
إلَى أنْ بَـدَا نُـورُ الإلَـهِ فَـأقْبَلَتْ عَـوَالِمُهَـا تَشْـدُو بِطَـهَ وَتَطْـرَبُ(٣٩)
وَلِيـدٌ لَـهُ عُلْيَـا مَعَـدٍّ ذُؤَابَــةً جَلاَلَـةُ أنْسَـابٍ ، وَمَجْدٌ مُؤَشَّبُ(٤٠)
حَوَتْـهُ كَما اعْتَـادَ الأعَـارِيبُ جَفْنَـةٌ وَقَدْ ضَاقَ عَنْ آمالِهِ الفِيحِ سَبْسَبُ(٤١)
يُحَيِّيـهِ مِنْ طَيْفِ المَـلائِكِ مَـوْكِبٌ وَيَـرْعَـاهُ مِنْ طَيْفِ النَّبِيِّينَ مَـوْكِبُ(٤٢)
فَهَلْ عَلِمَ الـرُّومَــانُ أنَّ مِهَــادَهُ قِرابٌ بِـهِ مـاضِى الغِـرَارِ مُشَطَّبُ(٤٣)
وَأنَّ بِــهِ نَفْسًــا يُحَطِّمُ دُونَهَــا مَنِيعُ الصَّيَاصِى،والحَدِيدُ المُذَرَّبُ؟(٤٤)
وَأنَّ بِـهِ مِنْ صَـوْلَـةِ اللهِ - جَحْفَـلاً يَثُلُّ عُـرُوشَ القَـاسِطِينَ وَيَسْلُبُ؟(٤٥)
لَـهُ الكَـوْنُ مَيْـدانٌ إذا سَلَّ سَيْفَـهُ وَقَالَ لِفُرْسَانِ المَلائِكَةِ : إرْكَبُوا(٤٦)
يَطِيـرُ عِـدَاهُ مِنْـهُ ذُعْـرًا وَخَشْيَـةً وَإنْ مَلأُوا الأرْضَ الفَضَاءَ وَأجْلَبُوا(٤٧)

---

(٣٥) الخداريّ : المظلم .

(٣٦) صيّب : السحاب ذو الصوت أى الممتلىء بالماء .

(٣٨) أحقب : سنون .

(٤٠) عليا : الرفعة . معد : قبيلة عربية ذات سيادة . ذؤابة : ذؤابة الشىء أعلاه . المؤشب : الشجر المتلاصق والمراد بالمجد المؤشب المجمع من كثير من أعمال الفضل والنبل .

(٤١) الأعاريب : سكان البادية . جفنة : وعاء أو قصعة يوضع بها الطفل الرضيع . سبسب : المفازة أو الأرض المستوية البعيدة الواسعة .

(٤٣) قراب : جراب السيف . الغرار : حد السيف . المشطب : السيف فى حده خطوط مجوفة .

(٤٤) الصياصى : جمع صيصية : الحصن . الحديد المذرب : الحديد الحاد .

(٤٥) صولة : قوة . يثل : يذهب ملكه أو عزه . القاسطين : الظالمين . يسلب : يختلس .

(٤٦) سل : أخرجه من غمده .

وَمَنْ لَمْ يُؤَدِّبْهُ البَيَانُ وَهَدْيُهُ ... فَإِنَّ الحُسَامَ العَضْبَ نِعْمَ المُؤَدِّبُ(٤٨)
فَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ الحَدِيدَ وَبَأْسَهُ ... لِمَنْ سَدَّ أُذْنَيْهِ الهَوَى وَالتَّعَصُّبُ(٤٩)
وَفِي صَدْعَةِ الإِيوَانِ إِنْذَارُ أُمَّةٍ ... بِأَنَّ مِنَ الأَشْيَاءِ مَا لَيْسَ يُشْعَبُ(٥٠)

* * *

محَمَّدُ أَنْقَذْتَ الخَلائِقَ بَعْدَ مَا ... تَنَكَّبَتِ الدُّنْيَا بِهِمْ وَتَنَكَّبُوا(٥١)
وَأَطْلَقْتَ عَقْلاً كَانَ بِالأَمْسِ مُصْفَدًا ... فَدَانَ لَهُ سِرُّ الوُجُودِ المُحَجَّبُ(٥٢)
وَأَرْسَلْتَهَا مِنْ صَيْحَةٍ نَبَوِيَّةٍ ... يَمُورُ لَهَا قَلْبُ الجِبَالِ وَيُرْعَبُ(٥٣)
إذا كَانَ صَوْتُ اللهِ فِي صَيْحَةِ الفَتَى ... فَأَيَّ عِبَادِاللهِ يَخْشَى وَيَرْهَبُ؟(٥٤)
وَبَلَّغْتَ آيَاتٍ، رَوَائِعُ لَفْظِهَا ... مِنَ الصُّبْحِ أَهْدَى أوْ مِنَ النَّجْمِ أَثْقَبُ(٥٥)
كَأَنَّ، وَمَا تُغْنِي كَأَنَّ؟ فَخَلِّهَا ... فَإِنَّ مِنَ التَّشْبِيهِ مَا يَتَصَعَّبُ(٥٦)
وَمَاذَا يَقُولُ الشِّعْرُ فِي آيِ رَحْمَةٍ ... لَهَا اللهُ يُمْلِي وَالمَلائِكُ تَكْتُبُ؟(٥٧)
خَطَبْتَ لَنَا يَوْمَ الوَدَاعِ مُشَرِّعًا ... وَهَلْ لَكَ نِدٌّ فِي الوَرَى حِينَ تَخْطُبُ؟(٥٨)
فَكَشَّفْتَ أَسْرَارَ السِّيَاسَةِ مُوجِزًا ... وَجِئْتَ بِمَا يَعْيَا بِهِ اليَوْمَ مُسْهِبُ(٥٩)
وَأَمْلَيْتَ دُسْتُورًا شَقِينَا بِتَرْكِهِ ... فَثُرْنَا عَلَى الأَيَّامِ نَشْكُو وَنَعْتِبُ(٦٠)

* * *

---

(٤٨) الحسام العضب : السيف الطاعن .
(٥٠) صدعة الإيوان : شق إيوان كسرى وهدمه وكسره . يشعب : يُصلح .
(٥٢) مصفدا : مقيدا . دان : خضع . الحجب : المستور فى علم الغيب .
(٥٣) يمور : يتحرك ويذهب .
(٥٥) أثقب : مضىء .
(٥٩) مسهب : كثير الكلام .

إِلَيْكَ رَسُـــولَ اللهِ طَـــارَ بِنَـــا الهَـــوَى وَحُلْـوُ الأَمَـانِى وَالـــرَّجَاءُ المُحَبَّبُ(٦١)
أَفِضْهَـــا عَلَيْنَـــا نَفْحَـــةً هَـــاشِمِيَّـــةً تَلُمُّ شَتَـــاتَ الْمُسْلِمِيـــنَ وَتَـــرْأَبُ(٦٢)
وَتُـــرْجِعُ فِيهِمْ مِثْلَ سَعْـــدٍ وَخَـــالِـــدٍ وَتَـــرْفَـــعُ مِنْ رَايَـــاتِهِـمْ حِينَ تُنْصَبُ(٦٣)
سَنَصْحُـــو فَقَـــدْ مَلَّ الطَّـــرِيحُ وِسَـــادَهُ وَفِى نُـورِكَ القُـــدْسِى نَسْعَى وَنَـــدْأَبُ(٦٤)
عَلَيْكَ سَـــــلامُ اللهِ مَـــا حَـنَّ واجِـــدٌ وَفَـــاخَـــرَتِ الـــدُّنْيَـــا بِقَبْـرِكَ يَثْـــرِبُ(٦٥)

---

(٦٢) شتات : تفرق . ترأب : تصلح .

(٦٣) سعد وخالد : هما بطلا الإسلام سعد بن أبى وقاص وخالد بن الوليد .

(٦٤) ندأب : نجد ونتعب .

(٦٥) واجد : حبيب . يثرب : المدينة المنورة .

فِلَســـطين

نظم الشاعر هذه القصيدة عندما توالت انتصارات الجيش المصـــرى فى فلسطين عـــام ١٩٤٨م إلـى أن وصل إلى مشارف « تل أبيب » فتدخلت أمريكا وفرضت الهدنة على الجـانبين من أجل صـالح إسرائيل لتجنبهـا عـار هزيمـة محققة .

تَأَلَّـقَ النَّصْــرُ فَـــاهْتَــزَّتْ عَـــوَالِينَـــا … وَاسْتَقْبَلَتْ مَـوْكِبَ الْبُشْرَى قَـوَافِينَـا(١)
غَنَّى لَنَـــا السَّيْفُ فِـى الأَعْنَـــاقِ أُغْنِيَـــةً … عَـزَّتْ عَلَـى الأَيْكِ إِيقَـاعًـا وَتَلْحِينَـا(٢)
هَـــزَّتْـــهُ كَفٌّ مِنَ الفُـــولاذِ قَبْضَتُهَـــا … فِى الهَـوْلِ مَـا عَــرَفَتْ رِفْقًـا وَلا لِينَـا(٣)
مِنْ صَخْرِ «خُوفُو» لَهَـا دُونَ الْوَرَى عَضَلٌ … جَـرَى بِـهِ دَمُ عَـدْنَـانٍ شَـرَايِينَـا(٤)
نَفْسِى فِدَى الفَارِسِ الِمصْرِىِّ إِنْ خَطَرَتْ … بِـهِ المَـــوَاكِبُ أَوْ خَـاضَ المَيَـادِينَـا(٥)
تَلْقَـــاهُ فِـى السِّلْمِ مَــــاءً رَفَّ سَلْسَلُـــهُ … وَفِى الحُـــرُوبِ إِذَا مَـا ثَـارَ أَتُّـونَـــا(٦)
يَــرَى الـدِّمَـــاءَ عَقِيقًـــا سَـالَ جَـامِـدُهُ … وَيَحْسَبُ النَّقْعَ فِيهَـــا مِسْكَ دَارِينَـا(٧)
مَـا بَيْنَ « عَمْـرٍو » وَ « مِينَـــا » زَانَـهُ نَسَبٌ … فَمَنْ كَـآبَـائِهِ عُـرْبًـا فَـرَاعِينَـا ؟(٨)

---

(١) تألق : ازدهر . عوالينا : أعالينا .
(٢) الأيك : الشجر الملتف والمقصود الحدائق .
(٤) « خوفو » ملك من ملوك مصرالقديمة وبانى الهرم الأكبر . لهادون الورى : انفردت عن الخلق . عدنان : جد العرب .
(٦) سلسله : عذوبته وصفاؤه . أتون : الأخدود من النار .
(٧) عقيقـا : نـوع من الأحجـار الكـريمة حمـراء اللـون . النقع : الغبـار . مسك دارينـا : طيب من منطقـة بالبحرين ينسب إليها المسك .
(٨) عمرو : هو عمرو بن العـاص داهية العرب وفاتح مصر فى عهد عمـرو بن الخطاب رضى الله عنهما . مينا : ملك من ملوك مصر الفرعونية وهو أول من وحدّ الوجهين البحرى والقبلى لمصر .

سَلْ مِصْـرَ عَنْهُمْ سَلِ التَّـارِيخَ إنَّ بِـهِ   سِـراً مِنَ المَجْـدِ لا يَنْفَـكُّ مَكْنُـونَـا(٩)
سُيُـوفُهُمْ كُنَّ لِلطُّغْيَـانِ مَـاحِقَـةً   وَعَـدْلُهُـمْ كَـانَ لِلـدُّنْيَا مَـوازِينَا(١٠)
وَجَيْشُهُمْ هَـزَّتِ الـدُّنْيـا كَتَـائِبُـهُ   وَحُكْمُهُمْ مَـلأ الآفَـاقَ تَمْـدِينَـا(١١)
إنَّـا بَنِى الأُسْدِ أَمْضَـى مِخْلَبًـا وَيَـدًا   لَدَى الصِّرَاعِ وَأَحْمَى النَّاسِ عِـرْنِينَا(١٢)
إذا دَعَـا الحَقُّ لَبَّتْـهُ جَحَـافِلُنَـا   وَإنْ سَطَـا الجَـوْرُ رَدَّتْـهُ مَـوَاضِينا(١٣)
عِشْنَـا أَعِزَّاءَ مِلءَ الأَرْضِ مَـا لَمَسَتْ   جِبَـاهُنَـا تُـرْبَهَـا إلاَّ مُصَلِّينَـا(١٤)
لا يَنْـزِلُ النَّصْـرُ إلاَّ فَـوْقَ رَايَتِنَـا   وَلا تَمَسُّ الظُّبَـا إلاَّ نَـوَاصِينَـا(١٥)

* * *

أَلَيْسَ مِنْ أُحْجِيَـاتِ الـدَّهْـرِ قُبَّـرَةٌ   رَعْنَـاءُ تَـزْحَمُ فِي الـوَكْرِ الشَّـوَاهِينَا(١٦)
وَتَـائِهٌ مَـا لَـهُ دَارٌ وَلا وَطَـنٌ   يَسْطُـو عَلَـى دَارِنـا قَسْـرًا وَيُقْصِينَـا(١٧)
فَيَـاجِبَـالُ اقْـذِفِى الأَحْجَـارَ مِنْ حُمَمٍ   وَيـا سَمَـاءُ امْطِـرِى مُهْـلاً وَغِسْلِينَـا(١٨)
وَيـا كَـوَاكِبُ آنَ الـرَّجْمُ فَـانْطَلِقِى   مَا أَنْـتِ، إنْ أَنْتِ لَمْ تَرْمِ الشَّيَـاطِينا؟(١٩)
وَيـا بِحَـارُ اجْعَلِى المَـاءَ الأُجَاجَ دَمًـا   إذا عَلَتْ رَايَـةٌ يَـوْمًـا لِصَهْيُـونَـا(٢٠)

---

(٩) لا ينفك : لا يُحل ولا يتفكك . مكنونا : مخزونا .
(١٠) ماحقة : قضت عليها .
(١٢) عرنينا : أنفا وكبرياء .
(١٥) الظبا : الظباء . نواصينا : جهاتنا وأرضنا .
(١٦) قبّرة : نوع من الطيـور صغير . رعناء : حمقاء . الوكـر : العش . الشواهينا . نوع من الطيـور الجارحة وهى الصقور المدربة على الصيد .
(١٧) تائه : ضال وليس له وطن إشارة إلى اليهودى التائه .
(١٨) حمم : نار ملتهبة . مهلاً : نحاسًا مذابًا . غسلينا : ما اغتسل من لحوم أهل النار ودمائهم .
(١٩) الرجم : القتل وأصله الرمى بالحجارة .
(٢٠) الأجاج :المالح . صهيون : أتباع صهيون من اليهود الذين أقاموا إسرائيل .

العَهْـدُ عِنْـدَهُـمُ خُلْفٌ وَمَجْحَـدَةٌ فَمَـا رَأَيْنَـاهُـمُ إلاّ مُـرَائِينَـا(٢١)
مَـا ذَلِكَ السُّمُّ فِي الآبَـارِ ! وَيْلَكُمُ ! وَمَنْ نُحَـارِبُ ؟ جُنْدًا أمْ ثَعَـابِينَـا(٢٢)
مَرْحَى بِـدَوْلَتِهِمْ ! مَـاتَت لِمَـوْلِـدِهـا فَكَـانَ مِيـلادُهـا حُـزْنـا وَتَأْبِينَـا(٢٣)
جَـاءُوا مُهَنِّينَ أرْسَـالاً عَلَى عَجَلٍ فَحِينَمَـا نَطَقُـوا كَـانُـوا مُعَـزِّينَـا(٢٤)
وَآضَ تَصْفِيقُهُمْ نَـوْحًـا وَمَنْـدَبَـةً وَأصْبَحَ البِشْـرُ تَقْطِيبًـا وَتَغْضِينَـا(٢٥)
رِوَايَـةٌ مَـا أقَـامُـوا سَبْكَ حَبْكَتِهَـا وَلا أجَـادُوا لَهَـا لَفْظًـا وَتَلْقِينَـا(٢٦)
قَـدْ حَيَّـرَتْنَـا ، أمَأْسَاةٌ ؟ أمَهْـزَلَـةٌ ؟ فَـالسُّخْفُ يُضْحِكُنا وَالجَهْلُ يُبْكِينَـا(٢٧)
أهْـلاً بِهـا دَوْلَـةً ضَـاقَ الفَضَـاءُ بِهَـا فَتْحًـا وَغَـزْوًا وإعْـزَازًا وَتَمْكِينَـا(٢٨)
بَهـا قَـوَانِينُ مِنْ عَـدْلٍ وَمَـرْحَمَـةٍ قَـدْ نَفَّـذُوا بَعْضَها فِـي «دَيْرِيَـاسِينَـا»(٢٩)
أُسْطُـولُهَـا يَمْـلأُ البَحْرَ المُحِيطَ دَمًا وَجَيْشُهَـا يَمْـلأُ الآطَـامَ تَحْصِينَـا(٣٠)

* * *

نَفْسِي فِـدَاءُ فِلَسْطِينٍ وَمَـا لَقِيتْ وَهَلْ يُنَاجِي الهَـوَى إلاّ فِلَسْطِينَـا؟!(٣١)
نَفْسِي فِـدَاءٌ لأولَى القِبْلَتَيْنِ غَـدَتْ نَهْبًـا يُـزاحِمُ فِيـهِ الـذِّئْبُ تِنِّينَـا(٣٢)
قَلْبُ العُـرُوبَـةِ إنْ تَطْعَنْـهُ زِعْنِفَـةٌ كُنَّـا لَهـا وَلأشْقـاهَـا طَـوَاعِينَـا(٣٣)

---

(٢١) خلف : كذب . مجحدة : نكران. مرائينا : منافقين
(٢٢) كان اليهود يضعون السم فى آبار العرب فى أوائل حربهم فى الأربعينات .
(٢٥) آض : رجع وأصبح .
(٢٦) سبك حبكتها : إعدادها .
(٢٩) دير ياسين : قرية فى فلسطين قام اليهود بذبح نسائها وشيوخها وأطفالها عندما احتلوها فى حربهم الأولى ضد العرب .
(٣٠) الآطام : البيوت المغلقة .
(٣٢) أولى القبلتين : بيت المقدس وبها المسجد الأقصى
(٣٣) زعنفة : جماعة ليس لهم أصل واحد . لأشقاها : الشديد العسر . طواعينا : محاربين ومصيبين لهم .

وَقَلْعَـةُ الشَّـرْقِ إِنْ مُسَّتْ جَـوَانِبُهَـا   خُضْنَـا لَهَـا جُثَثَ الْقَتْلَـى مَجَـانِينَـا(٣٤)
وَأَسْطُــرٌ مِنْ تَــوَارِيخٍ مُخَلَّــدَةٍ   كَانَتْ لِمَجْدِ بَنِـى الْفُصْحَى عَنَاوِينَا(٣٥)
فَقَبِّلُــوا تُــرْبَ « حِطِّيـنٍ » فَإِنَّ بِـهِ   دَمَ الْبُطُــولَـةِ مِـنْ أَيَّـامِ حِطِّينَـا(٣٦)
أَرْضٌ بَـذَلْنَـا بِهَـا الأَرْوَاحَ غَـالِيَـةً   دَاعِينَ لِلَّـهِ فِيهَـا أَوْ مُلَبِّينَـا(٣٧)
وَمَسْجِـدٌ نَـزَلَ الْمُخْتَـارُ سَـاحَتَـهُ   نَمُـوتُ فِيـهِ وَنَحْيَـا مُسْتَمِيتِينَـا(٣٨)
أَنَـرْتَضِـى أَنْ نَـرَى مِيـرَاثَنَـا بَـدَدًا   وَنَكْتَفِى بِـدُمُـوعٍ فِى مَـآقِينَـا ؟ !(٣٩)
مَـا قِيمَـةُ النَّفْسِ إِنْ هَـانَـتْ لِطَـائِفَـةٍ   اللهُ صَـوَّرَ فِيهَـا الـذُّلَّ وَالْهُـونَـا ؟(٤٠)
وَمَـا نَقُــولُ لِأَبْطَـالٍ لَنَـا سَلَفُــوا   إِذَا تَهَـدَّمَ مَـا كَـانُـوا يَشِيـدُونَـا ؟(٤١)
وَمَـا نَقُــولُ لِعَمْــرٍو حِينَ يَسْأَلُنَـا   إِنْ لَمْ نُجِبْ قَبْلَـهُ بِالسَّيْفِ غَـازِينَا ؟(٤٢)
أَتِلْكَ أَنْـدَلُسٌ أُخْـرَى ؟ فَقَـدْ نَبَشَتْ   مِنْ حِقْـدِ سَادَاتِهِمْ مَـا كَانَ مَـدْفُونَـا(٤٣)
سُحْقًا لِسِكِّيـنِ « فِرْدِينَانْـدْ » كَمْ ذَبَحَتْ   وَالْيَوْمَ تَشْحَـذُ أَمْرِيكَـا السَّكَاكِينَـا !!(٤٤)
قَـدْ شَـرَّدُوا الْعُـرْبَ وَاسْتَـاقُـوا حَـرَائِرَهُمْ   فَأَيْنَ فِتْيَـانُنَـا ؟ أَيْـنَ الْمُحَـامُـونَـا ؟(٤٥)
مِنْ كُلِّ عَـادٍ لَـهُ فِى الشَّـرِّ فَلْسَفَـةٌ   أَسْـرَارُهَا عِنْـدَ مُـوشَى وَابْنِ غُـرْيُونَـا(٤٦)

---

(٣٦) حطين : اسم بلـد فى الشام اشتهرت بالمعركة التى انتصر فيهـا القائد صـلاح الدين الأيـوبى على الصليبيين.

(٣٨) مسجد : المسجد الأقصى . المختار : سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

(٤٠) الهونا: الهوان .

(٤٢) عمرو : عمرو بن العاص القائد العربى الشهير .

(٤٣) يشير إلى مأساة انهيار حكم العرب فى الأندلس .

(٤٤) فرديناند : قـائد من قواد الفرنجة استطاع بالخـديعة والدهاء أن يطرد العرب من الأنـدلس خاصة بعد ضعفهم وانقسامهم .

(٤٥) استاقوا : أسروا واستعبدوا . حرائرهم : نساؤهم الأحرار .

(٤٦) عاد : متجن ظالم . موشى وابن غريونا : هو موسى شرتوك وبن غريون من أوائل وزراء دولة إسرائيل .

لاَ يَعْـــرِفُ الـــرُّزْءَ فِـى أَهْلٍ وَلا وَلَـــدٍ وَلاَ يَـرَى غَيْـرَ جَمْعِ المَـالِ قَـانُـونَـا(٤٧)
لألفُ تُصْبِحُ فِى كَفِّـــهِ بيْـنَ رِبَّـــا وَبَيْنَ مَـــا لَسْـتُ أَدْرِيـــهِ مَـلاَيينَـا(٤٨)
إنْ كَـانَ يَحْمِيهُمُ المـالُ الَّـذى جَمَعُـوا فَإِنَّ خَـالِقَ هَـذَا المَـالِ يَحْمِينَـا(٤٩)
قَالُـوا : أَسُودٌ . فَقُلْنَـا : فِى الجُحُورِ نَعَمْ فَإِنْ خَرَجْتُمْ يَعُـدْ كُـوهِينُ كُـوهِينَـا(٥٠)

* * *

بَنِى العُـــرُوبَـةِ هَـذَا اليَـوْمُ يَـــوْمُكُمُ سِيرُوا إِلَى المَـوْتِ إِنَّ المَوْتَ يُحْيِينَا(٥١)
وَخَلِّفُـوا لِلْعُـلا والمَجْـدِ خَـالِـدَةً تَبْقَى حَـدِيثَ اللَّيَـالِى فِـى ذَرَارِينَـا(٥٢)
لَقَـدْ صَـدِئْنَـــا وَدُونَ الغِمْـدِ مُنْفَسَحٌ فَجَـرِّدُوا حَـدَّ مَـاضِينَـــا لآتِينَـا(٥٣)
وَقَـــرِّبُـــوهُمْ قَـــرَابِينَـــا مُحَـــوَّرَةً لِلسَّيْفِ إِنْ يَـرْضَ هَـاتِيكَ القَـرابِينَـا(٥٤)
مَـــاذا إذا مَـا فَقَـــدْنَـا إِرْثَ أُمَّتِنَـــا وَمَـــا الَّـذِى بَعْـدَهُ يَبْقَى بِـأَيْـدِينَـا(٥٥)
ذُودُوا كَمـا يَـدْفَعُ الضِّـرْغَـامُ فِى غَضَبٍ عَنِ العَـــرِينِ أُبَـــاةً شَمَّـــرِيِّينَـــا(٥٦)
لا تَـرْهَبُـوا القَـوْمَ فِى مَـالٍ وَفِى عَـدَدٍ إنَّ الفَقَـاقِيعَ تَطْفُـو ثُمَّ يَمْضِينَـا(٥٧)

* * *

إنْ لَمْ تَصُـــونُـــوا فِلَسْطِينَـا وَجَبْهَتَهَـا ضَـاعَتْ عُـرُوبَتُنَـا وَانفَضَّ نَـادِينَـا(٥٨)
فَـإِنَّ لِلشَّـــرْقِ أَعْــــدَاءً ذَوِى إِحَنٍ اللهُ يَكْفِيــهِ نَجْـــوَاهُمْ وَيَكْفِينَـــا !(٥٩)
لَهُمْ سِهَـــامٌ خَفِيَّـــاتٌ مُسَمَّمَـــةٌ مِنَ السِّيَـاسَـةِ تَـرْمِيـهِ وَتَـرْمِينَـا(٦٠)

---

(٤٧) الرزء : المصيبة .
(٥٢) ذرارينا : ذريتنا أى أبناؤنا .
(٥٤) قربوهم : قدموهم . قرابينا : ما يتقرب به إلى الرفعة والمجد . محورة : ملونة بلون الدم .
(٥٦) الضرغام : الأسد . شمريينا : مختالينا .
(٥٩) إحن : حقد .

كَمْ نَمَّقُوا صُورًا شَتَّى وَكَمْ خَلَقُوا لِلْغَدْرِ وَالفَتْكِ أَشْكَالاً أَفَانِينَا(٦١)

* * *

يَا جَيْشَ مِصْرَ وَلا آلُوكَ تَهْنِئَةً حَقَّقْتَ ظَنَّ اللَّيَالِي والمُنَى فِينَا(٦٢)

وَصَلْتَ آخِرَ عُلْيَانَا بِأَوَّلِهَا فَمَا أواخِرُنَا إلاَّ أوَالِينَا(٦٣)

أعَدْتَهَا وَثْبَةً بَدْرِيَّةً صَرَعَتْ دُهَاةَ جَيْشِ يَهُوذَا والدَّهَاقِينَا(٦٤)

شَجَاعَةٌ مَزَّقَتْ أحْلامَ سَاسَتِهِمْ وَعَلَّمَتْ مُتْرَفِيهِمْ كَيْفَ يَضْحُونَا(٦٥)

تَسِيرُ مِنْ ظَفَرٍ حُلْوٍ إلَى ظَفَرٍ مُبَارَكَ الفَتْحِ وَالرَّايَاتِ مَيْمُونَا(٦٦)

فِيكَ المَلائِكُ أجْنَادٌ مُسَوَّمَةٌ أعْلامُهَا تَتَهَادَى حَوْلَ جِبْرِينَا(٦٧)

وَفِيكَ مِنْ مُهَجَاتِ النِّيلِ نَاشِئَةٌ فِيهَا مَطَامِحُنَا ، فِيهَا أمَانِينَا(٦٨)

يَمْشُونَ لِلمَوْتِ فِي شَوْقٍ وَفِي جَذَلٍ لأنَّهُمْ فِي ظِلالِ اللهِ يَمْشُونَا(٦٩)

إنْ شَكَّ فِي عَزْمَةِ المِصْرِيِّ مُخْتَبِلٌ فَبَيْنَ فِتْيَانِنَا يَلْقَى البَرَاهِينَا(٧٠)

لا يَسْتَطِيعُ خَيَالٌ وَصْفَ جُرْأَتِهِمْ وَيَعْجَزُ الشِّعْرُ تَصْوِيرًا وَتَلْوِينَا(٧١)

هُمْ رَيَاحِينُ مِصْرٍ نَضْرَةً وَشَذًا لا أذْبَلَ اللهُ هَاتِيكَ الرَّيَاحِينَا(٧٢)

صَانَ الإلَهُ لِجَيْشِ الشَّرْقِ عِزَّتَهُ وَصَانَ أبْطَالَهُ الغُرَّ المَيَامِينَا(٧٣)

---

(٦٢) آلوك : أرسل إليك رسالة .

(٦٤) بدرية : نسبة إلى غزوة بدر التى انتصر فيها المسلمون على الكفار . جيش يهوذا : جيش اليهود الصهاينة . الدهاقينا : الزعماء فى الدين .

(٦٧) جبرينا : سيدنا جبريل .

(٧٣) الميامينا : المباركين .

الحُـــب

نظمت هذه القصيدة فى صيف سنة ١٩١٦م .

عَـــاجَ الْخَيَـــالُ فَلَمْ يَبُلَّ أُوَامَـــا وَمَضَى وَخَلَّفَ فِى الضُّلُوعِ ضِرامَـا(١)
مَـالِى ولِلْكَحْـلاءِ ! هِجْتُ عُيُـونَهـا فَمَـلأْنَ قَلْبِى أَنْصُـلاً وَسِهَـامـا(٢)
يَـا قَلْبُ وَيْحَكَ ! مَـا سَمِعْتَ لِنَاصِحٍ لَمَّـا ارْتَمَيْتَ ، وَلا اتَّقَيْتَ مَـلامـا(٣)
لَعِبَتْ بِكَ الْحَسْنَـاءُ ، تَدْنُو سَـاعـةً فَتُثِيـرُ مَـا بِكَ ، ثُمَّ تَهْجُـرُ عَـامـا(٤)
والْحُبُّ مَـا لَمْ تَكْتَنِفْـهُ شَمَـائِلٌ غُـرٌّ يَعُـودُ مَعَـرَّةً وَأَثَـامـا !(٥)
وَالْحُبُّ أَحْـلامُ الشَّبَـابِ هَنِيئَـةً مَـا أَطْيَبَ الأَيَّـامَ وَالأَحْـلامَـا !(٦)
والْحُبُّ نَـازِعَـةُ الْكَـرِيمِ تَهُـزُّهُ فَيَصُـولُ سَيْفًـا أَوْ يَسِيـلُ غَمَـامـا !(٧)
وَالْحُبُّ مَلْهَـاةُ الْحَيَـاةِ وَطِبُّهَـا وَلَقَدْ تَكُـونُ بِـهِ الْحَيَـاةُ سَقَـامَـا !(٨)

---

(١) عاج عوْجًا وَمَعَاجاً : أقام أو وقف . البلل : الندى . بله : نداه . الأوام : حرّ العطش ، والمراد حرارة الشوق . الضرام : اشتعال النار .

(٢) الكحلاء : المرأة يعلو جفون عينيها سواد الكحل من غير اكتحال. هجت : أثرت ونبهت . الأنصل : جمع نصل وهو حديدة الرمح والسهم والسيف ونحوها .

(٣) ويح : كلمة رحمة .

(٥) تكتنفه : تحيط به . شمائل : جمع شمال وهي الطبع والخلق . غر : جمع غراء وهى الشريفة البيضاء . المعرة : الإثم والذنب.الأثام : جزاء الإثم .

(٧) النازعة : الميل .

(٨) الملهاة : اللهو . والطب : علاج الجسم والنفس . السقام : المرض .

وَالْحُبُّ نِيـرَانُ الْمَجُــوسِ ، لَهِيبُهَــا يُحْيِى النُّفُوسَ ، وَيَقْتُلُ الْأَجْسـامـا ! (٩)
وَالْحُبُّ شِعْــرُ النَّفْسِ إِنْ هَتَفَتْ بِــهِ سَكَتَ الْـوُجُودُ وَأَطْرَقَ اسْتِعْظَامـا ! (١٠)
والْحُبُّ مِـنْ سِــرِّ السَّمـــاءِ فَسمِّـــهِ وَحْيًــا إِذَا مــا شِئْـتَ أَوْ إِلْهَـامَــا (١١)
لَـــوْلاَهُ مَـــا أَضْحَى وَلِيـــدُ زَبِيبَــةٍ يَــوْمَ التَّفَــاخُرِ سَيِّـدًا مِقْـدامــا (١٢)
وَلَمَـــا رَمَـى فِى الْجَحْفَلَيْـنِ بِصَــدْرِهِ لاَ يَتَّقِى رُمْحًــا ولا صَمْصَــامـــا (١٣)
الْحُبُّ أَلْبَســهُ الْمُــرُوءَةَ يَــافِعًــا وَأَعَــدَّهُ لِلْمَكْــرُمَــاتِ غُــلامًــا (١٤)

* * *

يَــا شَــدَّ مَـــا فَعَلَ الْغَــرَامُ بِمُهْجَــةٍ ذابَتْ أَسًى وَصَبَــابَــةً وَهُيَامــا ! (١٥)
كَـــانَتْ صَـؤُولاً لا تُنِيـلَ خِطَـامَهَـــا فَغَـدَتْ أَذَلَّ السَّـائِماتِ خِطَـامـا ! (١٦)
سَكَنَتْ إِلَـى حُلْــوِ الْغَـــرَامِ وَمُـــرِّهِ وَرَعَتْ عُهُــودًا لِلْهَــوَى وَذِمَــامــا (١٧)
وَطَـوَتْ أَحَـادِيثَ الْجَـوى فَطَوَتْ بِهـا دَاءً يَــدُكُّ الـرَّاسِيَـــاتِ عُقَــامًــا (١٨)

(٩) المجوس : أمة من الناس يعبد أكثرهم النار . ويلقون بأنفسهم فيها معتقدين أنها إذا أحرقت الأجسام فإنها تطهر النفوس وتحييها .

(١٢) الوليد : المولود والصبى والعبد ، والمراد به هنا عنترة بن شداد العبسى ، أحد فرسان العرب وشعرائها المشهورين بالفخر والحماسة ، وزبيبة أمه . وكانت أمه حبشية سوداء ، سباها أبوه فى إحدى غزواته فأولدها عنترة . وكان من عادات العرب ألا تلحق ابن الأمة بنسبها بل تجعله فى عداد العبيد . ولذلك كان عنترة عند أبيه منبوذًا بين عبدانه . وما زال كذلك حتى أغار بعض العرب على عبس واستاقوا إبلهم ولحقتم بنو عبس وفيهم عنترة ، فقاتل قتالاً شديدًا حتى هزم القوم واستنقذ الإبل ، فحرره أبوه واعترف ببنوته ، ومن ذلك الوقت ظهر اسم عنترة بين فرسان العرب وساداتها .

وقد عشق عنترة فى شبابه بنت عمه « عبلة » وكان ذلك قبل أن يحرره أبوه ويدعيه . فأبى عمه أن يزوجه ابنته وهو عبد . فحفزه ذلك للمعالى يتطلبها والمجد ينشده . وهاج ذلك من شاعريته فاجتمع له الشعر السلس القوى ، والشجاعة النادرة ، والهمة العالية من حسب ونسب وشجاعة ومروءة وغير ذلك .

(١٦) الصؤول : الوثاب النافر من الإبل .شبه نفسه بالجمل الشرود . الخطام : الزمام أى المقود .

(١٧) سكنت : اطمأنت واستأنست : رعت : حفظت وصانت . الذمام : الحق والحرمة .

(١٨) طوت : كتمت وأخفت . الجوى : هوى باطن ، والحزن والحرقة وشدة الوجد . يدك : يهدم . الراسيات : الجبال . داء عقام : لا يبرأ منه .

نَـالَ الضَّنَى مِنْهـا الَّــذِى قَـدْ نَـالَـهُ   فَعَـلاَمَ رَوَّعَهـا الصُّـدُودُ عَـلامـا ؟ (١٩)

* * *

يَـــا زَهْـــرَةً نَمَّ النَّسِيمُ بِعَـــرْفِهَـــا   وَجَـرَى بِهـا مَـاءُ النَّعِيمِ جِمَـامـا (٢٠)

يَـا جنَّـــةً لَــوْ كـانَ يَنْفَعُ عِنْـدَهَـا   نُسُكٌ لَبِثْنَـا سُجَّـدًا وقِيَـامــا (٢١)

يَـا طَلْعَـةَ الـرَّوْضِ النَّضِيـرِ تَحِيَّـةً!   وَمُجَاجَـةَ الْمِسْكِ الذَّكِيِّ سَـلاَمَا ! (٢٢)

---

(١٩) الضنى : المرض المخامر كلما ظن برؤه نكس .

(٢٠) نمّ : أفشى وأظهر . العَرف : الريح الطيبة . الجمام : جمع جميم وهو الكثير من كل شيء .

(٢٢) الطلعة : الوجه . والمجاجة في الأصل الريق ، ويراد به هنا الفتات أو الخلاصة . المسك : طيب معروف ، وهو عند العرب أفضل الطيب . مسك ذكى وذاك : ساطع ريحه .

مَصيف رشيد

أنشد الشاعر هذه القصيدة فى احتفال كبير أقيم ببلد الشاعر « رشيد » بمناسبة افتتاح مصيفها سنة ١٩٣٩م .

أَرَشِيدُ لا جُرْحٌ وَلا إِيلامُ ... عَادَ الزَّمَانُ وَصَحَّتِ الأَحْلامُ ! (١)
وَتَمَثَّلَتْ فِيكِ الحَيَاةُ فَتِيَّةً ... مِنْ بَعْدِ مَا عَبَثَتْ بِكِ الأَيَّامُ (٢)
يَا زِينَةً بَيْنَ الثُّغُورِ وَفِتْنَةً ... سَحَرَ المَمَالِكَ ثَغْرُكِ البَسَّامُ (٣)
يَا وَرْدَةً بَيْنَ الرِّمَالِ نَضِيرَةً ... تُزْهَى بِهَا الأَغْصَانُ والأَكْمَامُ (٤)
يَا دُرَّةَ البَحْرِ الَّتِى بِوَمِيضِهَا ... ضَحِكَ الصَّبَاحُ ، وَأَشْرَقَ الإِظْلامُ (٥)
يَا دَوْحَةً نَبَتَ القَرِيضُ بِأَرْضِهَا ... فَأُصُولُهَا وَفُرُوعُهَا إِلْهَامُ (٦)
يَا رَوْضَةً فَتَنَ العُيُونَ جَمَالُهَا ... وَتَحَدَّثَتْ بِأَرِيجِهَا الأَنْسَامُ (٧)
يَا هَمْسَةَ الأَمَلِ الوَسِيمِ رُوَاؤُهُ ... لَوْ كَانَ لِلأَمَلِ الوَسِيمِ كَلامُ ! (٨)
يَا صَحْوَةَ المَجْدِ القَدِيمِ تَحَدَّثِى ... طَالَ الزَّمَانُ بِنَا وَنَحنُ نِيَامُ ! (٩)

---

(١) إيلام : ألم . صحت : تحققت .

(٢) تمثلت : تشبهت . فتية : شابة . عبثت : لعبت .

(٣) الثغور : الموانى على البحر .

(٤) تزهى : تفتخر .

(٥) درة : جوهرة ثمينة . وميضها : نورها ولمعانها .

(٦) دوحة : الحديقة ذات الشجر العظيم . القريض : الشعر . إلهام : وحى من الله .

(٧) أريجها : رائحتها الطيبة . الأنسام : الهواء الطيب .

(٨) الوسيم : الجميل . رواؤه : بهاؤه .

يَــا طَلْعَــةً لِلْحُسْـنِ شَــاعَ ضِيَــاؤُهَــا وَانْجَـابَ عَنْهَـا البَحْـرُ وَهْـوَ لِثَـامُ ! (١٠)

* * *

أَرَشِيــدُ يَـا بَلَــدِى وَيَـا مَلْهَى الصِّبَــا بَيْنِى وَبَيْنَ مَــدَى الصِّبَــا أَعْــوَامُ ! (١١)
أَيَّــامَ لِى فِـى كُلِّ سَــرْحٍ نَغْمَــةٌ وَبِكُـلِّ رُكْنٍ وَقْفَـــةٌ وَلِمَــــامُ (١٢)
أَيَّـــامَ لاَ أَمْسِى يَجُـــرُّ وَرَاءَهُ أَسَفًــا ، وَلا يَــوْمِى عَلَىَّ جَهَــامُ (١٣)
أَلْهُـو كَمَــا تَلْهُـو الطُّيُــورُ ، حَدِيثُهَــا شَــدْوٌ ، وَرَفُّ جَنَــاحِهَــا أَنْغَــامُ (١٤)
مُتَنَقِّــلاتٍ بَيْنَ أَزْهَــارِ الــرُّبَــا اَلجَـــوُّ مَتْنٌ ، والنَّسِيمُ زِمَــــامُ (١٥)
وَمَطَــالِبِى لَمْ تَعْــدُ مَــدَّةَ سَــاعِــدِى بُعْــدًا ، فَمَـا اسْتَعْصَى عَلَىَّ مَــرَامُ (١٦)
لَهْـــوُ الطُّفُــولَـــةِ خَيْــرُ أَيَّــامِ الفَتَى إِنَّ الحَيَـــاةَ وَكَــدْحَهَــا أَوْهَــامُ (١٧)

* * *

أَرَشِيــدُ ، فِيكِ لُبَــانَتِى وَصَبَــابَتِى وَالصِّهْـــرُ وَالأَخْـــوَالُ وَالأَعْمَــامُ (١٨)
لَمَسَتْ حُنُـــوَّ الحُبِّ فِيكِ تَمَــائِمِى وَرَأَيْتُ فِيكِ الــدَّهْــرَ وَهْـوَ غُـلامُ (١٩)
وَنَشَأْتُ فِى ظِـلِّ النَّخِيلِ يَهُـــزُّنِى شَــوْقٌ إِلَى أَفْيَــائِهَــا وَغَــرامُ (٢٠)
أَرْخَتْ شُعُـــورًا لِلنَّسِيمِ كَأَنَّمَـــا أَظْــلالُهَــا تَحْتَ الغَمَــامِ غَمَــامُ (٢١)

(١٠) انجاب : انكشف . لثام : ستر ونقاب .
(١١) مدى : غاية .
(١٢) سرح : فناء الدار . نغمة : لحن وكلام منغم . لمام : اجتماع .
(١٣) جهام : السحاب لا مطر فيه والمراد باليوم الجهام : اليوم لا خير فيه ولا سرور .
(١٤) رف جناحها : تحريك جناحها يشبه الألحان الجميلة .
(١٥) متن : مطية . زمام : مقود .
(١٨) لبانتى : حاجتى . صبابتى : رقة شوقى وحرارته .
(١٩) تمائمى : تعاويذى .
(٢٠) أفياؤها : ظلها .
(٢١) شعورًا : يقصد سعفها الذى يشبه الشعر مسدلا من رأس النخلة . أظلالها : ظلها . الغمام : سحاب .

تَهْفُـــو وَيَمْنَعُهَـــا الحَيَـــاءُ فَتَنْثَنِي كَـالْغِيـــدِ رَوَّعَ سِـرْبَهَـا اللُّــوَّامُ (٢٢)
إِنَّـــا كَبِــرْنَـــا يَـــا نَخِيلُ وَحُبُّنَـــا بَيْنَ الجَـــوَانِحِ شُعْلَـــةٌ وَضِـــرامُ (٢٣)
كَمْ طَـوَّقَتْ مِنْكِ القُـــدُودَ سَوَاعِـدِي وَلَكَمْ شَفَـانِي مِنْ جَنَـاكِ طَعَـامُ (٢٤)
وَلَكَمْ هَـــزَزْتِ فَتَـاكِ حِينَ حَمَلْتِـــهِ كَـالأُمُّ تُلْهِـي الطِّفْلَ حِيـنَ يَنَـامُ (٢٥)
إِنْ يُقْصِنِي عَنْـكِ الـــزَّمَـــانُ وَأَهْلُـــهُ فَـالْحُبُّ عَهْــدٌ بَيْنَنَـا وَذِمَـامُ (٢٦)
مِيسِي كَـأَيَّـــامِ الطُّفُـــولَـــةِ وَارْفُلِي فَـالجَـوُّ صَفْـوٌ ، وَالنَّعِيمُ جِمَـامُ (٢٧)
غَنَّى لَكِ القَلَـمُ الَّـــذِي أَرْهَفْتِـــهِ أَرَأَيْتِ كَيْفَ تُغَــرِّدُ الأَقْـــلامُ ؟ (٢٨)
هَـــذَا وَلِيـــدُكِ جَـاءَ يُنْشِـــدُ شِعْـرَهُ مَـا كُلُّ مَـا تَحْوِي الخُيُوطُ نِظَامُ (٢٩)
أَصْغَى لَـهُ الـوَادِي ، وَغَنَّتْ بِـاسْمِـهِ بَغْـدَادُ ،وَاهْتَـــزَّتْ إِلَيْـهِ الشَّـــامُ (٣٠)
إِنْ قَـالَ مَـالَ لَـهُ الـوُجُـودُ بِـرَأْسِـهِ وَرَنَتْ لَـــهُ الأَسْمَـــاعُ وَالأَفْهَـــامُ (٣١)
مَلَكَ العَصِيَّ مِـنَ القَــرِيضِ بِسِحْـــرِهِ طَوْعًـا ، فَمَا اسْتَعْصَى عَلَيْـهِ خِطَامُ (٣٢)

* * *

أَرَشِيـدُ ، هَلْ فِي أَنْ يَبُـوحَ أَخُـو الهَـوَى حَــرَجٌ ، وَهَلْ فِي أَنْ يَحِنَّ مَـلامُ ؟ (٣٣)

---

(٢٢) روّع : أخيف . سربها : جماعتها . اللّوام : اللّائمون .
(٢٣) الجوانح : الأضلاع . ضرام : نار
(٢٤) طوّقت : أحاطت . جناك : حصادك .
(٢٦) يقصنى : يبعدنى . ذمام : حرمة – توثيق .
(٢٧) ميسى : تبخترى . ارفلى : انعمى . جمام : كثير .
(٢٩) نظام : نظم الشعر .
(٣٠) الوادى : وادى النيل أى مصر والسودان .
(٣١) رنت : نظرت .
(٣٢) العصى : الشارد من الألفاظ . القريض : الشعر . خطام : زمام .
(٣٣) أخو الهوى : المحب لك يقصد نفسه .

يَـا مَـرْتَعَ الآرامِ رَنَّحَهـا الصِّبَـا ... كَيْفَ المَـرَاتِعُ فِيكِ وَالآرَامُ ؟ (٣٤)
مِنْ كُلِّ لَفَّـاءِ المَعَـاطِفِ طَفْلَـةٍ ... جِيـدٌ كَمَا يَهْـوَى الهَـوَى وَقَـوَامُ (٣٥)
سَتَـرَتْ مَـلاَحَتَهَـا المُـلاَءَةُ مِثْلَمَـا ... سَتَـرَ الغَمَـامُ البَـدْرَ وَهْـوَ تَمَـامُ (٣٦)
يَـدْنُو الجَمَـالُ بِهَا فَيَحْجِبُهَـا التُّقَى ... « كَظِبَاءِ مَكَّـةَ صَيْـدُهُـنَّ حَرَامُ » (٣٧)
فَإِذَا نَظَـرْتَ فَخُـذْ لِنَفْسِكَ حِـذْرَهَـا ... إِنَّ العُيُـونَ – كَمَا عَلِمْتَ – سِهَامُ (٣٨)

* * *

أَرَشِيـدُ ، مَجْدُكِ فِي القَـدِيمِ صَحِيفَـةٌ ... بَيْضَـاءُ ، لاَ لَبْسٌ وَلا إِبْهَـامُ (٣٩)
مَـلأَتْ مَـآذِنُكِ السَّمَـاءَ شَـوَامِخًـا ... بَيْنَ السَّحَـابِ كَـأَنَّهَـا أَعْـلامُ (٤٠)
كَمْ شَـاهَـدَتْ قَـوْمًـا زَهَتْ أَيَّـامُهُمْ ... حِينًـا ، وَجَـاءَتْ بَعْـدَهُمْ أَقْـوَامُ (٤١)
سُبْحَـانَ مَنْ لا مَجْـدَ إِلاَّ مَجْـدُهُ ... نَفْنَى وَيَبْقَـى الـوَاحِـدُ العَـلاَّمُ (٤٢)
خُـذْ مِنْ زَمَـانِكَ مَـا اسْتَطَعْتَ فَمَـالِمَا ... أَخَـذَتْ يَـدَاكَ مِنَ الـزَّمَـانِ دَوَامُ (٤٣)
وَارْضَ الحَيَـاةَ نَعِيمَهَـا أَوْ بُـؤْسَهَـا ... نُعْمَى الْحَيَـاةِ وَبُـؤْسُهَـا أَقْسَـامُ (٤٤)

* * *

أَرَشِيـدُ ، لَمْ نَسْمَعْ لِصَـدْرِكِ أَنَّـةً ... لِلنَّـازِلاتِ الـدُّهْـمِ وَهْيَ جِسَـامُ (٤٥)

---

(٣٤) مرتع : موضع اللهو واللعب . الآرام : الظباء . رنحها : ميّلها .
(٣٥) لفّاء : لابسة. المعاطف: جمع معطف وهو ما يلبس فوق الملابس . طَفْلَة : رخصة ناعمة .
(٣٦) سترت : أخفت .
(٣٩) لبس : شك . إبهام : غموض .
(٤٢) العلاّم: كثير العلم منذ الأزل وعلم الله سبحانه وتعالى صفة أزلية .
(٤٣) دوام : بقاء .
(٤٤) أرض : اقنع . أقسام : حظوظ مقدرة .
(٤٥) أنة : أنين وألم . النازلات : الكوارث الدهم ، السود المظلمة . جسام : كبيرة وشديدة .

أجْمَلْتِ صَبْــرًا لِلْحَــوَادِثِ فَــانْثَنَتْ | إنَّ الكِــرَامَ عَلَى الخُطُــوبِ كِــرَامُ (٤٦)
الْيَــوْمَ جَــدَّدْتِ الشَّبَــابَ فَأَقْــدِمِى | مَعْنَى الشَّبَــابِ العَــزْمُ والإقْــدَامُ (٤٧)
سَعَتِ الــوُفُــودُ إلَى مَصِيفِـكِ سُبَّقًــا | يَتْلُــو الــزِّحَــامَ إلَى سَنَــاهُ زِحَــامُ (٤٨)
النِّيلُ والبَحْــرُ الْخِضَمُّ يَحُــوطُــهُ | والبَاسِقَــاتُ عَلَى الطَّرِيقِ قِيَامُ (٤٩)
وَالتُّــوتُ والصَّفْصَــافُ يَهْتِفُ طَيْــرُهُ | فَتُــرَدِّدُ الكُثْبَــانُ وَالآكَــامُ (٥٠)
وَالــزَّهْــرُ فِى جِيــدِ الــرِّيَــاضِ قَــلائِدٌ | والنَّهْــرُ فِى خَصْــرِ الــرِّيَــاضِ حِزَامُ (٥١)
وَالمَــوْجُ كَــالخَيْلِ الجَــوَامِحِ أُطْلِقَتْ | وَانْحَلَّ عَنْهَــا مِقْــوَدٌ وَلِجَــامُ (٥٢)
تَجْــرِى السَّفَــائِنُ فَــوْقَــهُ وَكَأَنَّهَــا | وَالــرِّيحُ تَدْفَعُ بِــالشِّرَاعِ حَمَــامُ (٥٣)
وَمَنَــاظِــرٌ يَعْيَــا القَــرِيضُ بِــوَصْفِهَــا | وَيَضِلُّ فِى أَلْــوَانِهَــا الــرَّسَّــامُ (٥٤)
وَالنَّــاسُ بَيْنَ مُمَــازِحٍ وَمُــدَاعِبٍ | وَالأُنْسُ حَتْمٌ وَالسُّــرُورُ لِــزَامُ (٥٥)
مَنْ شَــاءَ فِى ظِلِّ السَّعَــادَةِ ضَجْعَــةً | فَهُنَــا تُشَــادُ صُــرُوحُهَــا وَتُقَــامُ (٥٦)
أَوْ رَامَ نِسْيَــانَ الهُمُــومِ فَهَــا هُنَــا | تُنْسَى الهُمُــومُ ، وَتَــذْهَبُ الآلاَمُ (٥٧)

---

(٤٦) أجملت : أحسنت – تصبرت . انثنت : ذهبت وطويت .
(٤٨) سناه : نوره .
(٤٩) الخضم : ذو الأمواج المرتفعة الكبيرة . الباسقات : العاليات يقصد النخل العالى .
(٥٠) التوت والصفصاف : أنواع من الشجر الكبير العالى . الآكام : التلال المرتفعة .
(٥١) خصر : الوسط .
(٥٢) الجوامح : الشاردة . مقود : الذى تقاد به الدابة . لجام : ما يوضع فى فم الفرس لقيادته .
(٥٣) السفائن : السفن .
(٥٤) يعيا : يعجز . يضل : يتوه.
(٥٦) تشاد : تبنى صروحها : مبانيها العالية .
(٥٧) رام : ابتغى وأراد .

الشَّـــريد

نشرت فى صيف سنة ١٩٣٨م .

أَطَلَّتِ الآلامُ مِـنْ جُحْـرِهِ ... وَلُفَّتِ الأَسْقَـامُ فِـى طِمْـرِهِ (١)
بُـرْدَتُـهُ اللَّيْلُ ،عَلَى بَـرْدِه ... وَكِنُّـهُ القَيْظُ ، عَلَى حَـرِّه (٢)
مُشَـرَّدٌ يَـأْوِى إِلَـى هَمِّـهِ ... إِذَا أَوَى الطَّيْـرُ إِلَى وَكْـرِهِ ! (٣)
مَـا ذَاقَ حُلْـوَ اللَّثْمِ فِى خَـدِّهِ ... وَلا حَنَـانَ المَسِّ فِى شَعْـرِهِ (٤)
وَلاَ حَـوَتْـهُ الأُمُّ فِى صَـدْرِهـا ... وَلا أَبٌ نَـاغَـاهُ فِى حِجْـرِهِ (٥)
قَـدْ صَبَـرَ النَّفْسَ عَلَى مَـا بِهَـا ... وَانْتَظَـرَ المَـوْعُـودَ مِنْ صَبْـرِهِ (٦)

* * *

البَطْنُ مَهْضُـومٌ ، طَـوَاهُ الطَّـوَى ... وَنَـامَ أَهْلُ الأَرْضِ عَنْ نَشْـرِهِ (٧)
وَالـوَجْـهُ لِلْيَـأْسِ بِـهِ نَظْـرَةٌ ... يَقْـذِفُهَـا الحِقْـدُ عَلَى دَهْـرِهِ (٨)
جَـرَّحَـهُ الـدَّهْـرُ ، فَمِنْ نَـابِـهِ ... تِلْكَ الأَخَـادِيـدُ ، وَمِنْ ظُفْـرِهِ (٩)

---

(١) أطلت : أشرقت . الطمر : الثوب البالى .

(٢) البردة : كساء صغير مربع . الكن : الستزة .

(٣) مشرد : مطرود منفر . أوى : أقام وسكن .

(٧) مهضوم : ضامر . الطوى : الجوع . نشره : إحيائه .

(٩) الأخاديد جمع أخدود : وهو الحفرة فى الأرض ، والمراد بها الغضون والتجاعيد التى يطبعها البؤس على وجهه .

قَـــدْ كَتَبَ اللهُ عَلَى خَــــدِّهِ خَطًّــا يَبِينُ البُـؤْسُ فِي سَطْــرِهِ (١٠)
وَغَـــارَ ضَـــوْءُ الحِسِّ مِنْ عَيْنِـــهِ وَفَـــرَّ لَمْحُ الأُنْسِ مِـنْ ثَغْـــرِهِ (١١)
وَالبِشْــرُ ، أَيْنَ البِشْــرُ ؟ وَيْحِي لَــهُ ! يَـــا رَحْمَـــةَ اللهِ عَلَى بِشْـــرِهِ (١٢)
يَجُـــرُّ رِجْلَيْـــهِ بَطِيءَ الْخُطَـــا كَـالجُعَلِ المَكْـدُودِ مِنْ جَـرِّهِ (١٣)
إِنْ نَـــامَ أَبْصَـــرْتَ بِـــهِ كُتْلَـــةً تَجْمَعُ سَـــاقَيْـــهِ إِلَى نَحْـــرِهِ (١٤)
إِخْتَبَسَتْ « أَوَّاهُ » فِـى قَلْبِـــــــهِ واخْتَنَقَتْ « وَيْـلاهُ » فِي صَـدْرِهِ (١٥)
وَجَفَّ مَـــاءُ العَيْنِ فِـى مُـــوقِهَـــا مَـــاذَا أَفَـــادَ العَيْنَ مِنْ هَمْـــرِهِ ؟ (١٦)
سَـــالَتْ بِـــهِ نَهْـــرًا عَلَى لُقْمَـــةٍ فَعَـــادَ كَـــالسَّـــائِلِ فِي نَهْـــرِهِ ! (١٧)
لا يَجِـــدُ المَأْوَى ، وَلَـــوْ رَامَـــهُ أَحَـــالَـــهُ الـــدَّهْـرُ عَلَى قَبْـرِهِ (١٨)
هُنَـــاكَ يَثْـــوِى هَـــادِئًا آمِنًـــا مِنْ شَظَـفِ العَيْشِ وَمِـنْ وَعْـــرِهِ (١٩)
فَكَمْ بِصَـــدْرِ القَبْـــرِ مِنْ ضَجْعَـــةٍ أَحْنَى مِنَ الـــدَّهْـرِ وَمِنْ نُكْـرِهِ ! (٢٠)

* * *

مَتْعَبَـــةُ الإِنْسَـــانِ فِـى حِسِّـــهِ وَشِقْـــوَةُ الإِنْسَـــانِ مِنْ فِكْـــرِهِ (٢١)
كَيْفَ يُـــرَجَّى الصَّفْـــوُ مِنْ كَـــائِنٍ الْحَمَـأُ المَسْنُـــــــونُ فِـى ذَرِّهِ ؟ (٢٢)

---

(١٣) الجعل : دويبة معروفة . المكدود : المتعب .
(١٤) النحر : أعلى الصدر .
(١٥) أواه : يقصد بها الشكوى . ويلاه : يقصد بها الألم .
(١٦) الموق : جانب العين مما يلي الأنف . همر الدمع : انصبابه .
(١٩) يثوى : يقيم . وعره : صعبه .
(٢٠) أحنى : أعطف . النكر : القبح والشناعة .
(٢٢) الحمأ : الطين الأسود . المسنون : المتغير المنتن . ذره : الذر أصغر النمل ، ويراد به أصل الإنسان وجرثومته .

لَمْ يَسْمُ لِلأَمْلاَكِ فِي أَوْجِهَا ... وَلاَ هَوَى لِلْوَحْشِ فِي قَفْرِهِ (٢٣)
رَامَ اللُّبَابَ المَحْضَ مِنْ سَعْيِهِ ... فَلَمْ يَنَلْ مِنْهُ سِوَى قِشْرِهِ (٢٤)
يَسْعَى ، وَمَا يَدْرِي إِلَى نَفْعِهِ ... سَعَى حَثِيثًا ، أَمْ إِلَى ضَرِّهِ (٢٥)
آمَنْتُ بِاللهِ ! فَكَمْ عَالِمٍ ... أَعْجَزَهُ المَحْجُوبُ مِنْ سِرِّهِ (٢٦)

* * *

اللهَ فِي طِفْلٍ غَزَاهُ الضَّنَى ... بِأَدْهَمِ الخَطْبِ وَمُغْبَرِّهِ (٢٧)
فِي ظُلُمَاتٍ ، مَوْجُهَا زَاخِرٌ ... كَأَنَّهُ ذُو النُّونِ فِي بَحْرِهِ (٢٨)
وَالنَّاسُ بِالشَّاطِئِ ، مِنْ غَافِلٍ ... أَوْ سَاخِرٍ ، أَمْعَنَ فِي سُخْرِهِ (٢٩)
وَالمَوْجُ كَالذُّؤْبَانِ حَوْلَ الفَتَى ... يَسُدُّ أُذْنَ الأُفْقِ مِنْ زَأْرِهِ (٣٠)
نَادَى ، وَمَا نَادَى سِوَى مَرَّةٍ ... حَتَّى طَوَاهُ اليَمُّ فِي غَمْرِهِ (٣١)
تَظُنُّهُ طِفْلاً ، فَإِنْ حَقَّقَتْ ... عَيْنَاكَ ، لَمْ تَعْثُرْ عَلَى عُشْرِهِ (٣٢)
كَأَنَّهُ الشَّكُّ إِذَا مَا مَشَى ... أَوْ مَا يَرَى النَّائِمُ فِي ذُعْرِهِ (٣٣)
طَغَى بِهِ الجُوعُ ، فَفِي دَمْعِهِ ... مَا فَعَلَ الجُوعُ ، وَفِي نَبْرِهِ (٣٤)

* * *

---

(٢٣) الأوج : ضد الهبوط . هوى : سقط .
(٢٤) اللباب : قلب الشيء . المحض : الخالص .
(٢٥) حثيثًا : مسرعًا .
(٢٧) أدهم : أسود . أدهم الخطب : أشد المصائب وأفدحها .
(٢٨) موج زاخر : ممتد مرتفع . ذو النون : سيدنا يونس وقد ابتلعه الحوت فى البحر ، فنجاه الله من الغم وأخرجه .
(٣٠) الذؤبان : جمع ذئب . الزأر : صوت الأسد ، ويقصد به هدير الأمواج .

وَاهًــــا لِكَفٍّ لَصِقَتْ بِـــالثَّـــرَى وَائْتَــدَمَتْ بِـــالبُــؤْسِ مِنْ عَفْــرِهِ (٣٥)
مَـــاذَا عَلَى الإِحْسَـــانِ لَـــوْ رَدَّهَـــا نَـــدِيَّـــةَ الأَطْـــرَافِ مِنْ بِـــرِّهِ ؟ (٣٦)
مَـــاذَا عَلَى الإِحْسَـــانِ لَـــوْ رَدَّهَـــا رَطِيبَـــةَ الأَلْسُنِ مِـنْ شُكْــــرِهِ ؟ (٣٧)
كَـمْ بَسْمَـــــةٍ أَرْسَلَهَـــــا مُحْسِنٌ أَزْهَى مِـنَ الـــرَّوْضِ وَمِنْ زَهْـــرِهِ ! (٣٨)
وَلُقْمَـــةٍ سَـــدَّتْ فَمًـــا جَـــائِعًـــا رَجَّحَتِ المِيـــزَانَ فِـى حَشْـــرِهِ ! (٣٩)
وَمِنَّـــةٍ كَـــانَتْ جَنَـــاحًـــا لَـــهُ طَـــارَ بِـــهِ الـــذَّائِعُ مِنْ ذِكْـــرِهِ (٤٠)
وَدَمْعَـــــةٍ يَـــذْرِفُهَـــا مُشْفِقًـــا أَصْفَى مِـنَ المَـــذْخُـورِ مِنْ دُرِّهِ (٤١)
لاَ تُـــزْهِـــرُ الجَنَّـــةُ إِلاَّ بِمَـــا يَسْفَحُـــــهُ البَـــاكِـي عَلَى وِزْرِهِ (٤٢)
لَـــوْ عَـــرَفَ الإِنْسَـــانُ مَـــا أَجْـــرُهُ مَـــا ضَنَّ بِـــالنَّفْسِ عَلَى أَجْـــرِهِ (٤٣)
يَبْقَى قَلِيلُ المَـــالِ مِـنْ بَعْـــدِهِ وَيَـــذْهَبُ المَـــالُ عَلَى كُثْـــرِهِ (٤٤)
بِيضُ أَيَـــادِي المَـــرْءِ فِـى قَـــوْمِـــهِ أَغْلَـى مِنَ البِيضِ وَمَنْ صُفْــــرِهِ (٤٥)
وَالحُـــــرُّ ، لاَ يَنْعَـمُ فِـى وَفْـــــرِهِ حَتَّى يَنَـــالَ النَّـــاسُ مِنْ وَفْـــرِهِ (٤٦)
وَالمَـــــرْءُ ، لاَ يُعْــــرَفُ مِقْـــدَارُهُ أَوْ تُنْبِيءُ الأَحْـــدَاثُ عَنْ قَـــدْرِهِ (٤٧)
وَالنَّـــاسُ كَـــالْمَـــاءِ ، فَمِـنْ ضَحْضَحٍ وَمَنْ عَمِيقٍ ، حِـــرْتُ فِـى سَبْـــرِهِ (٤٨)
لَيْسَ الَّـــــذِى يُنْفِـقُ مِنْ يُسْـــــرِهِ مِثْلَ الَّـــذِى يُنْفِقُ مِـنْ عُسْـــرِهِ (٤٩)

---

(٣٥) واها : اسم فعل للتعجب ، ويراد به هنا التفجع . الثرى : التراب الندى. ائتدم : أساغ الخبز بالإدام . العفر : التراب .

(٣٦) ندية الأطراف : غضة بضة بالإحسان .

(٣٧) رطيبة الألسن : تلهج بالثناء .

(٤١) المذخور : المدخر المعد لوقت الحاجة .

(٤٥) بيض الأيادى : النعم المشهورة . البيض : الدراهم . الصفر: الدنانير .

(٤٦) وفره « فى الشطر الأول » : المال الكثير . وفره « فى الشطر الثانى » : مازاد عن حاجته .

(٤٨) الضحضح : الماء القليل . السبر : الاختبار .

كَمْ دِرْهَمٍ أُلْقِىَ فِى سِجْنِـــهِ وَلَمْ يَنَلْ عَفْـوًا مَـدَى عُمْـرِهِ ! (٥٠)
لَمْ يَـرَ حُسْنَ الصُّبْحِ فِى شَمْسِـهِ وَلاَ جَمَـالَ اللَّيْلِ فِى بَـدْرِهِ (٥١)
يَطْمَعُ وَخْـزُ الجُـوعِ فِى وَصْلِـهِ وَيُـرْسِلُ الـزَّفْـرَاتِ مِنْ هَجْـرِهِ (٥٢)
والمَـالُ كَـالخَمْـرِ ، إِذَا مَـا طَغَى ضَـاقَتْ فِجَاجُ الأَرْضِ عَنْ شَـرِّهِ (٥٣)
مَتَى يَهُبُّ العَقْلُ مِنْ نَـوْمِـهِ ؟ أَوْ يَسْتَفِيقُ المَـالُ مِنْ سُكْـرِهِ ؟ (٥٤)
مَتَى أَرَى النَّفْسَ ، وَقَـدْ أُطْلِقَتْ مِنْ رِبْقَـةِ المَـالِ وَمِنْ أَسْـرِهِ؟ (٥٥)
مَتَى أَرَى الْحُبَّ كَضَـوْءِ الضُّحَى كُلُّ امْـرِىءٍ يَسْبَحُ فِى طُهْـرِهِ (٥٦)
مَتَى أرَى النَّـاسَ ، وَقَـدْ نُـزِّهُـوا عَنْ شَـرَهِ الـذِّئْبِ وَعَنْ غَـدْرِهِ ؟ (٥٧)
أُخُـوَّةُ الغُصْنِ إِلَى صِنْـوِهِ وَبَسْمَـةُ الـزَّهْـرِ إِلَى قَطْـرِهِ (٥٨)
وَرَحْمَـةٌ رَفَّـافَـةٌ لَمْ تَـدَعْ قَلْبًـا يُـوارِى النَّـارَ فِى صَخْـرِهِ (٥٩)
لا يُحْسَـدُ الجَـاهُ عَلَى مَـالِـهِ أَوْ يُنْهَـرُ البُـؤْسُ عَلَى فَقْـرِهِ (٦٠)

* * *

كَمْ شَـارِدٍ فِى مِصْـرَ ، يَـا كُثْـرَهُ مِنْ عَـدَدٍ ، يَسْخَـرُ مِنْ حَصْـرِهِ ! (٦١)
ذَخِيـرَةُ الأُمَّـةِ أَبْنَـاؤهَـا مَـاذَا أَفَـادَ النِّيلُ مِنْ ذُخْـرِهِ ؟ (٦٢)
مَـاذَا أَفَـادَ النِّيلُ مِنْ سَـاعِـدٍ أَسْـرَعَ مِنْ ضِغْثٍ إِلَى كَسْـرِهِ ؟ (٦٣)

---

(٥٠) السجن هنا المكان الذى يدخر فيه البخيل ماله .
(٥٢) الوخز : الطعن بالرمح ونحوه .
(٥٣) فجاج الأرض : طرقاتها الواسعة .
(٥٥) الربقة : العروة فى الربق وهو الحبل يشد به .
(٥٨) الصنو : الواحدة من النخلتين فى أصل واحد .
(٥٩) رفافة : هفّافة شاملة ، ويقال : رف الطائر بسط جناحيه .
(٦٣) الضغث : الحشيش الرطب واليابس .

وَأَرْجُـــلِ أَوْهَنَ مِـــنْ هَمْسَـــةٍ وَمِنْ نَسِيمِ الصُّبْحِ فِى مَـــرِّهِ ؟ (٦٤)
وَمِنْ فَتَـــاةٍ ، فَجْـــرُهَـــا لَيْلُهَـــا وَمِنْ غُـــلامٍ ، ضَلَّ فِى فَجْـــرِهِ ؟ (٦٥)
أَلْقَتْـــهُ مِصْـــرٌ هَمَـــلاً ضَـــائِعًـــا فَصَـــالَ يَبْغِـى الثَّـــارَ مِنْ مِصْـــرِهِ (٦٦)
غَـــاصَ مِـنَ الآثَـــامِ فِى آسِنٍ يَكْـــرَعُ مِلْءَ الفَـمِ مِنْ مُـــرِّهِ (٦٧)
أَسْـــرَى مِنَ اللَّيْـلِ ، وَأَمْضَى يَـــدًا مِـنْ عَبَثِ اللَّيْـلِ ، وَمِنْ مَكْـــرِهِ (٦٨)
كَمْ ضَـــاقَ مِـنْ شِقْـــوَتِـــهِ عَصْـــرُهُ وَضَـــاقَ بِـالسُّخْطِ عَلَى عَصْـرِهِ ! (٦٩)
شَجًـــا بِحَلْقِ الـــوَطَنِ الْمُفْتَـــدَى وَشَـــوْكَـــةٌ كَـالنَّصْلِ فِـى ظَهْـرِهِ (٧٠)
مَـــدْرَسَـةُ النَّشْـــلِ وَسَـــلِّ المُـــدَى أَسَّسَهَـــا الشَّيْطَـــانُ فِى جُحْـــرِهِ (٧١)
إِذا هَـــوَى الْخُلُقُ ، وَضَـــاعَ الحِجَـــا فَكُلُّ شَـىْءٍ ضَـــاعَ فِـى إِثْـــرِهِ ! (٧٢)
مَـــنْ يُصْلِحِ الأُسْـــرَةَ يُصْلِـحْ بِهَـــا مَـــا دَمَّـــرَ الإِفْسَـــادُ فِى قُطْـــرِهِ (٧٣)

* * *

جِنَـــايَـــةُ الـــوَالِـــدِ نَبْـــذُ ابْنِـــهِ فِى عُسْـــرِهِ ، إِنْ كَـــانَ ، أَوْ يُسْـرِهِ (٧٤)
لاَ تَتْـــرُكُ الـــذِّئْبَـــةُ أَجْـراءَهَـــا وَلا يَغِيبُ الكَلْـبُ عَنْ وَجْـــرِهِ ! (٧٥)
اَلبَيْـتُ صَحْـــراءُ إِذَا لَـمْ تَجِـــدْ طُفُـــولَـــةٌ تَمْـــرَحُ فِـى كِسْـــرِهِ (٧٦)

---

(٦٦) هملا : متروكًا سدى بغير راع .
(٦٧) آسن : ماء آجن فاسد . يكرع : يشرب الماء بفمه من موضعه من غير أن يتناوله بكفيه أو بإناء .
(٦٨) أسرى من الليل : أمضى والسرى : السير بالليل .
(٦٩) شقوته : شقاؤه .
(٧٠) الشجا : ما اعترض فى الحلق من عظم ونحوه . النصل : حديدة السهم والرمح والسيف .
(٧٢) هوى : سقط . الحجا : العقل . إثره : بعده .
(٧٥) الأجراء : جمع جرو ، وهو صغير كل شىء ، وولد الكلب والأسد والذئبة . الوجر : الكهف فى الجبل وجحر الضبع .
(٧٦) كسره : جانبه .

فَعَاقِبُوا الآبَاءَ إِنْ قَصَّرُوا ... لا بُدَّ لِلسَّادِرِ مِنْ زَجْرِهِ (٧٧)
وَأَنْقِذُوا الطِّفْلَ ، فَمَا ذَنْبُهُ ... إِنْ جَمَحَ الوَالِدُ فِى خُسْرِهِ ؟ (٧٨)
رَبُّوهُ ، يَنْمُو ثَمَرًا طَيِّبًا ... لاَ يَيْأَسُ الزَّارِعُ مِنْ بَذْرِهِ (٧٩)
وَعَلِّمُوهُ عَمَلاً صَالِحًا ... يَشُدُّ - إِنْ كَافَحَ - مِنْ أَزْرِهِ (٨٠)
رَبُّوهُ فِى الرِّيفِ ، لَعَلَّ القُرَى ... تُصْلِحُ مَا أَعْضَلَ مِنْ أَمْرِهِ (٨١)
النَّفْسُ مِرْآةٌ ، وَغُصْنُ النَّقَا ... يَطِيبُ أَوْ يَخْبُثُ مِنْ جِذْرِهِ (٨٢)
لَعَلَّ هَمْسَ الغُصْنِ فِى أُذْنِهِ ... يُنْسِيهِ مَا أَضْمَرَ مِنْ ثَأْرِهِ ! (٨٣)
لَعَلَّ أَنْفَاسَ نَسِيمِ الرُّبَا ... فِى صَدْرِهِ ، تُبْرِدُ مِنْ جَمْرِهِ ! (٨٤)
النِّيلُ يَسْتَنْجِدُ مُسْتَنْصِرًا ... فَأَسْرِعُوا الخَطْوَ إِلَى نَصْرِهِ (٨٥)
لا يَذْهَبُ المَعْرُوفُ فِى لُجَّةٍ ... وَلا يَكُفُّ المِسْكُ عَنْ نَشْرِهِ (٨٦)

---

(٧٧) السادر : الذى لا يبالى ما يصنع . الزجر : المنع .

(٧٨) جمح : ركب هواه .

(٨٠) الأزر : القوة .

(٨٦) نشره : رائحته الطيبة .

قُبلة

١٩١٢م

الصغيرة الحسناء

رَأَيْتُهَـــــا فِى سِرْبِهَـــــا ... كَـــــالبَـــدْرِ بيْنَ أَنْجُمِ(١)

جَـــاءَتْ فَقَبَّلَتْ يَـــدِى ... بِثَغْـــرِهَـــا المُنَظَّمِ (٢)

فَلَيْتَ كَفِّى خَـــدُّهَـــا ... وَلَيْتَ ثَغْـــرَهَـــا فَمِى ! (٣)

---

(١) سربها : جماعتها .

(٢) المنظم : المنسق الجميل .

اللغــة العربيــة

أنشدهـا الشاعـر فى افتتاح دور الانعقـاد الثالث لمجمع اللغة العربية سنة ١٩٣٤م .

مَــاذَا طَحَــا بِكَ يَــاصَنَّــاجَــةَ الأَدَبِ ‏ ‏ هَــلاَّ شَــدَوْتَ بِأَمْدَاحِ ابْنَـةِ العَـرَبِ ؟ (١)

أَطَــارَ نَــوْمَكَ أَحْــدَاثٌ وَجَمْتَ لَهَــا ‏ ‏ فَبِتَّ تَنْفُـخُ بَيْنَ الهَمِّ وَالْـــوَصَبِ (٢)

وَالْيَعْــرُبِيَّـــةُ أَنْــدَى مَــا بَعَثْــتَ بِــهِ ‏ ‏ شَجْوًا مِنَ الْحُزْنِ أَوْ شَـدْوًا مِنَ الطَّرَبِ (٣)

رُوحٌ مِـنَ اللهِ أَحْيَتْ كُـلَّ نَـــازِعَـــةٍ ‏ ‏ مِـنَ البَيَـــانِ وَآتَـتْ كُلَّ مُطَّلَـبِ (٤)

أَزْهَى مِـنَ الأَمَلِ البَسَّــامِ مَــوْقِعُهَــا ‏ ‏ وَجَـرْسُ أَلْفَاظِهَـا أَحْلَى مِنَ الضَّـرَبِ (٥)

* * *

وَسْنَى بِأَخْبِيَـــةِ الصَّحْــرَاءِ يُــوقِظُهَــا ‏ ‏ وَحْيٌ مِنَ الشَّمْسِ أَوْ هَمْسٌ مِنَ الشُّهُبِ (٦)

---

(١) طحا بك : صرفك ، وذهب بك فى كل مذهب . الصناجة : اللاعب بالصنج وهو آلة تتخذ من الصفر . وكان أعشى قيس يلقب بصناجة العرب لحسن رنين شعره . ابنة العرب : اللغة العربية .

(٢) وجمت : سكت حزنًا . تنفخ : ترسل نفسًا طويلاً . الهم : الحزن . الوصب : المرض .

(٣) اليعربية : اللغة العربية نسبة إلى يعرب بن قحطـان الذى ينتسب إليه عرب اليمن ، وهم العرب العاربة . أندى : أبعد صوتًا . الشجو : الحزن .

(٤) نازعة من البيـان : من قولهم عنده نزعـة إلى كذا أى ميل إليه والمراد عاطفـة بيانيـة . آتت : أعطت . مطلب : مطلوب ، وأصله متطلب ، أدغمت التاء فى الطاء .

(٥) جرس : صوت . الضرب : العسل .

(٦) وسنى : نائمة ، من السنة وهى النوم . أخبية : خيام ، جمع خباء . الشهب : النجوم ، جمع شهاب .

تُحْدَى بِهَا اليَعْمَلاتُ الكُومُ إنْ لَغِبَتْ ... فَلاَ تُحِسُّ بِإنْضَاءٍ وَلاَ لَغَبِ (٧)

تَهْتَزُّ فَوْقَ بِحَارِ الآلِ رَاقِصَةً ... وَالنَّصْبُ لِلنِيبِ يَجْلُو كُرْبَةَ النَّصَبِ (٨)

لَمْ تَعْرِفْ السَّوْطَ إلاَّ صَوْتَ مُرْتَجِزٍ ... كَأَنَّ فِى فِيهِ مِزْمَارًا مِنَ القَصَبِ (٩)

تُصْغِى إِلَى صَوْتِهِ الأَطْيَارُ صَامِتَةً ... إذَا تَرَدَّدَ بَيْنَ القُورِ والهِضَبِ (١٠)

كَأَنَّهُ وَظَلاَمُ اللَّيْلِ يَكْنُفُهُ ... غُثَاءَةٌ قُذِفَتْ فِى مَائِجٍ لَجِبِ (١١)

قَدْ خَالَطَ الوَحْشَ حَتَّى مَا يُرَوِّعُهَا ... إِذَا تَعَرَّضَ لَمْ تَنْفِرْ وَلَمْ تَثِبِ (١٢)

يَرْنُو بِعَيْنٍ عَلَى الظَّلْمَاءِ صَادِقَةٍ ... كَأَعْيُنِ النَّسْرِ أَنَّى صُوِّبَتْ تُصِبِ (١٣)

هُوَ الْحَيَاةُ بِقَفْرٍ لا حَيَاةَ بِهِ ... كَالمَاءِ فِى الصَّخْرِ أَوْ كالمَاءِ فِى الْحَطَبِ(١٤)

يَبِيتُ مِنْ نَفْسِهِ فِى مَنْزِلٍ خَضِلٍ ... وَمِنْ شَبَا بِيضِهِ فِى مَعْقِلٍ أَشِبِ (١٥)

يَهْتَزُّ للجُودِ وَالمَشْتَاةُ بَاخِلَةٌ ... وَالقُرُّ يَعْقِدُ رَأْسَ الكَلْبِ بِالذَّنَبِ (١٦)

* * *

تَهْفُو إِلَيْهِ بَنَاتُ الْحَىِّ مُعْجَبَةً ... وَالْحُبُّ يَنْبُتُ بَيْنَ العُجْبِ والعَجَبِ (١٧)

---

(٧) تحدى : الحداء هو ضرب من الغناء يكون وراء الإبل . اليعملات : النياق السريعة . الكوم : جمع كوماء ؛ وهى العظيمة السنام . لغبت: تعبت وأعياها السير . إنضاء : هُزال .

(٨) الآل : السراب . النصْب : ضرب من الحداء . النيب : جمع ناب وهى الناقة المسنة . يجلو : يكشف .

(٩) السوط : ما يضرب به من الجلد . مرتجز : مغن بالأراجيز . والرجز من أوزان الشعر يوافق وقع سير الإبل

(١٠) القور : جمع قارة وهو الجبل الصغير .

(١١) يكنفه : يحيط به . الغثاءة : الزبد والوسخ ونحوهما مما يجىء فوق السيل . مائج : بحر مضطرب الموج . لجب : لأمواجه جلبة وضوضاء .

(١٢) يروعها : يخيفها . تنفر : تفر مستوحشة . تثب : تندّ فرقًا ورعبًا .

(١٥) خضل : نَدٍ . شبا : جمع شباة وهى حد السيف . والبيض : السيوف . معقل : حصن . أشِب : ملتف الشجر كثيرُه ؛ أى حصين .

(١٦) يهتز : ينشط . المشتاة : زمن الشتاء أو مكانه حيث يقل الخير . القر : البرد . يعقد : يشد .

(١٧) تهفو : تميل . العجب : الصلف والزهو . العجب : بالتحريك الدهشة والاستغراب .

إِذَا تَنَقَّبْنَ إِذْ يَلْقَيْنَــــهُ خَفَــــرًا فَشَــوْقُهُنَّ إِلَيْــهِ غَيْــرُ مُنْتَقِبِ (١٨)
تَـــرَاهُ كُــلُّ فَتَـــاةٍ حِيـنَ تَفْقِـــدُهُ فِى البَدْرِ وَالسَّيْفِ وَالضِّرغَامِ والسُّحُبِ(١٩)
زَيْنُ الفِنَــاءِ إِذَا مَــا حَــلَّ حَبْــوَتَــهُ لِلْقَــوْلِ لَبَّــاهُ مِنْــهُ كُــلُّ مُنْتَخَبِ (٢٠)
أَوْ هَــزَّ شَيْطَـــانَــهُ أَوْتَــارَ مَنْطِقِـــهِ فَاخْـشَ الأَتِىَّ وَحَاذِرْ صَوْلَـةَ العُبُبِ (٢١)
مَـا مَـسَّ بِـالكَفِّ أَوْرَاقًــا وَلاَ قَلَمًـا وَرَأْيُــهُ زِينَــةُ الأَوْرَاقِ وَالكُتُبِ (٢٢)
يَطِيـرُ لِلحَــرْبِ خِفًّــا غَيْـرَ مُـدَّرِعٍ فِى شِدَّةِ البَأْسِ مَـا يُغْنِى عَنِ اليَلَبِ (٢٣)
إِذَا دَعَــاهُ صَـرِيخٌ كَـــانَ دَعْـوَتَــهُ وَإِنْ دَعَتْـهُ دَوَاعِى الذُّعْـرِ لَمْ يُجِبِ (٢٤)
لاَ تَــرْهَبُ الْجَــارَةُ الْحَسْنَـاءُ نَظْـرَتَــهُ كَأَنَّ أَجْفَــانَــهُ شُـــدَّتْ إِلَى طُنُبِ (٢٥)

* * *

جَـزِيــرَةٌ أَجْـدَبَتْ فِى كُلِّ نَــاحِيَــةٍ وَأَخْصَبَتْ فِى نَـوَاحِى الخُلْقِ والأَدَبِ(٢٦)
جَــدْبٌ بِـــهِ تَنْبُتُ الأَحْـــلاَمُ زَاكِيَـــةً إِنَّ الحِجَــارَةَ قَــدْ تَنْشَـقُّ عَنْ ذَهَبِ(٢٧)
تَــوَدُّ كُلُّ رِيَـــاضِ الأَرْضِ لَــوْ مُنِحَتْ أَزْهَـارُهَـا قُبْلَـةً مِنْ خَـدِّهَـا التَّـرِبِ (٢٨)
وَتَــرْتَجِى الغِيــدُ لَــوْ كَــانَتْ لآلِئُهَــا نَظْمًا مِنَ الشِّعْـرِ أَوْ نَثْرًا مِنَ الْخُطَبِ (٢٩)

* * *

(١٨) تنقبن : احتجبن . خفرا : حياء .
(١٩) الضرغام : الأسد .
(٢٠) الحبوة : أن يجمع الجالس بين ظهره وساقيه بعمامة أو حبل أو نحوهما، وكان ذلك ضروريًا للعربى لانعدام مايسند إليه ظهره . لباه : أطاعه .
(٢١) هز : حرك . الأتى: السيل. العُبُب : المياه المتدفقة - وهى مفرد .
(٢٣) خفا : خفيفًا غير مثقل . مدرع : لابس الدرع . البأس : الشدة والقوة . اليلب : الدروع .
(٢٤) صريخ : ملهوف مستغيث . الذعر : الخوف .
(٢٥) الطنب : الحبل (المعنى) أنه عفيف النظر .
(٢٧) الأحلام : العقول ، جمع حلم . زاكية : نامية متزايدة .
(٢٨) الترب : الكثير التراب .
(٢٩) الغيد : الحسان جمع غادة .

يَـا جِيرَةَ الْحَـرَمِ المَـزْهُـوِّ سَـاكِنُـهُ سَقى العُهُودَ الْخَـوَالِى كُلُّ مُنْسَكِبِ (٣٠)
لِى بَيْنَكُـمْ صِلَـةٌ عَـزَّتْ أَوَاصِـرُهَـا لأَنَّهَـا صِلَـةُ القُـرْآنِ وَالنَّسَبِ (٣١)
أَرَى بِعَيْنِ خَيَـالِى جَـاهِلِيَّتَكُمْ وَلِلتَّخَيُّلِ عَيْنُ القَـائِفِ الـدَّرِبِ (٣٢)
وَأَشْهَـدُ الْحَشْـدَ لِلشُّورَى قَـدِ اجْتَمَعُـوا وَلَسْتُ أَسْمَعُ مِـنْ لَغْـوٍ وَلاَ صَخَبِ (٣٣)
مِنْ كُـلِّ مُكْتَهِلٍ بِـالبُـرْدِ مُشْتَمِلٍ لِلقَـوْلِ مُـرْتَجِلٍ لِلهُجْـرِ مُجْتَنِبِ (٣٤)
وَأَلْمَحُ النَّـارَ فِى الظَّلْمَـاءِ قَـدْ نُصِبَتْ لِطَـارِقِ اللَّيْلِ وَالْحَيْـرَانِ وَالسَّغِبِ (٣٥)
نَـارٌ وَلَكِنَّهَـا قَـدْ صُـوِّرَتْ أَمَـلاً بَـرْدًا إِذَا خَـابَتِ الآمَـالُ لَمْ يَخِبِ (٣٦)
رَمْـزُ الْحَيَـاةِ وَرَمْـزُ الْجُـودِ مَـا فَتِئَتْ فَـوْقَ الثَّنِيَّاتِ تَـرْمِى الجَوَّ بِـاللَّهَبِ (٣٧)
يَشُبُّهَـا أَرْيَحِىٌّ كُلَّمَـا هَـدَأَتْ أَلْقَى عَلَى جَمْرِهَا جَزْلا مِنَ الحَطَبِ (٣٨)
وَأُبْصِـرُ القَـوْمَ يَـوْمَ الـرَّوْعِ قَـدْ حُشِـدُوا لِلْمَوتِ يَجْتَـاحُ ، أَوْ لِلنَّصْرِ وَالغَلَبِ (٣٩)
يَـرْمُـونَ بِـالشَّـرِّ شَـرًّا حِينَ يَفْجَـؤُهُمْ وَرَايُهُمْ فَـوْقَهُمْ خَفَّـاقَـةُ العَـذَبِ (٤٠)
وَأَحْضُـرُ الشُّعَـرَاءَ اللُّسْنَ قَـدْ وَقَفُـوا وَلِلْبَيَـانِ فِعَـالُ الصَّـارِمِ الـذَّرِبِ (٤١)

---

(٣٠) المزهو : المتكبر المفتخر . العهود الخوالى : العصور الماضية .
(٣١) عزت : قويت . أواصرها : روابطها .
(٣٢) القائف : من يعرف الآثار . الدرب : المتدرب .
(٣٤) المكتهل : من علاه الشيب . مشتمل : ملتحف بالكساء حتى لا تظهر يده . مرتجل : متكلم على البديهة من غير تهيئة للكلام . الهُجْر : فاحش القول وذميمه .
(٣٥) الطارق : من يأتى ليلاً . السغب : الجائع .
(٣٧) رمز : عنوان ودليل . الثنيات : طرق الجبل .
(٣٨) يشبها : يوقدها . أريحى : كريم . جزلاً : حطبًا يابسًا غليظًا .
(٣٩) الروع : الفزع . وهو يوم الحرب . يجتاح : يهلك .
(٤٠) يفجؤهم : يباغتهم . رايهم : أعلامهم . العذب : الأطراف - جمع عَذَبة .
(٤١) اللسن : الفصحاء . مفرده لسن . الصارم : السيف . الذرب : الحادّ .

أَبُـو بَصِيـرٍ لَـهُ نَبْـرٌ لَـوْ اتُّخِـذَتْ ... مِنْـهُ السِّهَامُ لَكَـانَتْ أَسْهُمَ النُّـوَبِ (٤٢)
إِذَا رَمَـاهَـا كَمَـا يَخْتَـارُ قَـافِيَـةً ... دَارَتْ مَعَ الفَلَكِ الـدَّوَّارِ فِى قُطُبِ (٤٣)

* * *

وَأُغْمِضُ العَيْـنَ حِينًـا ثُـمَّ أَفْتَحُهَـا ... عَلَى جَـلاَلٍ بِنُـورِ الْحَقِّ مُـؤْتَشِبِ (٤٤)
نُـورٌ مِنَ اللهِ هَـالَ القَـوْمَ سَـاطِعُـهُ ... وَلَيْسَ يُحْجَبُ نُـورُ اللهِ بِـالْحُجُبِ (٤٥)
تَكَلَّمَتْ سُـورُ القُـرْآنِ مُفْصِحَـةً ... فَأَسْكَتَتْ صَخَبَ الأَرْمَاحِ وَالقُضُبِ (٤٦)
وَقَـامَ خَيْـرُ قُـرَيْشٍ وَابْنُ سَـادَتِهَـا ... يَـدْعُـو إِلَى اللهِ فِى عَـزْمٍ وَفِى دَأَبِ (٤٧)
بِمَنْطِقٍ هَـاشِمِىِّ الـوَشْيِ لَـوْ نُسِجَتْ ... مِنْـهُ الأَصَـائِلُ لَمْ تَنْصُلْ وَلَمْ تَغِبِ (٤٨)
طَـابَتْ بِـهِ أَنْفُسُ الأَيَّـامِ وَابْتَهَجَتْ ... وَمَـرَّ دَهْـرٌ وَدَهْـرٌ وَهْـىَ لَمْ تَطِبِ (٤٩)
وَهُـزَّتِ الـرَّاسِيَـاتِ الشُّمُّ ، وَارْتَعَـدَتْ ... لِهَوْلِـهِ البَاتِـرَاتُ البِيضُ فِى القُرُبِ (٥٠)
وَأَصْبَحَتْ بِنْـتُ عَـدْنَـانٍ بِنَفْحَتِـهِ ... تِيهًـا تُجَرِّرُ مِنْ أَذْيَـالِهَـا القُشُبِ (٥١)
فَـازَتْ بِـرُكْنٍ شَـدِيدٍ غَيْـرِ مُنْصَدِعٍ ... مِنَ البَيَـانِ وَحَبْلٍ غَيْـرِ مُضْطَـرِبِ (٥٢)

* * *

---

(٤٢) أبو بصير : هو الأعشى القيسى صاحب المحلق . النوَب : المصائب . جمع نائبة .
(٤٣) القافية : آخر كلمة فى البيت ، والمراد هنا القصيدة . قطب : مدار .
(٤٤) مؤتشب : ملتف .
(٤٥) هال : أدهش .
(٤٦) صخب : جلبة . القضب : السيوف الدقيقة .
(٤٧) خير قريش : كناية عن النبى صلى الله عليه وسلم . دأب : جد .
(٤٨) الوشى : النقش . الأصائل : جمع أصيل وهو ما بين العصر والمغرب . تنصل : يتغير لونها .
(٥٠) الراسيات : الجبال . الشم : المرتفعات . الباترات : القاطعات . القرب : الأغماد جمع قراب .
(٥١) بنت عدنان: كناية عن موصوف هو اللغة العربية . تيها : زهوًا وكبرًا. القشب: الجديدة ، جمع قشيب .
(٥٢) منصدع : منشق .

وَلَمْ تَـزَلْ مِنْ حِمـى الإِسْـلاَمِ فِى كَنَفٍ سَهْلٍ وَمنْ عِـزِّهِ فِـى مَنْزِلٍ خَصِـبِ (٥٣)
حَتَّى رَمَتْهَـا اللَّيَـالِى فِى فَـرَائِدِهَـا وَخَـرَّ سُلْطَـانُهَـا يَنْهَـارُ مِنْ صَبَبِ (٥٤)
وَعَـاثَـتْ الْعُجْمَـةُ الْحَمْقَـاءُ ثَـائِرَةً عَلَى ابْنَةِ البِيدِ فِى جَيْشٍ مِنَ الرَّهَبِ (٥٥)
يَقُـــودُهُ كُـلُّ وَلاَّغٍ أَخِـى إِحَـنٍ مُضَمَّخٍ بِـدِمَـاءِ العُـرْبِ مُخْتَضِبِ (٥٦)
لَمْ يُبْقِ فِيهَـا بِنَـاءً غَيْـرَ مُنْتَقِضٍ مِنَ الفَصِيحِ وَشَمْـلاً غَيْرَ مُنْقَضِبِ (٥٧)
كَأَنَّ عَـدْنَـانَ لَمْ تَمْـلأْ بَـدَائِعُـهُ مَسَامِعَ الكَوْنِ مِـنْ نَـاءٍ وَمُقْتَـرِبِ (٥٨)
مَضَتْ بِخَيْـرِ كُنُوزِ الأَرْضِ جَـائِحَةٌ وَغَـابَتْ اللُّغَـةُ الفُصْحَى مَعَ الغَيَبِ (٥٩)
لَـوْلاَ (فُـؤَادٌ) أَبُو الفَـارُوقِ مَـا وَجَـدَتْ إِلَى الْحَيَـاةِ ابنَةُ الأَعْـرَابِ مِنْ سَبَبِ (٦٠)
أَعَـزَّ مِنْهَـا حِمًى رِيعَتْ كَـرَائِمُـهُ وَكَـانَ مَمْنُـوعُـهُ نَهْبًـا لِمُنْتَهِبِ (٦١)
وَرَدَّ بِـالمَجْمَعِ المَعْمُـورِ غُـرْبَتَهَا وَحَـاطَهَا بِكَـرِيمِ العَطْفِ وَالْحَدَبِ (٦٢)

* * *

يَـا عُصْبَـةَ الْخَيْـرِ لِلْفُصْحَى وَشِيعَتَهَـا حَيَّاكِ صَوْبُ الْحَيَـا يَا خِيرَةَ العُصَبِ ! (٦٣)
هَلُمَّ فَـالْـوَقْتُ أَنْفَـاسٌ لَهَـا أَمَـدٌ وَلاَ أَقُـولُ بِـأَنَّ الـوَقْتَ مِـنْ ذَهَبِ (٦٤)

---

(٥٣) كنف : جانب . الخصب : الخصيب .

(٥٤) خرّ : سقط . صبب : منحدر .

(٥٥) عاثت : أفسدت . ابنة البيد : اللغة العربية . الرهب : الخوف .

(٥٦) ولاغ : شارب شرب الكلب . إحن : أحقاد جمع إحنة . مضمخ : ملطخ.

(٥٧) منتقض : متهدّم . منقضب : منقطع .

(٦٠) ابنة الأعراب : اللغة العربية .

(٦١) حمى : ما يجب أن يحمى . ريعت : أفزعت .

(٦٢) المجمع : مجمع اللغة العربية الذى أنشىء فى عصره ، وكان الشاعر من أعضائه الأولين . الحدب : العطف .

(٦٣) عصبة : جماعة بين العشرة والأربعين .. صوب الحيا : نزول المطر .

(٦٤) هلم : تعالوا . اسم فعل أمر . أمد : نهاية .

فَإِنَّمَا الْمَرْءُ فِى الدُّنْيَا إِقَامَتُهُ إِقَامَةُ الطَّيْفِ وَالأَزْهَارِ وَالْحَبَبِ (٦٥)
الدَّهْرُ يُسْرِعُ وَالأَيَّامُ مُعْجِلَةٌ وَنَحْنُ لَمْ نَدْرِ غَيْرَ الوَخْدِ والْخَبَبِ (٦٦)
وَالمُحْدَثَاتُ تَسُدُّ الشَّمْسَ كَثْرَتُهَا وَلَمْ تَفُزْ بِخَيَالِ اسْمٍ وَلاَ لَقَبِ (٦٧)
وَالتَّرْجَمَاتُ تَشُنُّ الحَرْبَ لاَقِحَةً عَلَى الفَصِيحِ فَيَا لِلْوَيْلِ والْحَرَبِ (٦٨)
نَطِيرُ لِلَّفْظِ نَسْتَجْدِيهِ مِنْ بَلَدٍ نَاءٍ وَأَمْثَالُهُ مِنَّا عَلَى كَثَبِ (٦٩)
كَمُهْرِقِ المَاءِ فِى الصَّحْرَاءِ حِينَ بَدَا لِعَيْنِهِ بَارِقٌ مِنْ عَارِضٍ كَذِبِ (٧٠)
أَزْرَى بِبِنْتِ قُرَيْشٍ ثُمَّ حَارَبَهَا مَنْ لاَ يُفَرِّقُ بَيْنَ النَّبْعِ وَالغَرَبِ (٧١)
وَرَاحَ فِى حَمْلَةٍ رَعْنَاءَ طَائِشَةٍ يَصُولُ بِالْخَائِبَيْنِ : الْجَهْلِ وَالشَّغَبِ (٧٢)
أَنَتْرُكُ العَرَبِيَّ السَّمْحَ مَنْطِقُهُ إِلَى دَخِيلٍ مِنَ الأَلْفَاظِ مُغْتَرِبِ ؟؟ (٧٣)
وَفِى المَعَاجِمِ كَنْزٌ لاَ نَفَادَ لَهُ لِمَنْ يُمَيِّزُ بَيْنَ الدُّرِّ والسُّخُبِ (٧٤)
كَمْ لَفْظَةٍ جُهِدَتْ مِمَّا نُكَرِّرُهَا حَتَّى لَقَدْ لَهَثَتْ مِنْ شِدَّةِ التَّعَبِ (٧٥)
وَلَفْظَةٍ سُجِنَتْ فِى جَوْفِ مُظْلِمَةٍ لَمْ تَنْظُرَ الشَّمْسُ مِنْهَا عَيْنَ مُرْتَقِبِ (٧٦)
كَأَنَّمَا قَدْ تَوَلَّى القَارِظَانِ بِهَا فَلَمْ يَؤُوبَا إِلَى الدُّنْيَا وَلَمْ تَؤُبِ (٧٧)

---

(٦٥) الطيف : الخيال الطائف فى المنام . الحبب : فقاقيع الماء والخمر .

(٦٦) الوخد : سعة الخطو . الخبب : السرعة .

(٦٨) تشن : تثير . لاقحة : شديدة . الويل : العذاب . الحرب : الهلاك .

(٧٠) كمهرق : كمن يصب الماء . عارض : سحاب معترض فى الأفق .

(٧١) أزرى : أهان وعاب . النبع : شجر صلب ينبت على رءوس الجبال . الغرب : نبات رخو ينمو على الأنهار .

(٧٢) رعناء : حمقاء . طائشة : مخطئة . يصول : يحارب . الشغب : التهويش .

(٧٣) السمح : السهل . مغترب : غريب .

(٧٤) المعاجم : كتب اللغة . السخب : جمع سخاب وهو العقد من الودع ونحوه .

(٧٥) لهث : أخرج لسانه تعبا .

(٧٦) مظلمة : حفرة عميقة مظلمة .

(٧٧) القارظان : رجلان من بنى عنزة خرجا فى طلب القرظ فلم يرجعا . يئوب : يعود .

يَـا شِيخَـةَ الضَّـادِ وَالـذِّكْرَى مُخَلِّـدَةٌ هُنَـا يُـؤَسَّسُ مَــا تَبْنُـونَ لِلْعَقِبِ (٧٨)
هُنَــا تَخُطُّــونَ مَجْـدًا مَـا جَـرَى قَلَمٌ بِمِثْلِـهِ فِى مَـدَى الأَدْهَـارِ وَالْحِقَبِ (٧٩)

* * *

لَبَّيْكَ يَــا مَلِكَ الـوَادِى وَمُنْشِئَـهُ يَا حَـارِسَ الدِّينِ وَالآدَابِ وَالْحَسَبِ (٨٠)
هَـذَا غِـرَاسُكَ قَـدْ مَـاسَتْ بَـوَاسِقُـهُ تُـدَاعِبُ الرِّيحَ فِى زَهْـوٍ وَفِى لَعِبِ (٨١)
المُلْكُ فِـى بَيْتِكمْ كَسْبًـا وَمَـوْهِبَـةً يُـزْهَى عَلَى كُلِّ مَوْهُـوبٍ وَمُكْتَسَبِ (٨٢)
سَفِينَــةٌ أَنْتَ مُجْـرِيهَــا وَكَـالِئُهَـا مِنَ الزَّعَـازِعِ لاَ تَخْشَى أَذَى العَطَبِ (٨٣)
وَأُمَّــةٌ أَنْـتَ مُجْـرِيهَـا وَحَـافِـزُهَـا فِى حَلْبَةِ السَّبْقِ لاَ تُبْقِى عَلَى القَصَبِ (٨٤)
وَدِيعَــةُ اللهِ صِينَـتْ فِى يَـدَىْ مَلِكٍ لِلَّــهِ مُـرْتَقِـبٍ لِلَّــهِ مُحْتَسِبِ (٨٥)
بَصِيـرَةٌ كَضِيَـاءِ الصُّبْحِ لَـوْ لَطَمَتْ غَيَـاهِبَ اللَّيْلِ لَمْ يُظْلِـمْ وَلَمْ يُهَبِ (٨٦)
وَعَــزْمَـةٌ كَحَـدِيـدِ النَّصْلِ لَـوْ طَلَبَتْ زُهْـرَ الكَوَاكِبِ نَـالَتْ غَايَـةَ الطَّلَبِ (٨٧)
قَـدْ صَمَّمَتْ فَمَضَتْ عَجْلَى لِمَقْصِدِهَـا تَحْثُو التُّـرَابَ بِوَجْـهِ الشَّكِّ وَالرِّيَبِ (٨٨)
فَـانْظُـرْ تَـرَى مِصْـرَ هَلْ تَلْقَى لَهَـا مَثَـلاً فِى صَوْلَةِ المُلْكِ أَوْ فِى قُوَّةِ الأُهَبِ؟؟ (٨٩)

---

(٧٨) الضاد : اللغة العربية . عقب : من يأتون بعدكم .
(٧٩) الحقب : العصور .
(٨٠) لبيك : إطاعة لك وإجابة . الحسب : مفاخر الآباء .
(٨١) ماست : تمايلت زهوًا . بواسقه : طواله .
(٨٢) كسبا : إصابة واجتهادًا . موهبة : منحة من الله .
(٨٣) كالئها : حافظها . الزعازع : العواصف . العطب : الهلاك .
(٨٤) حافزها : دافعها . حلبة السبق : جماعة الخيل فى ميدان السباق . القصب : ما يركز عند الغاية فى السباق ، والمراد الفوز .
(٨٦) بصيرة : فطنة . غياهب : ظلمات . يهب : يخاف منه .
(٨٧) كحديد النصل : كالسيف الحادّ المشحوذ .
(٨٨) صممت : أصرت . تحثو : تثير .
(٨٩) الأهب : جمع أهبة وهى عدة الحرب .

فَثَــرْوَةٌ مِنْ سَــرِيِّ العِلْمِ وَاسِعَـــةٌ وَثَــرْوَةٌ مِنْ سَــرِيِّ الْجَــاهِ وَالنَّشَبِ (٩٠)

بَنَى (فُــؤَادٌ) بِنَــاءَ الْخَـالِـدِينَ كَمَـا بَنَى الغَطَـارِيفُ مِـنْ آبَـائِه النُّجُبِ (٩١)

إِذَا الغَمَـائِمُ جَـافَتْ مِصْـرَ وَاحْتَجَبَتْ فَإِنَّ بِــرَّ يَـدَيْـهِ غَيْـرُ مُحْتَجِبِ (٩٢)

مَنْ مُبْلِغُ العُـرْبِ أَنَّ الضَّـادَ قَـدْ بَلَغَتْ بِقُرْبِ صَاحِبِ مِصْـرٍ أَرْفَعَ الرُّتَبِ ؟ (٩٣)

أَعَـادَ مَجْـدًا لَهَـا مَـالَتْ دَعَـائِمُـهُ فَيَـا لَهَـا قُـرْبَـةً مِنْ أَعْظَمِ القُـرَبِ (٩٤)

وَحَفَّهَـــا بِسِيَـــاجٍ مِنْ عِنَـــايَتِـــهِ كَمَـا تُحَفُّ جُفُـونُ العَيْنِ بـالهُـدُبِ (٩٥)

إِنْ عَقَّهَــا أَهْلُ وَادِيهـا وَجِيـرَتُهَـا فَأَنْـتَ أَحْنَى عَلَيْهَـــا مِنْ أَخٍ وَأَبِ (٩٦)

رَأَتْ بِـرَبْعِـكَ عِـزَّ المُلْكِ فَـانْصَـرَفَتْ عَنْ ذِكْرِ لُبْنَى وَذِكْرَى رَبْعِهَا الْخَرِبِ (٩٧)

لاَذَتْ بِأَكْبَـــرِ مِعْـــوَانٍ لِـــذِى أَمَلٍ نَــاءٍ وَأَشْـرَفِ عُنْـوَانٍ لِمُنْتَسِبِ (٩٨)

عِشْ لِلْكِنَـــانَـــةِ تَبْلُغْ أَوْجَ عِـــزَّتِهَـــا وَلِلْعُـلاَ وَالنَّـــدَى وَالعِلْمِ والأَدَبِ (٩٩)

وَعَــاشَ (فَــارُوقُ) نَجْمًـا فِى تَأَلُّقِـهِ سَعْدُ السُّعُـودِ وَفِيهِ مُنْتَهَى الأَرَبِ (١٠٠)

---

(٩٠) النشب : المال .

(٩١) الغطاريف : جمع غطريف ، السيد الشريف . النجب : الكريم .

(٩٢) جافت : بعدت .

(٩٤) دعائمه : عمده جمع دعامة . قربة : بر يتقرب به إلى الله تعالى .

(٩٧) ربعك : دارك . لبنى : من فتيات الجاهلية .

(٩٩) الكنانة : مصر . أوج : علو .

حَنِينُ طائِر

نظمت هذه القصيدة فى سنة ١٩١٥م .

طَائِرٌ يَشْدُو عَلَى فَنَنِ | جَدَّدَ الذِّكْرَى لِذِى شَجَنِ (١)
قَامَ وَالأَكْوَانُ صَامِتَةٌ | وَنَسِيمُ الصُّبْحِ فِى وَهَنِ (٢)
هَاجَ فِى نَفْسِى وَقَدْ هَدَأَتْ | لَوْعَةٌ لَوْلاهُ لَمْ تَكُنِ (٣)
هَزَّهُ شَوْقٌ إِلَى سَكَنِ | فَبَكَى لِلأَهْلِ وَالسَّكَنِ (٤)
وَيْكَ لا تَجْزَعْ لِنَازِلَةٍ | مَا لِطَيْرِ الْجَوِّ مِنْ وَطَنِ (٥)
قَدْ يَرَاكَ الصُّبْحُ فِى حَلَبٍ | وَيَرَاكَ اللَّيْلُ فِى عَدَنِ (٦)
أَنْتَ فِى خَضْرَاءَ ضَاحِكَةٍ | مِنْ بُكَاءِ العَارِضِ الْهَتِنِ (٧)
أَنْتَ فِى شَجْرَاءَ وَارِفَةٍ | تَارِكٌ غُصْنًا إِلَى غُصُنِ (٨)
عَابِثٌ بِالزَّهْرِ مُغْتَبِطٌ | نَاعِمٌ فِى الْحَلِّ والظَّعَنِ (٩)

---

(٥) ويك : عجبًا لك . والجزع : نقيض الصبر . والنازلة : الشديدة من شدائد الدهر تنزل بالناس .

(٦) حلب : بلد فى سورية بالقرب من حدودها الشمالية . وعدن : بلد على ساحل الخليج المسمى باسمها جنوبى جزيرة العرب .

(٧) العارض : السحب المعترض فى الأفق . والهتن : المنصب الهطل .

(٨) أرض شجراء : كثيرة الشجر .

(٩) الحل : مصدر حل المكان وحل به أى نزل به . والظعن بسكون العين وفتحها مصدر ظعن أى سار وارتحل .

فِى ظِـــلاَلٍ حَـــوْلَهَـــا نَهَـــرٌ	غَيْـــرُ مَسْنُـــونٍ وَلا أَسِـــنِ (١٠)
فِى يَـــدَيْكَ الـــرِّيحُ تُـــرْسِلُهَـــا	كَيْفَمَـــا تَهْـــوَى بِـــلاَ رَسَنِ (١١)

* * *

يَـــاسُلَيْمَـــانَ الـــزَّمَـــانِ أَفِـــقْ	لَيْسَ لِلَّـــــذَاتِ مِـنْ ثَمَـنِ (١٢)
وَابْعَـثِ الأَلْحَـــانَ مُطْـــرِبَـــةً	يَـــا حَيَـــاةَ الْعَيْـنِ وَالأُذُنِ (١٣)
غَـنِّ بِـــالـــدُّنْيَـــا وَزِينَتِهـــا	وَنِظَـــامِ الْكَـــوْنِ والسُّنَـنِ (١٤)
وَبِقِيعَـــانٍ هَبَطَـتْ بِهـــا	وَبِمَـــا شَـــاهَـــدْتَ مِنْ مُـــدُنِ (١٥)
وَبِـأَزْهَـــارِ الصَّبَـــاحِ وَقَـــدْ	نَهَضَتْ مِـنْ غَفْـــوَةِ الـــوَسَنِ (١٦)
وَبِقَلْـبٍ شَفَّـــــهُ وَلَــــهٌ	حَـــافِـظٍ لِلْعَهْـــدِ لَمْ يَخُـنِ (١٧)
كُـلُّ شَىءٍ فِـى الـــدُّنَـــا حَسَنٌ	أَىُّ شَـىءٍ لَيْسَ بِـــالْحَسَـنِ (١٨)
خَـــالِقُ الأَكْـــوَانِ كَـــالِئُهـــا	وَاسِعُ الإِحْسَـــانِ وَالْمِنَـنِ (١٩)

* * *

كَـــانَ لِى إِلْفٌ فَـأَبْعَـــدَهُ	قَـــدَرٌ عَنِّى وَأَبْعَـــدَنِـى (٢٠)

---

(١٠) مسنون : متن . والأسنُ من الماء : الآجن وهو المتغير الطعم واللون .

(١١) تهوَى : تحب . الرسن : الحبل تربط به الدّابة .

(١٢) سيدنا سليمان بن سيدنا داود عليهما السلام ، والمعنى أن الله سخر لك الريح كما سخرها من قبل لسليمان .

(١٤) السُنن : جمع سُنة وهى الطبيعة .

(١٥) القيعان : جمع قاع وهو المستوى من الأرض .

(١٦) الغفوَة : النوْمة الخفيفة . الوَسَن : النعاس .

(١٧) شفَّه الهم : هزله الوَله : الهمّ والحزْن والحيرة .

(١٨) الدُنا : جمع دنيا

(١٩) كالؤها : حافظها . المنن : جمع منّة وهى النعمة .

(٢٠) الإلف : الأليف والحبيب . القدَر : ما يقدِّره الله عزّ وجل ويقضى به .

أنَــا مَــدَّ الــدَّهْــرِ أذْكُــرُهُ   وَهْــوَ مَــدَّ الــدَّهْــرِ يَــذْكُــرُنِى (٢١)
قَـــدْ بَنَيْنَـــا الْعُـشَّ مِنْ مُهَـجٍ   غُسِلَتْ مِـنْ حَــوْبَــةِ الــدَّرَنِ (٢٢)
مِنْ لَــدُنْـــهُ الْــوُدُّ أَخْلَصُـــهُ   وَالْــوَفَــا وَالطُّهْــرُ مِـنْ لَــدُنِى (٢٣)
كــانَـتِ الأَطْيَـــارُ تَحْسُــدُهُ   جَنَّـــةَ الْمَأْوَى وَتَحْسُـــدُنِـى (٢٤)
وَظَنَنَّــا أنْ نَعِيشَ بِـــهِ   عِيشَـــةَ الْمُسْتَعْصِـمِ الْأَمِـنِ (٢٥)
فَــرَمَتْ كَـفُّ الــزَّمَــانِ بِــهِ   فكــأَنَّ الْعُـشَّ لَــمْ يَكُــنِ (٢٦)
طَـــارَ مِـنْ حَـــوْلِى وَخَلَّفَنِـى   لِلْجَــوَى وَالْبَثِّ وَالْحَــزَنِ (٢٧)
وَنَـأَى عَنِّـى وَمـــا بَـــرِحَـتْ   نَــازِعَــاتُ الشَّــوْقِ تَطْــرُقُنِى (٢٨)
وَمَضَـى وَالْـــوَجْـــدُ يَسْبِقُـــهُ   وَدمُـــوعُ الْعَيْـنِ تَسْبِقُنِـى (٢٩)

* * *

إنْ تَــزُرْ يَــا طَيْــرُ دَوْحَتَــهُ   بَيْنَ زَهْــرٍ نَــاضِــرٍ وَجَنِى (٣٠)
وَشَهِــدْتَ «التِّمْسَ» مُضْطَــرِبًــا   وَاثِبًـــا كَــالصَّـــافِنِ الْأَرِنِ (٣١)
عَبِثَـتْ رِيـحُ الشَّمـــالِ بِــهِ   فَطَغَـى غَيْظًـــا عَلَى السُّفُـنِ (٣٢)

---

(٢١) مدّ الدهر : مداه وطوله .

(٢٢) المهج : جمع مهجة وهى النفس والروح . الحوبة : الإثم والذنب . الدرن : الوسخ .

(٢٧) الجوى : الحرقة وشدة الوجد . البث : أشد الحزن .

(٢٨) نأى : بعد . النازعات : جمع نازعة وهى ميل النفس الشديد . تطرقنى : تجيئنى . والطروق فى الأصل المجيء ليلاً .

(٢٩) الوجد : الحزن والحب .

(٣٠) الجنى : ما يجنى من الشجر مادام غضا .

(٣١) التمس : نهر مشهور فى إنجلترا . الصافن : من الخيل ما قام على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة . الأرن : النشيط مصلت الأذنين .

فَـــانْشُـــدِ الأَطْيَـــارَ واجِـــدَهَـــا فِـى الْحُلَى وَالْحُسْنِ وَالْجَـــدَنِ (٣٣)
وَتَـــرَيَّـثْ فِى المَقَـــالِ لَـــهُ قَـــدْ يَكُـــونُ الْمَـــوْتُ فِـى اللَّسَنِ (٣٤)
صِفْ لَـــهُ يَـــا طَيْـــرُ مـــا لَقِيَتْ مُهْجَتِـى فِـى الْحُبِّ مِـنْ غَبَـنِ (٣٥)
صِفْ لَـــهُ رُوحَـــا مُعَـــذَّبَـــةً ضَـــاقَ عَنْ آلامِهـــا بَـــدَنِى (٣٦)
صِفْ لَـــهُ عَيْنًـــا مُقَـــرَّحَـــةً لأَبِىِّ الـــــدَّمْعِ لَـمْ تَصُـنِ (٣٧)

* * *

يَـــا خَلِيلِـى وَالْهَـــوَى إِحَنٌ لا رَمَـــاكَ اللهُ بِـــالإِحَـنِ (٣٨)
إِنْ رَأَيْـتَ الْعَيْـنَ نَـــاعِسَـــةً فَتَـــرَقَّبْ يَقْظَـــةَ الْفِتَـنِ (٣٩)
أَوْ رَأَيْـتَ الْقَـــدَّ فِـى هَيَـفٍ فَـــاتَّخِـــذْ مَـــا شِئْتَ مِـنْ جُنَنِ (٤٠)
قَـــدْ نَعِمْنَـــا بِـــالْهَـــوَى زَمَنًـــا وَشَقِينَـــا آخِـــرَ الـــزَّمَـنِ! (٤١)

---

(٣٣) الحلى : جمع حلية وهى الصفة ، والحلية أيضًا الحلى وهو ما تتزين به المرأة من المصوغات والجواهر ونحوها . الجدن : حسن الصوت .
(٣٤) تريث : اتئد وتمهل . المقال : القول . اللسن : الفصاحة .
(٣٥) المهجة : النفس . الغبن : مصدر غبنه فى البيع ونحوه يغبنه أى خدعه .
(٣٨) الخليل : الصاحب . والهوى : الحب . الإحن : جمع إحنة وهى الحقد والغضب .
(٣٩) عين ناعسة : فاترة والفتور من صفات الحسن فى عيون النساء .
(٤٠) القد : اعتدال القامة وحسن التقطيع . الهيف : ضمور البطن ورقة الخاصرة . والجنن : جمع جنة وهى السترة وكل ما وقى .

الجامعـة العربيـة

أنشـدت هذه القصيـدة فى حفل حـاشـد أقيم بـالقاهـرة تكريمًا لزعماء الأقطار العربية سنة ١٩٤٤م بمناسبة إنشاء جامعة الدول العربية بالقاهرة .

سَنَـا الشَّـرْقِ ، مِنْ أيِّ الفَـرَادِيسِ تَنْبَعُ؟ ... وَمِنْ أيِّ آفَـاقِ النُّبُـوَّةِ تَلْمَعُ ؟ (١)
وَفِى أيِّ أطْـوَاءِ القُـرُونِ تَنَقَّلَتْ ... بِمِصْبَـاحِكَ الدُّنْيَـا يَشُبُّ وَيَسْطَعُ (٢)
طَلَعْتَ عَلَى الأهْـرَامِ وَالكَـوْنُ هَـامِدٌ ... وَأشْـرَقْـتَ بِـالإلْهَـامِ وَالنَّـاسُ هُجَّعُ (٣)
طَلَعْتَ شُعَـاعًـا عَبْقَـرِيًّـا كَأنَّمَـا ... مِنَ الحَـقِّ أوْ نُـورِ البَصَـائِرِ تَطْلُعُ (٤)
وَجَمَّعْتَ أسْـرَارَ العُقُـولِ فَهَلْ دَرَتْ ... مَخَابِىءُ فِرْعَـوْنٍ بِمَـا كُنْتَ تَجْمَعُ ؟ (٥)
وَجَمَّلْتَ أُفْقَ الشَّـرْقِ وَالأرْضُ كُلُّهَـا ... سُهُـوبٌ تَضِـلُّ العَيْنُ فِيهِـنَّ بَلْقَعُ (٦)
أذَاكَ ابْتِسَـامُ الغِيـدِ مَـا أشْـرَقَتْ بِـهِ ... ثَنَـايَـاكَ ، أمْ زَهْرُ الـرُّبَـا المُتَضَـوِّعُ ؟ (٧)
رَأيْتَ ابْنَ عِمْـرَانٍ عَلَى الطُّورِ شَـاخِصًا ... يَهِيبُ بِـهِ الـوَحْىُ الكَـرِيمُ فَيَسْمَعُ (٨)

---

(١) سنـا : ضوء . الفـراديس : جمع فردوس ، الجنـة . آفـاق النبوة : نـواحى النبوة وفى البيت إشـارة إلى أن الشرق مهبط الرسالات السماوية .
٢) أطواء القرون: مرور السنين. يشب : يوقد . يسطع : يلمع ويضىء .
(٣) هامد : ساكن . الإلهام : الوحى . هجّع : نائمون ليلاً .
(٤) شعاعًا : من الضوء . عبقريًا : عجيبًا وهو نسبة إلى أرض الجن وتسمى عبقر كما يقال .
(٥) فرعون : اسم حكام مصر القديمة .
(٦) سهوب : جمع سهب (بالفتح) وهو الفلاة . بلقع : الأرض القفر التى لا شىء بها .
(٧) المتضوع : المنتشر الرائحة .
(٨) ابن عمران : سيدنا موسى عليه السلام . الطور : جبل الطور المشهور بسيناء . شاخصًا : فاتحًا عينيه .

وَأبْصَرْتَ عِيسى يَنْشُرُ الـرِّفْقَ وَالـرِّضَـا ... وَيَسْتَلُّ أحْقَـادَ القُلُـوبِ وَيَنْـزَعُ (٩)
وَشَـاهَـدْتَ وَسْطَ الجَحْفَلَيْنِ مُحَمَّـدًا ... وَبَيْنَ هُدَى الإيمَـانِ والشِّرْكِ مَصْرَعُ (١٠)
إذَا صَـالَ فَـالـدُّنْيَـا مَجَـرٌّ رِمَـاحِـهِ ... وَإنْ قَـالَ فَـالأيَّـامُ عَيْـنٌ وَمَسْمَعُ (١١)
ألَمْ تَـرَهُ فِى بُـرْدَةِ اللَّيْلِ سَـاجِـدًا ... وَمِنْـهُ دُرُوعُ الـرُّومِ حَيْـرَى تَفَـزَّعُ ! ؟ (١٢)

* * *

سَنَا الشَّرْقِ ، أَشْرِقْ وَابْعَـثْ النُّورَ سَاطِعًا ... يَشُقُّ دَيَـاجِيـرَ الظَّـلامِ وَيَصْـدَعُ (١٣)
أَعِـدْ شَمْسَكَ الأُولَى إلى الأُفْقِ مِثْلَمَـا ... أَعَـادَ ضِيَـاءَ الشَّمْسِ لِـلأُفْقِ يُـوشَعُ (١٤)
نَـزَفْنَـا دُمُـوعَ المُقْلَتَيْـنِ تَفَجُّعًـا ... فَهَلْ مَـرَّةً أَجْـدَى عَلَيْنَـا التَّفَجُّعُ ؟ (١٥)
وَعِشْنَـا بِـآمَـالٍ كَـأطْيَـافِ نَـائِمٍ ... يُـرَوِّعُهَـا مِنْ دَهْـرِنَـا مَـا يُـرَوِّعُ (١٦)
شُعَـاعُكَ تَـارِيـخٌ ، وَنُـورُكَ حِكْمَـةٌ ... وَلَمْحُكَ آمَـالٌ ، وَنَهْجُـكَ مَهْيَعُ (١٧)
إذا ضَيَّعَ التَّـارِيخَ أَبْنَـاءُ أُمَّـةٍ ... فَأنْفُسَهُمْ فِى شِرْعَةِ الحَقِّ ضَيَّعُـوا ! (١٨)
أَبَى الـدَّهْـرُ أنْ يَنْقَـادَ إلاَّ لِعَـزْمَـةٍ ... يَخِـرُّ لَهَـا الـدَّهْـرُ العَتِيُّ وَيَخْنَعُ (١٩)

---

(٩) يستل : يخرج .
(١٠) الجحفلين: يقصد المجموعتين . الشرك : الإشراك بالله . مصرع : مقتل .
(١١) صال : وثب وهاجم . مجرّ : مسار .
(١٢) بردة : كساء أسود تلبسه العرب . تفزع : خائفة .
(١٣) دياجير : شدة الظلام . يصدع : يفرّق ويشتت .
(١٤) يوشع : هو فتى سيدنا موسى عليهما السلام وجاءته النبوة بعد موسى ووعده الله بالانتصارعلى القوم الجبارين قبل غروب الشمس وقاربت الشمس على الغروب ولم يحدث فدعا ربه فأخر الله غروب الشمس وأنزل الملائكة تحارب معه حتى انتصر عليهم.
(١٦) أطياف : الخيال فى النوم . يروعها : يخيفها .
(١٧) نهجك : طريقك . مهيع : طريق واسع بيّن .
(١٨) شرعة الحق : شريعة الحق
(١٩) ينقاد : يتبع . عزمة : عزيمة وإرادة . يخر : يسقط ويستسلم . العتى : القاسى المعتدى . يخنع: يخضع .

وَسِرُّ العُلاَ نَفْسٌ كَمَا شَاءَتِ العُلاَ ... طَمُوحٌ، وَرَأْىٌ مِنْ شَبَا السَّيْفِ أَقْطَعُ (٢٠)
وَمَنْ يَتَجَنَّبْ فِى الحيَاةِ زِحَامَهَا ... فَلَيْسَ لَهُ فِى سَاحَةِ المَجْدِ مَشْرَعُ ! (٢١)

* * *

خُذِى مِصْرُ أَسْبَابَ السَّمَاءِ لِمَوْطِنٍ ... مِنَ العِزِّ لا يَسْمُو إِلَيْهِ التَطَلُّعُ (٢٢)
سَحَرْتِ عُيُونَ الخَافِقَيْنَ كَأَنَّمَا ... بِأَرْضِكِ سِحْرٌ لِلْفَرَاعِينِ مُودَعُ (٢٣)
قِبَابٌ تَرُومُ السُحْبُ إِدْرَاكَ شَأْوِهَا ... وَمِنْ دُونِهِ أَعْنَاقُهُنَ تَقَطَّعُ ! (٢٤)
وَآثَارُ عِرْفَانٍ تُضِىءُ كَأَنَّمَا ... تَنَاثَرَ حَوْلَ النِّيلِ عِقْدٌ مُرَصَّعُ (٢٥)
دَعُونَا نُبَاهِى بِالحَيَاةِ فَطَالَمَا ... طَوَى أُمَمَ الشَّرْقِ الحيَاءُ المُقَنَّعُ ! (٢٦)
خَلَعْنَا رِدَاءً رَثَّ مِنْ طُولِ لُبْسِهِ ... وَكُلُّ رِدَاءٍ رَثَّ بِاللُّبْسِ يُخْلَعُ (٢٧)
صَحَا الشَّرْقُ وَانْجَابَ الكَرَى عَنْ عُيُونِهِ ... وَلَيْسَ لِمَنْ رَامَ الكَوَاكِبَ مَضْجَعُ ! (٢٨)
إِذا كَانَ فِى أَحْلامِ مَاضِيهِ رَائِعًا ... فَنَهْضَتُهُ الكُبْرَى أَجَلُّ وَأَرْوَعُ ! (٢٩)
تَوَحَّدَ حَتَى صَارَ قَلْبًا تَحُوطُهُ ... قُلُوبٌ مِنَ العُرْبِ الكِرَامِ وَأَضْلُعُ (٣٠)
وَأَرْسَلَهَا فِى الخَافِقَيْنِ وَثِيقَةً ... لَهَا الحُبُّ يُمْلِى وَالوَفَاءُ يُوَقِّعُ (٣١)
لَقَدْ كَانَ حُلْمًا أَنْ نَرَى الشَّرْقَ وَحْدَةً ... وَلَكِنْ مِنَ الأَحْلامِ مَا يَتَوَقَّعُ (٣٢)

---

(٢٠) شبا : حد طرفه .

(٢١) مشرع : مورد الماء .

(٢٢) أسباب السماء : نواحى وطرق السماء . المتطلع : الناظر إلى الأمام – الطموح .

(٢٣) الخافقين : أفقا المشرق والمغرب لأن الليل والنهار يخفقان فيهما . الفراعين : لقب ملوك مصر القدماء . مودع : محفوظ .

(٢٤) تروم : تريد . شأوها : غايتها وأمدها .

(٢٦) المقنع : واضعًا قناع يقصد الحياء الزائف .

(٢٧) رث : بالى .

(٢٨) الكرى : النوم . رام : أراد . مضجع : موضع النوم .

إذا عُــدِّدَتْ رَايَــاتُــهُ فَهِىَ رَايَـةٌ   وَإنْ كَثُـرَتْ أوْطَـانُـهُ فَهْىَ مَـوْضِعُ (٣٣)
فَلَيْسَتْ حُـدُودُ الأرْضِ تَفْصِلُ بَيْنَنَـا   لَنَـا الشَّرْقُ حَـدٌّ ، وَالعُـرُوبَـةُ مَوْقِعُ (٣٤)
تَـذُوبُ حُشَاشَـاتُ العَـوَاصِمِ حَسْرَةً   إذَا دَمِيَتْ مِـنْ كَفٍّ بَغْـدَادَ إصْبَعُ! (٣٥)
وَلَـوْ صُدِعَتْ فِـى سَفْحِ لُبْنَانَ صَخْرَةٌ   لَـدَكَّ ذُرَا الأهْـرَامِ هَـذَا التَّصَـدُّعُ ! (٣٦)
وَلَـوْ بَـرَدَى أَنَّتْ لِخَطْبٍ مِيَـاهُـهُ   لَسَالَتْ بِـوَادِى النِّيلِ لِلنِّيلِ أدْمُعُ ! (٣٧)
وَلَـوْ مَسَّ رَضْـوَى عَـاصِفُ الرِّيحِ مَرَّةً   لَبَـاتَتْ لَـهُ أكْبَـادُنَـا تَتَقَطَّعُ ! (٣٨)
أُولَئِكَ أَبْنَـاءُ العُـرُوبَـةِ مَـا لَهُمْ   عَنْ الفَضْلِ مَنْأَى ، أَوْ عَنْ المَجْـدِ مَنْزَعُ (٣٩)
هُمُ فِى ظِـلالِ الحَقِّ جَمْعٌ مُـوَحَّـدٌ   وَعِنْـدَ التِقَـاءِ الـرَّأْيِ فَـرْدٌ مُجَمَّعُ (٤٠)
وَقَـدْ يُـدْرِكُ الغَـايَـاتِ رَأْىٌ مُـدَرَّعٌ   إذَا نَـاءَ بِـالأمْـرِ الكَمِىُّ المـدَرَّعُ (٤١)
لَهُـمْ أَمَلٌ لا يَنْتَهِـى عِنْـدَ مَطْلَبٍ   لَقَـدْ ذَلَّ مَنْ يُعْطَـى القَلِيلَ فَيَقْنَـعُ (٤٢)
غُبَـارُ رَحَى الهَيْجَـاءِ فِى لَهَـوَاتِهِمْ   مِنَ الشَّهْـدِ أَحْلَى، أَوْ مِنَ المِسْكِ أَضْـوَعُ(٤٣)
إذَا لَـمْ يَكُنْ حِلْـمُ الحَلِيـمِ بِنَـافِعٍ   فَإنَّ صِـدَامَ الجَهْلِ بِـالجَهْلِ أَنْفَعُ ! (٤٤)
سَلُـوا عَنْهُمُ عَمْـرًا وَسَعْـدًا وَخَـالِـدًا   وَمُلْكًـا لَـهُ يَـرْنُـو الـزَّمَـانُ فَيَخْشَعُ (٤٥)

---

(٣٥) حشاشات : موضع القلب من الجسم . دميت : أصيبت بالجراح .

(٣٦) صدعت : تشققت : دك : كسر وهدم . ذرا : قمم - أعالى .

(٣٧) بردى : نهر بسوريا .

(٣٨) رضوى : جبل رضوى الشهير بالحجاز .

(٣٩) منأى : مكان بعيد . منزع : مقتلع الشيء من مكانه .

(٤١) مدرع: محمى - مستعد. ناء : كل وتعب. الكمى : الشجاع المحارب . المدرع : لابس درع الحرب .

(٤٣) رحى : حومة . الهيجاء : الحرب . لهواتهم : جمع لهاة وهى الزائدة اللحمية فى مؤخر سقف الحلق يقصد فى حلوقهم . أضوع : منتشر الرائحة .

(٤٥) عمروا : عمرو بن العاص . سعد : سعد بن أبى وقاص . خالد : خالد بن الوليد والثلاثة من أشهر قواد العرب فى الحروب فى فجر الإسلام . يرنو : ينظر . يخشع : يخضع .

تَحَــدَّثَتِ الــدُّنْيَـا بِهِمْ فِى شَبَـابِهَــا وَجَـــاءَتْ إِلَى أَبْنَـــائِهِـمْ تَتَطَلَّعُ (٤٦)

* * *

فَيَـا زُعَمَــاءَ الشَّـرْقِ ، وَالشَّـرْقُ أُمَّـةٌ عَلَى الدَّهْـرِ لا تَفْنَى وَلاَ تَتَضَعْضَعُ (٤٧)

نَـزَلْتُمْ كَـأَطْيَـافِ الـرَّبِيعِ بَشَــاشَـةً يُضَـاحِكُكُمْ رَوْضٌ مِنَ النِّيلِ مُمْـرِعُ (٤٨)

وَخَلَّفْتُمْ أَهْــلاً كِــرَامًــا وَأَرْبُعًــا فَحَيَّـــاكُـمُ أَهْلٌ كِـــرَامٌ وَأَرْبُـعُ (٤٩)

هُنَـا عَلَمُ الشَّـرْقِ الَّــذى فِى يَمِينِكُمْ سَتَعْنُـو لَـهُ الأَيَّـامُ وَالـدَّهْـرُ أَجْمَعُ ! (٥٠)

فَسِيــرُوا بِحَمْــدِ اللهِ لِلْحَقِّ عُصْبَــةً وَإِنْ أَسْرَعَتْ دُهْـمُ اللَّيَالِى فَأَسْرِعُوا (٥١)

فَفِى هِمَّـــةِ الفَــارُوقِ أَفْيَــاءُ عِــزَّةٍ وَرُكْنٌ عَلَى الــلأْوَاءِ لاَ يَتَـزَعْـزَعُ (٥٢)

دَعَــانَــا إِلَى الجُلَّى فَأَكْـرِمْ بِمَنْ دَعَــا إلى الوَحْدَةِ الـوُثْقَى وَأَعْزِزْ بِمَنْ دُعُوا !(٥٣)

مَلِيكٌ لَــهُ عَــزْمٌ هُـوَ السَّيْفُ مَـاضِيًـا وَرَأْىٌ إِذَا مَـــا أَظْلَمَ الشَّـكُّ أَلْمَعُ (٥٤)

أَعَـادَ إِلَى الشَّـرْقِ الشَّبَــابَ وَقَـدْ مَضَى وَأَيْأَسَ مَـا يُرْجَـى الشَّبَابُ المُـوَدَّعُ (٥٥)

فَــلاَ زَالَ دَوْحًــا لِلْعُــرُوبَــةِ ، وَارِفًــا يُغَنِّى بِــذِكْـرَاهِ الــزَّمَــانُ وَيَسْجَعُ (٥٦)

---

(٤٨) أطياف الربيع : أحلام الربيع . بشاشة : بشرًا وسرورًا . ممرع : كثير المرعى أى به خضرة .

(٤٩) أربعا : جمع ربع وهو الحى - المكان - محل .

(٥١) عصبة : جماعة . دهم : ظلمة .

(٥٢) الفاروق : فاروق ملك مصر حينئذ . أفياء : ظل . اللأواء : الشدة .

(٥٣) الجلّى : عظيم الأمور . أعزز : أكرم .

(٥٤) ماضيا : حادا .

(٥٥) المودع : الذاهب .

(٥٦) دوحا : شجرة عظيمة . وارفا : مظلاً . يسجع : يتكلم كلامًا مقفي وسجع الحمام : صوت الحمام .

خُلــود

نظم الشاعر هذه القصيدة في ذكرى الشاعرين أحمد شوقي وحافظ إبراهيم عام ١٩٤٧م .

ضَلَّ شِعْــرِى وَنَــدَّ عَنِّى بَيَــانِى ... مَا عَلَى الشَّـاعِرَيْنِ لَوْ أَرْشَدانِى ؟ (١)

ضَـاعَ فِى ظُلْمَــةِ المَشِيبِ أَنِينُنَـا ... وَبَكَى فِى الصِّبَا بَيَـاضَ الأَمَـانِى (٢)

مِــزْهَــرٌ أَنَّ فِى قِفَــارِ فَــلاةٍ ... وَابْنُ غُصْنٍ شَــدَا بِـلا أَغْصَـانِ ! (٣)

بَيْنَ قَــوْمٍ مَــارَنَّ فِى سَمْعِهِمْ أَحْـ ... ـلَى نَشِيــدًا مِنْ أَصْفَــرٍ رَنَّــانِ (٤)

صَـدَفَتْهُـمْ عَنْ خَـالِـدِ الفَنِّ أَضْغَـا ... ثٌ وَزَهْـوٌ مِنْ كَـاذِبِ العَيْشِ فَـانِى (٥)

هَــاتِ سَمْعًــا أُسْمِعْـكَ رَائِعَ أَنْغَـا ... مِى ، وَإِلاَّ فَـاذْهَبْ وَدَعْنِى وَشَـانِى (٦)

أَنَــا فِى أُمَّــةٍ بِهَــا جَـدْوَلُ الضَّــرْ ... بِ طَغَى سَيْلُــهُ عَلَى الأَذْهَــانِ (٧)

إِنْ رَأَوْا صَفْحَــةً بِهَــا بَيْتُ شِعْــرٍ ... تَــرَكُـوهُ يَبْكِى عَلَى كُلِّ بَــانِى (٨)

صِحْتُ فِيهِمْ فَعَــادَ صَوْتِى مَعَ الـرِّيـ ... ـحِ ، وَعَــادَتْ حَزِينَــةً أَلْحَــانِى (٩)

فِى كَسَــادِ القَــرِيـضِ أَخْفَيْتُ دُرِّى ... وَخَــزَنْتُ الغَـرِيبَ مِـنْ مَـرْجَـانِى (١٠)

---

(١) ضل : تاه وضاع .

(٣) مزهر : العود الذى يضرب به . أن : أخرج صوتًا هو أنين الحزين . قفار : أرض لا نبات فيها . فلاة : صحراء . ابن غصن : المقصود الطير المغرّد . شدا : غنى .

(٤) أصفر رنان : الذهب ورنينه والمقصود النقود عامة .

(٥) صدفتهم : ألهتهم – أبعدتهم – أمالتهم . أضغاث : أحلام. زهو: تكبر . فانى : زائل .

(١٠) كساد : بوار . القريض : الشعر . درى : نسبة إلى الدر أى الجواهر . خزنت : حفظت فى الخزائن . مرجاني : حجر كريم نادر وثمين .

وَتَمَنَّيْتُ كُلَّ شَيءٍ عَلَى الـــلَّـــهِ سِوَى أَنْ أَعِيشَ مِنْ أَوْزَانِى (١١)
كُلُّ شِبْرٍ بِمِصْرَ خِصْبٌ عَلَى الهرَّا جِ ، جَدْبُ الثَّرَى عَلَى الفَنَّانِ ! (١٢)

* * *

سَكَتَ العَنْدَلِيبُ فِى وَحْشَةِ الدَّوْ حِ ، وَغَنَّتْ نَوَاعِقُ الغِرْبَانِ (١٣)
فَسَمِعْنَا مِنَ النُّشُوزِ أفَانِيـــنَ يُرَوِّعْنَ صَادِحَ الأَفْنَانِ (١٤)
أَسْمَعُونَا بِرَغْمِنَا فَصَبَرْنَا ثُمَّ ثُرْنَا غَيْظًا عَلَى الآذَانِ (١٥)
جَلَبُوا لِلْقَرِيضِ ثَوْبًا مِنَ الغَرْ بِ ، وَلَمْ يَجْلِبُوا سِوَى الأَكْفَانِ ! (١٦)
ثُمَّ قَالُوا مُجَدِّدُونَ فَأَهْلاً بِصَنَادِيدِ أُخْرَيَاتِ الزَّمَانِ ! (١٧)
لا تَثُورُوا عَلَى تُرَاثِ امْرِىءِ القَيْـــسِ ، وَصُونُوا دِيبَاجَةَ الذُّبْيَانِى (١٨)
وَاتْرُكُوا هَذِهِ المعَاوِلَ بِاللَّـــهِ ، فَإِنِّى أَخْشَى عَلَى البُنْيَانِ (١٩)
وَاحْفَظُوا اللَّفْظَ وَالأَسَالِيبَ والذَّوْ قَ ، وَهَاتُوا مَا شِئْتُمُ مِنْ مَعَانِى (٢٠)
مَا لِسَانُ القَرِيضِ مِنْ عَرَبِىٍّ كَلِسَانِ القَرِيضِ مِنْ طُمْطُمَانِى ! (٢١)

---

(١١) أوزانى : نسبة إلى أوزان الشعر .
(١٢) الهراج : المهرج . جدب الثرى : أرض قحط لا نبات فيها ولا ثمر .
(١٣) العندليب : طائر مغرد والشاعر يقصد نفسه . وحشة : الخلوة المخيفة . نواعق : صوت الغراب . الغربان : جمع غراب وهو الطائر المعروف .
(١٤) النشوز : الخروج عن المألوف . يروعن : يخفن . صادح الأفنان : المغنىّ بين الأغصان والمقصود الطيور ذات الصوت الجميل .
(١٧) صناديد : السادة الشجعان الشرفاء والمقصود هنا التهكم .
(١٨) تراث : ما ورثناه من مجد سالف . امرؤ القيس : شاعر جاهلى كبير أحد أصحاب المعلقات السبع . ديباجة : مقدمة والمقصود الشعر . الذبيانى : هو النابغة الذبيانى الشاعر الجاهلى العظيم وهو أيضًا أحد أصحاب المعلقات .
(١٩) المعاول : جمع معول وهو الذى يستعمل فى الهدم .
(٢١) لسان القريض : قول الشعر . طمطمانى : صاحب الكلام غير المفهوم .

إِنَّمَــا الشِّعْــرُ قِطْعَــةٌ مِنْكَ لَيْسَتْ   مِنْ دِمَــاءِ الـلاَّتِينِ وَالْيُـونَـانِ (٢٢)
كُـلُّ فَـنٍّ لَـــــهُ مَكَـــــانٌ وَأَهْلٌ   إِنْ غَـدَا الْعِلْمُ مَـا لَـهُ مِنْ مَكَـانِ (٢٣)
إِنْ رَأَيْتُمْ أُخُــوَّةَ الْعُــودِ لِلْجَـــزْ   بَنْـدِ ، فَــابْكُـوا سُـلاَلَـةَ الْعِيـدَانِ (٢٤)
لاَ يَهُـــزُّ النَّخِيلَ إِلاَّ حَنَــانُ النَّـــ   ـــايِ ، فِى صَمْتِ لَيْلَةٍ مِنْ حَنَـانِ ! (٢٥)
وِجْهَـةُ الشَّـرْقِ غَيْرُهَــا وِجْهَـةُ الْغَـــ   ـــرْبِ ، فَأَنَّـى وَكَيْفَ يَلْتَقِيَــانِ ! (٢٦)

* * *

أَيْنَ عَهْـدُ الشَّبَــابِ وَاللَّهْـوِ يَــا شِعْـــ   ـرُ ؟ وَأَيْنَ الْهَـوَى ؟ وَأَيْنَ الْمَغَـانِى ؟ (٢٧)
ذَبُلَ الْــوَرْدُ وَانْقَضَى مَـوْسِمُ الرَّيْحَــ   ـــانِ ، وَاحَسْرَتَـا عَلَى الرَّيْحَـانِ ! (٢٨)
وَانْطَـوَى مَجْلِسُ الصِّحَـابِ بِمَنْ فِيـــ   ـــهِ وَمَــا فِيــهِ مِنْ أَمَــانٍ لِـدَانِ (٢٩)
كَــانَ أَشْهَـى لِلنَّفْسِ مِنْ حَسْـــوَةِ الْكَأْ   سِ، وَأَحْلَى مِنْ صَادِحَاتِ الأَغَانِى (٣٠)
لَمْ تَــدُرْ كَأْسُـــــهُ عَلَى وَاغِلٍ فَــدْ   مٍ ، وَلاَ وَاكِلٍ عَنِ الْمَجْـــدِ وَانِى (٣١)
يُنْشَـرُ الشِّعْــرُ فِيــهِ كَــالـزَّهْـرِ رَيَّـا   نَ ، بِلَحْنٍ مِنَ الصِّبَـــا رَيَّـــانِ (٣٢)
كَـانَ فِيـهِ « شَوْقِـى » وَكَانَ « أَبـو الْحِفْـ   ـظِ » وَ « حِفنِى » وَجُمْلَـةُ الإِخْوانِ (٣٣)
وَ « إِمَــامُ الْعَبْـدِ » الَّـذى كَــانَ رَمْـزًا   لِتَــآخِى الْمِصْــرِىِّ وَالسُّـــودَانِى (٣٤)

---

(٢٢) اللاتين واليونان : يقصد كل ما هو غير عربى .

(٢٤) العود: هو آلة موسيقية من آلات الموسيقى الشرقية. الجازبند : آلة موسيقية غربية . سلالة : نسل .

(٢٩) لدان : قريبة .

(٣٠) حسوة: امتلاء الكأس بالشراب. صادحات:المغنيات بصوت مرتفع .

(٣١) واغل : مسرف فى الشراب . فدم : عيىّ وغبى . واكل : معتمد على الغير . وانى : مقصر .

(٣٢) ريّان : مرتوى .

(٣٣) شوقى : أحمد شوقى الشاعر الكبير . أبو الحفظ : كناية عن الشاعر حافظ إبراهيم . حفنى هو الشاعر الأديب حفنى ناصف .

(٣٤) إمام العبد : أحد ظرفاء مصر وأدبائها وشعرائها وكان معاصرًا للشاعر .

كَـانَ شَـوْقِى يُصْغِى وَمَا كَـانَ يُصْغِى هُـوَ فِى عَـالَمٍ مِـنَ الفَنِّ ثَـانِى ! (٣٥)
كُلَّمـا مَـدَّ رَأْسَـهُ يَـرْقُبُ الـوَحْـ ىَ ، رَأَيْـتَ العَيْنَيْنِ تَخْتَلِجَـانِ (٣٦)
ثُمَّ يُغْضِـى مُهَمْهِمًـا مِثْلَمَـا جَـرَّ بْتَ بِـالْجَسِّ شَـادِيَـاتِ المَثَـانِى (٣٧)
يَنْظِمُ الشِّعْـرَ وَهُـوَ يُلْقِـى الأَحَـادِيـ ثَ ، فَيَأْتِى بِـآبِـدَاتِ البَيَـانِ (٣٨)
رُوحُـهُ فِى السَّمَـاءِ ، وهُـوَ عَلَى الأَرْ ضِ ، كِـلا العَـالَمَيْنِ مُخْتَلِفَـانِ (٣٩)
هُـوَ شَوْقِـى جِسْمًا يُـرَى وَيُنَـاجَى وَهْـوَ فِـى الشِّعْـرِ طَـائِفٌ نُـورَانِى (٤٠)
شَـرْكَسِىٌّ أَعْيَـا عَلَـى العُـرْبِ مَأْتَـا هُ ، فَحَسَّـانُ لَيْسَ بِـالْحَسَّـانِ (٤١)
وَلَـهُ فِى المَـدِيحِ مَـا لَمْ يُـدَانِيـ ـهِ ابْنُ عَبْـدانَ فِى بَنِى حَمْـدَانِ (٤٢)
حِكْمَـةٌ مَشْـرِقِيَّـةٌ ، فِى خَيَـالٍ فَـارِسِىٍّ ، فِى مَنْطِقٍ عَـدْنَـانِى (٤٣)
يَنْثُـرُ الـدُّرَّ عَبْقَـرِيًّـا عَجِيبًـا لَيْسَ مِنْ « مَسْقَطٍ » وَلاَ مِنْ «عُمَانِ» (٤٤)
أَنَـا بِـالـدُّرِّ أَخْبَـرُ النَّـاسِ لَكِنْ ذَلِكَ النَّـوْعُ نَـدَّ عَنْ إِمْكَـانِى ! (٤٥)
فَـاسْأَلاَ كُلَّ جَـوْهَـرِىٍّ فَـإِنْ قَـا لَ لَـدَيْـهِ مِثْلٌ لَـهُ فَـاسْأَلانِى (٤٦)
يَـا خَلِيلَىَّ لاَ تَهِيجَـا لِىَ الـذِّكْـ ـرَى ، فَقَـدْ نَالَنِى الَّذِى قَـدْ كَفَانِى (٤٧)
نَـاوِلاَنِـى بِـاللهِ دِيـوَانَ شَـوْقِى لأَرَاهُ كَعَهْـدِهِ وَيَـرَانِـى (٤٨)

---

(٣٧) المثانى : العظام .
(٣٨) آبدات : العويص – البعيد .
(٤١) شركسى : إشارة إلى أصله من بلاد الشركس . مأتاه : ما أتى به من البيان العربى الأصيل . حسان : هو حسان بن ثابت شاعر الرسول عليه الصلاة والسلام .
(٤٢) ابن عبدان : هو الشاعر العربى الشهير أبو الطيّب المتنبى .
(٤٤) مسقط وعمان : إشارة إلى شهرة البلدين فى صيد اللؤلؤ .
(٤٥) ندّ : شرد .
(٤٦) جوهرى : تاجر الجواهر والأحجار الكريمة .

ثُمَّ سِيـرًا عَلَى الأَصَـابِعِ فِى صَمْـ ـتٍ ، وَفِى حَضْرَةِ « الأَمِيرِ » دَعَانِى (٤٩)
مَـرَّةً أَلْتَقِى بِـهِ أَمْلَـدَ العُـ ـودِ نَضِيرَ الصِّبَـا طَلِيقَ العِنَـانِ (٥٠)
بَيْـنَ رَاحٍ وَرَوْضَـةٍ وَغَـدِيـرٍ وَحِسَـانٍ ، مَضَى زَمَـانُ الْحِسَـانِ ! (٥١)
وَوُجُـوهُ الآمَـالِ أَزْهَى مِنَ الـزَّهْـ ـرِ ، وَغُصْنُ الشَّبـابِ فِى رَيْعَـانِ (٥٢)
غَـزَلٌ أَذْهَلَ الغَـوَانِـى عَنِ الحُسْـ ـنِ ، وَمِنْ أَيْنَ مِثْلُـهُ لِلْغَـوانِى ؟ (٥٣)
حِينَ يَشْـدُو يُصْغى لَـهُ الطَّيْـرُ حَيْـرا نَ مَغِيظًـا مُسَـائِلاً مَنْ حَكَـانِى ؟ (٥٤)
ذَاكَ صَـوْتٌ بِـهِ خُصِصْتَ مِنَ اللَّـ ـهِ ، فَمِنْ أَيْنَ جَـاءَ لِلْإِنْسَـانِ ؟ (٥٥)
يَصِفُ الجِسْـرَ وَالجَـزِيـرَةَ تَهتَـ ـزُّ حَـوَالَيْـهِ هِـزَّةَ النَّشْـوَانِ (٥٦)
فِى ثِيَـابٍ مِنْ الطَّبِيعَـةِ وَشَّـا هـا كَمـا شَـاءَ مُبْدِعُ الأَلْـوَانِ (٥٧)
وَيَـرَى حُبَّـهُ لِـدَوْلَـةِ عُثْمَـا نَ شِعَـارًا لِصَـادِقِ الإِيمَـانِ (٥٨)
ذَاكَ شِعْـرُ الشَّبَـابِ وَالـدَّارُ دارٌ وَأَيَـادِى « العَبَّـاسِ » بِيضٌ دَوَانِى (٥٩)

* * *

ثُمَّ أَلْقَـاهُ وَهْـوَ فِى الأَسْـرِ يَشْكُـو فَيُثِيـرُ الكَمِينَ مِنْ أَشْجَـانِى (٦٠)
وَيُنَـاجِى بِشِعْـرِهِ « نَـائِحَ الطَّلْـ ـحِ » فَيُبْكِيـهِ مِثْلَمَـا أَبْكَـانِى (٦١)

---

(٤٩) الأمير : إشارة إلى لقب الشاعر أحمد شوقى « أمير الشعراء » .
(٥٠) أملد : ناعم.العود : القد . طليق العنان : غير مقيد .
(٥١) راح : الخمر .
(٥٦) الجسر: المقصود جسر قصر النيل . الجزيرة : حيّ الجزيرة عنده .
(٥٧) وشاها : لونها ونقشها .
(٥٨) دولة عثمان : الدولة العثمانية لأنها دولة إسلامية .
(٥٩) العباس : خديوى مصر وقت شوقى . دوانى : قريبة العطاء .
(٦١) نائح الطلح : باكى أرض الوطن إشارة إلى قصيدة شوقى : يا نائح الطلح أشباه عوادينا : نأسى لواديك أم تأسى لوادينا ، كتبها فى المنفى معارضًا الشاعر ابن زيدون القائل : أضحى التنائى بديلاً عن تدانينا : وناب عن طيب لقيانا تجافينا .

زُحِمَتْ مِصْـرُ بِـالبُغَـاثِ مِنَ الطَّيْـــرِ ، وَعِيقَ الشَّادِى عَنِ الطَّيَرَانِ !(٦٢)
أَسَـرُوهُ لِيَحْبِسُـوا صَـوْتَـهُ العَـالِى ، فَنَادَى بِصَوْتِهِ الخَافِقَانِ (٦٣)
اِحْبِسُـوا السَّيْلَ إِنْ قَـدَرْتُمْ وَسُـدُّوا إِنْ أَرَدْتُمْ مَنَـافِـذَ البُـرْكَـانِ (٦٤)
وَدَعُـوا الشِّعْـرَفَهْـوَ طَيْـرٌ مِنَ الفِرْدَوْسِ يَأْبَى مَسِيسَهُ بِـالْبَنَـانِ (٦٥)
ثُمَّ طَـارَ الهَـزَارُ لِلْعُشِّ غِـرِّيـــدًا وَعَـادَ الغَـرِيبُ لِلْأَوْطَـانِ ! (٦٦)
عَـادَ « زِرْيَـابُ » بَعْـدَ أَنْ زَادَ أَوْتَـارًا لأَوْتَـارِ عُـودِهِ المِـرْنَـانِ (٦٧)
فَتَغَنَّى بِمِصْـرَ فِى مَـوْكِبِ الشَّـرْقِ ، وَعِزِّ التَّـاجَيْنِ وَالصَّـوْلَجانِ (٦٨)
وَشَـدَا بِـالشُّمُـوسِ مِنْ عَبْـدِ شَمْسٍ وَالغَطَـارِيفِ مِنْ بَنِى مَـرْوَانِ (٦٩)
أَلْهَبَ العَـزْمَ فِى بَنِى مِصْـرَ نَـارًا أَىُّ خَيْـرٍ فِى هَـذِهِ النِّيـرانِ ! (٧٠)
وَدَعَـا بِـالشَّبَـابِ فَـابْتَـدَرُوا السَّبْـقَ ، وَآمَـالُ مِصْـرَ فِى الشُّبَـانِ (٧١)
وَالـرِّوَايَـاتُ أَعْجَـزَتْ كُلَّ شَيْطَـانٍ ، وَأَعْيَتْ فِى وَصْفِهَـا شَيْطَـانِى (٧٢)
حِكْمَـةُ الشَّيْـبِ فِى مِرَاسِ التَّجَـارِيـبِ ، وَفِكْـرٌ أَمْضَى شَبًا مِـنْ سِنَانِ (٧٣)
جَنَتِ السِّنُّ مَـا جَنَتْ غَيْـرَ عَقْلٍ زَادَ بِـالسِّنِّ صَـوْلَـةً وَلِسَـانِ (٧٤)

---

(٦٢) زحمت : ازدحمت . البغاث : الضعيف المتهافت . عيق : منع وحبس .
(٦٣) الخافقان : أفقا المشرق والمغرب لأن الليل والنهار يخفقان فيهما .
(٦٦) الهزار : طائر من الطيور المغرّدة .
(٦٧) زرياب : مُغَن عظيم فى العصر العباسى . المرنان : الرنّان .
(٦٩) الشموس : الملوك . عبد شمس : من سادة العرب القدماء . الغطريف : السادة النجباء . بنى مروان : ملوك الدولة الأموية فى الأندلس .
(٧١) ابتدروا : بادروا . السبق : السباق والتطلع نحو المجد .
(٧٢) الروايات : إشارة إلى روايات شوقى الشعرية . شيطان : المقصود شيطان الشعر . أعيت : أتعبت .
(٧٣) مراس : الممارسة والمعالجة . التجاريب : حنكة الأمور وتجربتها . أمضى : أحدّ . شبا : كل شيء حدّ طرفه . سنان : سنان الرمح .
(٧٤) جنت : حصلت – حصدت . السن : العمر والسنون . صولة : وثبة .

كُلَّمَا هَدَّتِ اللَّيالِى قُواهُ   بَلَغَ الشِّعْرُ قِمَّةَ العُنْفُوَانِ (٧٥)
شِعْرُ شَوْقِى وَدِيعَةُ الزَّمَنِ البَا   قِى ، وَشَوْقِى وَدِيعَةُ الرَّحْمَنِ ! (٧٦)

* * *

قَدْ شُغِلْنَا عَنْ حَافِظٍ بِأَمِيرِ الشِّعْـ   ـرِ ، وَيْلِى ! لَوْ كَانَ يَدْرِى لَحَانِى (٧٧)
كَانَ يَجْرِى عَلَى أَعِنَّةِ شَوْقِى   وَيُعانِى مِنْ رَكْضِهِ مَا يُعانِى (٧٨)
لا الجَوادَانِ فِى النِّجَارِ سَوَاءٌ   حِينَ تَبْلُوهُمَا وَلا الفَارِسَانِ (٧٩)
يُلْهِبُ الشِّعْرَ حَافِظٌ أَرْعَنَ السَّوْ   طِ ، وَشَوْقِى فِى آخِرِ المَيْدَانِ ! (٨٠)
لَيْتَ شِعْرَ القَرِيضِ أَىُّ سِباقٍ   بَيْنَ شِعْرَيْهِمَا ؟ وَأَىُّ رِهَانِ ! ؟ (٨١)
حَافِظٌ زَيَّنَ القَرِيضَ بِفَنٍّ   بُحْتُرِىٍّ عَذْبٍ رَشِيقِ المَبَانِى (٨٢)
لَفْظُهُ فِى يَدَيْهِ يَخْتَارُ مِنْهُ   صَحْفَةُ الدُّرِّ فِى يَدَىْ دِهْقَانِ (٨٣)
وَلَكَمْ قَدْ أَعَادَ بَيْتًا مِرَارًا   بَاحِثًا عَنْ فَرِيدَةٍ مِنْ جُمَانِ (٨٤)
يَتَقَرَّى فِى الشِّعْرِ مَيْلَ الجَمَـ   ـاهِيرِ ، لِيَحْظَى بِصَيْحَةِ اسْتِحْسَانِ (٨٥)
جَالَ فِى حَوْمَةِ السِّيَاسَةِ ، وَثَّا   بًا ، فَأَذْكَى حَمَاسَةَ الفِتْيَانِ (٨٦)
وَرَمَى الاحْتِلالَ حُرًّا جَرِيئًا   وَتَحَدَّى « العَمِيدَ » ثَبْتَ الْجَنَانِ (٨٧)

---

(٧٧) لحانى : لامنى .
(٧٨) أعنة : يد اللجام للفرس . وركضه : جريه .
(٧٩) النجار : الأصل . تبلوهما : تختبرهما .
(٨٢) بحترى : نسبة إلى البحترى الشاعر العباسي العظيم .
(٨٣) صحفة الدر : وعاء الدر . دهقان : تاجر الجواهر .
(٨٤) جمان : حبّات تصنع من الفضة كالدرر .
(٨٥) يتقرى : يختار - يسعى .
(٨٦) جال : طاف . حومة السياسة : معظم الميدان .
(٨٧) الاحتلال : الاستعمار الإنجليزى لمصر . العميد : المعتمد البريطانى الذى كان يعتبر الحاكم الفعلى لمصر حينئذ . ثبت الجنان : ثابت القلب .

فِي زَمَــانٍ قَــدْ ذَلَّ كُــلُّ إِبَــاءٍ فِيـهِ ، وَانْقَادَ كُلُّ صَعْبِ الْحِـرانِ (٨٨)
وَظَفَّــــوهُ فَأَسْكَتُـــــوه فَأَلْقَى شِعْـرَهُ فِي مَهَــامِـهِ النِّسْيَــانِ (٨٩)
وَيْحَ هَـذَا الكَرْوانِ اهَلْ رَاقَـهُ الحَبْـ ـسُ وَأَغْرَاهُ عَسْجَـدُ القُضْبَـانِ ؟ (٩٠)
هَشَّمُـوا نَـابَيْ « ابْنِ بُـرْدٍ » وَحَـالُـوا بَيْنَ كَـاسِ الطِّلاَ وَبَيْنَ ابْنِ هَـانِي ! (٩١)
كَـانَ شَـوْقِي وَحَـافِظٌ إِنْ دَجَى الخَطْـ ـبُ ، شُعَاعَيْنِ فِـي الدُّجَى يَلْمَعَانِ (٩٢)
« فَهُمَـــا فِي أَوَاخِـرِ اللَّيْلِ فَجْـرا نِ ، وَفِي أُولَيَـــاتِـهِ شَفَقَـانِ » (٩٣)

* * *

أَيُّهَـا الشَّـاعِـرَانِ قَـدْ صَـوَّحَ الـدَّوْ حُ ، وَوَلَّتْ بَشَـاشَـةُ البُسْتَـانِ ! (٩٤)
وَخَــلا الــرَّبْعُ لا قِــرَاعُ كُئُـوسٍ ضَـاحِكَـاتٍ ، وَلاَ رَنِينُ قِيَـانٍ ! (٩٥)
وَتَــوَلَّـى القُطَّـــانُ لَمْ يَبْقَ إِلاَّ حَسَـراتٌ لِفُـرْقَـةِ القُطَّـانِ ! (٩٦)
وَمَضَى الـرَّكْبُ بِـالـرِّفَـاقِ وَخَـلاَّ نِي وَحِيـدًا أَبْكِي عَلَى خِـلاَّنِي (٩٧)
أَيُّهَـا الشَّــاعِـرَانِ فِي جَنَّـةِ الْخُلْـ ـدِ ، هَنَـاءً بِـالْخُلْـدِ وَالـرِّضْـوَانِ (٩٨)
مَهِّـدَا لِـي إِلَى جِـوَارِكُمَـا مَثْـ ـــوًى ، إِذَا آنَ لِلـرَّحِيـلِ أَوَانِي (٩٩)

---

(٨٨) إباء : عزة وأنفة . انقاد : تبع . صعب الحران : لا ينقاد بسهولة .

(٨٩) مهامه : المفازات البعيدة .

(٩٠) عسجد : الذهب .

(٩١) نابىّ : أسنان . ابن برد : الشاعر العباسى بشار بن برد ويقصد الشاعر حافظ إبراهيم . كأس الطلا : كأس الخمر . ابن هانى : هو أبو نواس الحسن بن هانى وكان مشهورًا بوصف الخمر .

(٩٢) دجى : أظلم . الدجى : الظلمة .

(٩٣) شفقان : مثنى شفق وهو ضوء الشمس وحمرتها قبل الغروب والبيت للمعرى .

(٩٤) صوّح : جف - يبس . الدوح : الشجر العظيم . ولت : ذهبت .

(٩٥) الربع : الحىّ - المكان . قراع : صوت كؤوس الشراب عندما تتخبط . قيان : الإماء المغنيات .

(٩٦) القطان : المقيمون بالمكان .

(٩٩) مثوى : مكان ينام فيه .

الشَّـــباب

نشرت هذه القصيدة بمجلة الهلال فى سنة ١٩٤٧م .

أَهَبْتُ بِـــالشِّعْـــرِ أَنْ يَعُـــودَا إِلَى الصِّبَـــا نَـــاعِمًـــا رَغِيـــدًا (١)
يَـــذْكُـــرُ مَـــا مَـــرَّ مِنْ عُهُـــودٍ للهِ مَـــا أَنْضَـــرَ العُهُـــودَا ! (٢)
فِـى كُـلِّ يَـــوْمٍ أَرَى فَنَـــاءً وَهْـــوَ يَـــرَى حَـــوْلَـــهُ خُلُـــودَا (٣)
طَـــارَ حَثِيثًـــا بِكُـلِّ أُفْقٍ كَمَّـــا مَشَتْ خُطْـــوَتِى وَئِيـــدا (٤)
وَصَـــوَّحَتْ دَوْحَتِـى ، وَمَـــالَـتْ وَلَمْ يَـــزَلْ صَـــادِحًـــا غَـــرِيـــدًا (٥)
يَـأْخُـــذُ مَـــا أَبْقَتْ اللَّيَـــالِـى وَيَبْتَغِى فَـــوْقَـــهُ مَـــزِيـــدًا (٦)
تَجَـــارِبِى البَـــاكِيَـــاتُ عَـــادَتْ تَجْـــرِى بِأَوْتَـــارِهِ نَشِيـــدًا (٧)
فِـى حِكْمَـــةِ الشَّيْبِ لِـى عَـــزَاءٌ وَكَمْ وَعِيـــدٍ حَـــوى وُعُـــودَا ! (٨)
كَـــادَتْ أَيَـــادِيـــهِ وَهْىَ بِيضٌ تُنْسِـى حُلِىَّ الشَّبَـــابِ سُـــودَا (٩)

* * *

عَلَـــوْتُ طَـــوْدَ الـــزَّمَـــانِ حَتَّى رَأَيْتُ مِـنْ فَـــوْقِـــهِ الـــوُجُـــودَا (١٠)

---

(١) أهبت : دعوت .

(٥) صوحت : جفت . دوحتى : الدوحة الشجرة الكبيرة . مالت : انثنت .

(٨) وعيد : تهديد . حوى : اشتمل . وعودا : بالخير .

(٩) حلى : زينة .

(١٠) طود : الجبل العظيم .

وَبَـــانَ مَـــا لَمْ يَبِنْ لِغَيْـــرِى   وَكَـــانَ عَنْ عَيْنِـــهِ بَعِيـــدًا (١١)

كَـــانَ شَبَـــابِى رَفِيقَ عُمْـــرِى   فَعِشْتُ مِنْ بَعْـــدِهِ وَحِيـــدًا (١٢)

غَـــابَ فَلَمَّـــا مَضَى وَوَلَّى   جَعَلْتُ شِعْـــرِى لَـــهُ بَـرِيـــدًا (١٣)

أَبْعَثُ بِـــالشَّـــوْقِ كُلَّ يَـــوْمٍ   وَيَبْعَـثُ الهَجْـــرَ وَالصُّـــدُودَا (١٤)

وَكَمْ مَحَـــوْتُ السُّطُـــورَ لَمَّـــا   أَحْسَبُهَـــا لِلصِّبَـــا خُـــدُودَا (١٥)

يُصَـــوِّرُ الحُـبَّ فِى إطَـــارٍ   فَأُبْصِـــرُ الغِيـــدَ فِيـــهِ غِيـــدًا (١٦)

وَيَـــرْسُمُ المَـــاضِىَ المُـــوَلِّى   كَعَهْـــدِهِ بَـــاسِمًـــا سَعِيـــدًا (١٧)

أَلْمَـحُ شَخْصِى بِـــــهِ كَـأَنِّى   أَلْمَحُ شَخْصًـــا بِـــهِ جَـــدِيـــدًا (١٨)

أَيْـــنَ وُرُودِى وَأَيْـــنَ كَـأْسِـــى ؟   مَـــاذا دَهَى الكَأْسَ وَالـــوُرُودَا ؟ (١٩)

لَـمْ يَبْقَ مِنِّى سِـــوَى لِسَـــانٍ   يُجِيـــدُ مَـــا شَـــاءَ أَنْ يُجِيـــدَا (٢٠)

وَفِكْـــرَةٍ صُـــوِّرَتْ نُضَـــارًا   وَحِكْمَـــةٍ نُظِّمَتْ عُقُـــودًا (٢١)

* * *

فَيَـــا شَبَـــابَ البِـــلادِ صُـــونُـــوا   شَـــرْخَ الصِّبَـــا قَبْلَ أَنْ يَبِيـــدَا (٢٢)

يَعُـــودُ فِى الكَـــوْنِ كُلُّ شَىءٍ   وَذَاهِـبُ العُمْـــرِ لَـنْ يَعُـــودَا (٢٣)

إِنْ اشْتَكَـــى النِّيـــلُ مَـــسَّ ضَيْـــمٍ   فَحَـــرِّمُـــوا حَـــوْلَـــهُ الـــوُرُودَا (٢٤)

تِجَـــارَةُ الـــرِّقِ قَـــدْ تَـــوَلَّتْ   فَمَـــا لَنَـــا نَلْمَحُ القُيُـــودَا (٢٥)

---

(١٤) الصدود : الإعراض .

(٢١) نضارا : الـذهب وقيل هو الخالص من كل شيء . نظمت عقـودًا : انتظمت فى هيئة عقد وهـو الذى تتحلى به النساء .

(٢٢) شرخ الصبا : أول الشباب . يبيدا : يذهب ويندثر ويباد .

(٢٤) ضيم : ظلم . الورودا : إتيان الماء من منهله .

(٢٥) الرق : العبودية .

قَدْ ذَهَبَ العُمْرُ فِى جِدالٍ كُنَّا لِنِيرانِهِ وَقُودَا (٢٦)

لاَ يُدْرِكُ السُّؤْلَ غَيْرُ عَزْمٍ مُثَابِرٍ يَقْرَعُ الحَدِيدَا (٢٧)

فَأَيْقِظُوا مِصْرَ مِنْ جَدِيدٍ فَإِنَّهَا مَلَّتِ الرُّقُودَا (٢٨)

لا تَرْسُمُوا لِلطُّمُوحِ حَدًّا فَالمَجْدُ لا يَعْرِفُ الحُدُودَا (٢٩)

العِلْمُ أَمْضَى مِنَ المَوَاضِى فَجَرِّدُوا نَحْوَهُ الجُهُودَا (٣٠)

مِصْرُ تُرِيدُ السَّمَاءَ وَثْبًا وَأَوَّلُ النُّجْحِ أَنْ تُرِيدَا (٣١)

المَجْمَعُ اللّغَوِىّ

ألقيت فى الاحتفال بالدورة الثانية لمجمع اللغة العربية سنة ١٩٣٤م.

ذِكْـرَيَـاتٌ رَدَّدَ الـدَّهْـرُ صَـدَاهَـا ... وَعُهُـودٌ يَحْسُدُ المِسْكُ شَذَاهَـا (١)
وَصَـلَ العُـرْبُ الغَطَـارِيفُ إلَـى ... غَـايَـةٍ ، لا تَبْلُغُ الطَّيْـرُ ذُرَاهَـا (٢)
وَجَـرَوْا صَـوْبَ العُـلاَ فِى طَلَقٍ ... زَاحَمَ الأَنْجُمَ وَاجْتَازَ مَـدَاهَـا (٣)
تَقِفُ الأَوْهَـامُ حَسْـرَى دُونَـهُ ... لاهِثَـاتٍ قَصَّـرَ الأَيْنُ خُطَـاهَـا (٤)
مَـرَّ بِـالشَّمْسِ فَلَمْ تَشْعُـرْ بِـهِ ... إذْ جَـرَى إلاّ ظُنُـونًـا وَاشْتِبَـاهَـا (٥)
أُمَّـةُ الصَّحْـرَاءِ أَقْـوَى جَلَـدًا ... مِنْ مَهَـارِيهـا وَأَهْـدَى مِنْ قَطَـاهَـا (٦)
صَخْـرُهَـا أَوْحَى إليْهَـا عَـزْمَـةً ... مِنْ بَنِى رَضْـوَى وَثَهْـلاَنَ بَنَـاهَـا (٧)
وَسُكُـونُ البِيـدِ فِى رَهْبَتِهَـا ... جَـرَّدَ الـرُّوحَ وَبِـالنُّـورِ كَسَـاهَـا (٨)

---

(٢) الغطاريف: السادة الشرفاء . الواحد : غطريف . الذرا: جمع ذروة ، وهى من كل شىء أعلاه .
(٤) الأوهام : خطرات القلوب . حسرى : كليلة منقطعة من طول المدى . الأين : الإعياء .
(٦) يريد بأمة الصحراء : العرب بنزولهم البوادى والصحارى. الجلد : الأيد والقوة . المهارى : الإبل المهرية ، نسبة إلى مهرة بن حيدان ، حىّ من العرب انمازت إبله عما سواها . ويضرب بالإبل المثل فى الجلد وقوة الاحتمال . القطا : ضرب من الطير عرف بقوة اهتدائه إلى مكانه .
(٧) يريد بصخرها : آكامها وجبالها . رضوى وثهلان : جبلان ببلاد العرب .
(٨) البيد : جمع بيداء ، وهى الصحراء . الرهبة : الخشية والسكون . جرد : خلصها مما يشغلها وجعلها صافية . وبالنور كساها : أى جعلها من الحق على صلة ومن الهداية والتوفيق على بينة .

رُبَّ صَدْرٍ نَافَسَ الْحِلْمُ بِهِ كُلَّ صَحْرَاءَ بَعِيدٍ مُنْتَهَاهَا (٩)
وَخِلاَلٍ أَنْبَتَ الْجَدْبُ بِهَا عِزَّةَ اليَأْسِ فَمَا لاَنَتْ قَنَاهَا (١٠)
أَبَتِ الضَّيْمَ فَمَا مَدَّتْ يَدًا لِذَوِي النُّعْمَى وَلَمْ تَعْفِرِ جِبَاهَا (١١)
تَحْفَظُ العِرْضَ مَصُونًا نَاصِعًا وَإِلَى الطُّرَّاقِ مَبْذُولٌ قِرَاهَا (١٢)
أُمَمٌ إِنْ يَهْلِكَ المَالُ ، فَإِنْ لُمِسَتْ أَعْرَاضُهَا حَلَّتْ حُبَاهَا (١٣)
رَدَّدَتْ أَشْعَارَهَا شَمْسُ الضُّحَا وَسِرَاجُ اللَّيْلِ لَمَّا أَنْ تَلاَهَا (١٤)
آيَةٌ مِنْ نَفْحَةِ اللهِ ، فَلَوْ كَانَ لِلنِّسْيَانِ كَفٌّ مَا مَحَاهَا (١٥)
رَوْضَةٌ قَدْ لَقَّبُوهَا كَلِمًا تُخْجِلُ الْحُسْنَ إِذَا الْحُسْنُ رَآهَا (١٦)
كَمْ حَكِيمٍ أُوتِيَ الْحُكْمَ فَتَى وَفَتَاةٍ مَلأَ التِّبْيَانُ فَاهَا (١٧)
تُرْسِلُ الأَمْثَالَ تَسْرِي شُرَّدًا لا تُبَالِي أَيْنَمَا كَانَ سُرَاهَا (١٨)
قِفْ عَلَى الأَطْلالِ وَاذْكُرْ أُمَّةً خَلَّدَ الأَطْلاَلَ مَأْثُورُ بُكَاهَا (١٩)
بَعَثَ اللهُ بِهَا نُورَ الْهُدَى مِنْ قُرَيْشٍ فَاصْطَفَاهُ وَاصْطَفَاهَا (٢٠)
أَشْرَقَ الصُّبْحُ عَلَى الدُّنْيَا بِهِ بَعْدَ أَنْ طَالَ عَلَى الدُّنْيَا دُجَاهَا (٢١)

---

(١٠) القناة : الرمح . لينها : كناية عن الضعف والاستكانة .

(١١) الضيم : الذل والصغار . ذوو النعمى : ذوو اليسار وعفر الجباه : كناية عن الضعة والمهانة .

(١٢) الطراق : الطارقون الذين ينزلون طلبًا للضيافة . القرى : ما يقدم للضيف .

(١٣) الأمم : الهين السهل . حل الحبا : كناية عن التحول للحرب والغارة والاحتباء (فى الأصل) أن يجمع الرجل بين ظهره وساقيه برباط ، فإذا تهيأ للقيام أزاله .

(١٤) سراج الليل : القمر .

(١٧) التبيان : البيان والإفصاح .

(١٩) الأطلال : جمع طلل ، وهو ما بقى من آثار الديار . والمأثور : ما يحفظ ويؤثر من كل مليح .

(٢٠) يريد « بنور الهدى » : رسول الله (صلى اللّـه عليه وسلم) . قريش : قبيلته . اصطفاه : اختاره من بين خلقه وخصه برسالته .

وَجَـرَى فِـى الأَرْضِ يَنْبُـوعُ هُـدًى | بَعْـدَ أَنْ حَـرَّقَهـا حَـرُّ صَدَاهـا (٢٢)
قَلَّـدَ الفُصْحَـى حُلًى قُـدْسِيَّـةً | فَـزَهَـاهـا مِنْ حُـلاَهـا مَـازَهَـاهَـا (٢٣)
وَبَيَـانًـا هَـنـاشِمِيًّـا لَـوْ رَمَى | قُلَلَ الأجبَـالِ لانْهَـدَّتْ قُـوَاهـا (٢٤)
أَسْهُـمٌ مِـنْ كَلِمٍ مَسْنُـونَـةٌ | جَـاهَـدَتْ فِى اللهِ وَاللهُ بَـرَاهـا (٢٥)
كُلَّمَـا صَـاحَ بِهـا فِـى طَيْبَـةٍ | مُسْتَثِيـرًا رَدَّدَتْهـا لاَبَتَـاهـا (٢٦)
يَـزْعُمُ الشِّعْـرُ سَفَـاهًـا أَنَّـهُ | لَـوْ عَفَتْ عَنْهُ القَـوَافِى لَحَكَـاهـا (٢٧)
نَـزَلَ القُـرْآنُ بِـالضَّـادِ فَلَـوْ | لَمْ يَكُـنْ فِيهَـا سِـوَاهُ لَكَفَـاهـا (٢٨)
حَسْبُهـا أَنْ صَـوَّرَتْ مِنْ آيِـهِ | مُعْجِـزَاتٍ عَظُمَتْ أَنْ تَتَنَـاهَى (٢٩)
وَبَنُـو مَـرْوَانَ لِلّـهِ هُمُ | عُـدَّةُ الفُصْحَى وَحُـرَّاسُ حِمَاهَا (٣٠)
رُبَّ مَأْثُـورٍ لَهُـمْ وَدَّ لَـهُ | صَـدَفُ اللُّـؤْلُـؤِ لَـوْ كَـانَ شِفَـاهـا (٣١)
خُطَـبٌ هُـزَّ لَهـا مِنْبَـرُهُـمْ | يَقْـذِفُ الهَـوْلَ دِرَاكًـا مَنْ رَمَاهـا (٣٢)

---

(٢٢) حرقها : أجف أوراقها وأيبس . عودها . حر الصدى : حرقة العطش .
(٢٣) يريد بالفصحى : اللغة العربية . قدسية : ربانية مقدسة . فزهاها : ملأها عجبًا وزهوًا .
(٢٤) هـاشميًا : نسبـة إلى بنى هاشم ، آل رسـول اللـه (صلى الله عليـه وسلم) . وقلل الأجبال : قممهـا . الواحدة : قلة .
(٢٥) براها : هيأها للرمى .
(٢٦) طيبة : مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم. مستثيرًا : مثيـرًا وموقظًا . لابتاها : حرتاها . الحرة : الأرض ذات حجارة سود .. وبالمدينة لابتان . ورددتها لابتاها : أى كررت صوتها ليسمعه العالم .
(٢٧) سفاها : ضلالاً وغرورًا . عفت عنه القوافى : سامحته فى التقيد بها . حكاها : ماثلها .
(٢٨) بالضاد : أى باللغة العربية وسميت بلغة الضاد . لخلو اللغات الأخرى منها .
(٢٩) آية : آيات القرآن . وعظمت أن تتناهى : أى جلت عن أن تنتهى إلى غاية من الإعجاز والقوة .
(٣٠) بنو مروان : ملوك الدولة الأموية . والحمى : ما يجب عليك حياطته والذود عنه .
(٣١) تود الأصداف لو قامت له مقام الشفاه .
(٣٢) دراكا : متتابعًا : يدرك بعضه بعضًا .

وَقَــوَافٍ سَلْ أَبَــا حَــزرَتِهَــا وَسَلِ الأَخْطَلَ كَيْفَ ابْتَـدَعَـاهَـا (٣٣)
طُفْ بِبَغْــدَادَ وَسَلْ آثَــارَهَــا أَيُّ سِــرٍّ كَتَمَتْـهُ شَفَتَــاهَــا ! (٣٤)
كُلُّ رَسْمٍ قَــدْ وَعَى نَــادِرَةً لَـوْ جَـرَى النُّطْقُ عَلَيْـهِ لَحَكَـاهَـا (٣٥)
مَشَتْ الــدُّنْيَــا إِلَيْهَــا تَتَّقِي سُخْطَ بَغْـدَادَ وَتَسْتَجْـدِي رِضَـاهَـا (٣٦)
وَأَبُــو المَأْمُــونِ فِي مَمْلَكَــةٍ يَتَحَـدَّى المُـزْنَ أَنْ تَعْـدُو قُـرَاهَـا (٣٧)
بَلَغَتْ بِنْـتُ قُـــرَيْشٍ ذِرْوَةً بِبَنِي العَبَّـاسِ صَعْبًا مُـرْتَقَاهَـا (٣٨)
بَيْنَ شِعْــرٍ كَأَزَاهِيــرِ الــرُّبَــا عَكَفَ الغَيْثُ عَلَيْهَــا فَسَقَـاهَـا (٣٩)
هُــوَ دَلٌّ رَدَّدَتْــهُ قَيْنَــةٌ وَهْـوَ وَجْـدٌ فَـاضَ مِنْ نَفْسٍ فَتَـاهَـا (٤٠)
وَعُلُــومٍ تُــرْجِمَتْ وَاسْتُنْبِطَتْ وَفُصُـولٍ بَهَرَ الــدُّنْيَـا حِجَـاهَـا (٤١)
آبِــدَاتُ القَــوْلِ وَلَّتْ بَعْــدَهُمْ طَيَّبَ اللهُ ثَــرَاهُمْ وَثَــرَاهَــا ! (٤٢)
يَــا بَنِي العَبَّــاسِ فِي مَصْــرَعِكُمْ عِظَـةُ الكَـوْنِ وَعَـاهَـا مَنْ وَعَـاهَـا (٤٣)
أُطْفِـيءَ النُّــورُ وَدَالَـتْ دَوْلَــةٌ وَطَـوَى الـدَّهْرُ المُنَى حِينَ طَـوَاهَـا (٤٤)
شَــدَّ هُـولاَكُــو عَلَى أَرْبَـاضِهـا شَـدَّةَ الـذُّؤْبَـانِ أَبْصَـرْنَ شِيَـاهَـا (٤٥)

---

(٣٣) أبو حزرتها : جرير . وهو والأخطل شاعران أمويان معروفان . وابتدعاها : خلقاها .
(٣٤) بغداد : عاصمة العراق ، وقديمًا كانت مقر الدولة العباسية فشهدت عهدًا من أزهى العهود .
(٣٥) الرسم : ما بقى من آثار الدار . نادرة : قصة طريفة مفردة .
(٣٧) أبو المأمون : هـو الرشيد . المزن : السحاب ، يشير إلى قول الرشيد حين رأى سحابة عـارضة فقال : أمطرى حيث شئت أن تمطرى ، فلن تمطرى إلا حيث سلطانى وملكى .
(٣٨) بنت قريش : هى اللغة لعربية . الذروة من كل شىء : أعلاه . مرتقاها : الرقى إليها .
(٤٠) الدل : التمنع مع رغبة . القينة : الجارية أو المغنية . والوجد : الشوق .
(٤١) الحجا : العقل ، ويريد أثره .
(٤٢) آبدات القول : نوادره وبدائعه .
(٤٥) هولاكـو : هو الـزعيم التترى الذى ثل عـرش الدولـة العباسية . الأربـاض : جمع ربض وهو مـا حول المدينة . الشياه : جمع شاه .

وَجَرَى مِنْ حَوْلِهِ عِقْبَانُهُ | كُلَّمَا أَطْعَمَهَا هَاجَ ضَرَاهَا (٤٦)
لَهْفَ نَفْسِي بِنْتُ عَدْنَانَ هَوَتْ | وَأُسُودُ الغِيلِ قَدْ دِيسَ شَرَاهَا ! (٤٧)
سَائِلُوا دِجْلَةَ عَمَّا رَاعَهَا | أَوْ دَعُوهَا فَكَفَاهَا مَا دَهَاهَا (٤٨)
قَذَفَ الكُتْبَ بِهَا طَاغِيَةٌ | هَلْ دَرَى مَا كَنَزَتْهُ دَفَّتَاهَا ؟ (٤٩)
فَتَأَمَّلْ إِذْ جَرَى آذِيُّهَا | أَتَرَى فِيهِ عُقُولاً أَمْ مِيَاهَا؟ (٥٠)
ذَهَبَ العَسْفُ بِآثَارِ النُّهَى | كَيْفَ تَحْيَا أُمَّةٌ ضَاعَتْ نُهَاهَا ؟ (٥١)
طَارَتِ الفُصْحَى لِمِصْرٍ تَبْتَغِي | نَاعِمَ العَيْشِ خَصِيبًا فِي ذَرَاهَا (٥٢)
بَقِيَتْ فِيهَا تُلاقِي شَظَفًا | فِي أَحَايِينَ ، وَفِي حِينٍ رَفَاهَا (٥٣)
ثُمَّ هَبَّتْ حَوْلَهَا عَاصِفَةٌ | خَلَطَ الذُّعْرُ ضُحَاهَا بِمَسَاهَا (٥٤)
وإِذَا نَجْمٌ بَدَا مُؤْتَلِقٌ | شَخَصَتْ نَحْوَ سَنَاهُ مُقْلَتَاهَا (٥٥)
وإِذَا مُنْقِذُ مِصْرٍ مَاثِلٌ | وَإِذَا مِصْرٌ وَقَدْ شُدَّتْ عُرَاهَا (٥٦)
وَإِذَا العِلْمُ يُدَوِّي صَوْتُهُ | وَإِذَا الضَّادُ أَضَاءَتْ صَفْحَتَاهَا (٥٧)

(٤٦) العقبان: جمع عقاب، وهو من الطيور الجارحة المعروفة بنهمها. ضراها : ما فيها من ولع ونهم بالعدوان والشراسة .

(٤٧) بنت عدنان : اللغة العربية . عدنان : جد من أجداد العرب . هوت : سقطت . الغيل : الشجر الملتف وإليه تأوى الأسود . الشرى : جبل بتهامة وطريق فى سلمى، وكلاهما معروف بكثرة أسده وشراستها .

(٤٨) دجلة: نهر معروف ، وهو والفرات يرويان العراق. راعها : أفزعها . دهاها : أصابها .

(٥٠) الآذى : الموج . ويريد بالعقول : نتاجها الذى حوته الكتب .

(٥١) العسف : الظلم . النهى : العقول ، ويريد آثارها .

(٥٢) طارت : خفت . ذراها : نواحيها .

(٥٣) الشظف : سوء العيش وخشونته . رفاها : رفاهية ونعيمًا .

(٥٥) مؤتلق : منير متلألىء . سناه : ضوءه . المقلتان : العينان .

(٥٦) يريد بمنقذ مصر : محمد على باشا . ماثل : حاضر. العرا : جمع عروة ، وهى أخت الزر. وشدّ العرا كناية عن القوة .

(٥٧) يدوي صوته : يرتفع عاليًا.وصفحتاها : وجهها، وللوجه صفحتان.

ظَفِـرَتْ بـالعَبْقَـرِىِّ المُـرْتَجَى فَـاسْتَجَـابَتْ لِلْعُـلا لَمَّـا دَعَـاهـا (٥٨)
دَوْلـةُ العِلْمِ بِـهِ رُدَّتْ إلَـى عَـرْشِ مِصْـرٍ بَعْـدَ أَنْ طَـالَ نَـواهـا (٥٩)
مَـنْ كَـإسْمـاعِيلَ فِى آلائِهِ يَنْفَـدُ القَـوْلُ وَلا يَفْنَـى جَـدَاهـا ؟ (٦٠)
زُهِيَتْ مِصْـرُ جَمَـالاً وَسَنَـا بِأَبِى الأَشْبـالِ ، وَاهْتَـزَّتْ رُبـاهـا (٦١)
تَخْجَـلُ السُّحْـبُ إذا مَـا وازَنَتْ مَـرَّةً بَيْنَ نَـدَاهُ وَنَـدَاهَـا (٦٢)
غَـرَسَ العِلْـمَ بِمِصْـرٍ دَوْحَـةً كُلَّمَـا أَخْضَلَهـا طَـابَ جَنَـاهـا (٦٣)
سَمَـتِ الآدابُ وَالـدُّنْيـا بِـهِ وَبَـدَتْ تَخْطِـرُ فِى أَزْهَـى حُـلاهـا (٦٤)
يـا ابْنَ إسْمَـاعِيـلَ يَـا ذُخْـرَ النُّهَى جَـدَّدَتْ مِصْـرُ بِكُمْ عَهْدَ صِبَاهَـا (٦٥)
كُلُّ أَشْتَـاتِ النَّـدَى إنْ فُـرِّقَتْ فَإلَـى بَـابِ فُـؤادٍ مُلْتَقَـاهَـا (٦٦)
هِمَّـةٌ شَـادَتْ بِمِصْـرٍ دَوْلَـةً صَـانَهـا الإنْصَـافُ وَالعِلْمُ وَقَـاهـا (٦٧)
مَسَحَتْ مِصْـرُ بِـهِ عَيْنَ الكَـرَى بَعْـدَ أَنْ طَـالَ عَلَى مِصْـرَ كَـرَاهـا (٦٨)
وَثَبَتْ وَثْبَتَهـا دائِبَـةً كُلَّمَـا أَجْهَـدَهـا السَّعْىُ زَجَـاهَـا (٦٩)
أَيْنَمَـا أَبْصَـرْتَ تَلْقَى نَهْضَـةً تَمْـلأُ العَيْنَ ، وَإِقْبَـالاً وَجَـاهَـا (٧٠)

---

(٥٩) نواها : بعدها .
(٦٠) الآلاء : النعم . الجدى : العطية والمنحة .
(٦١) زهيت : تاهت ودلّت . السنا : الإشراق والتلألؤ . أبو الأشبال : إسماعيل .
(٦٢) نداه : كرمه وجداه . نداها : مطرها .
(٦٣) أخضلها: أرواها. الجنى : ما تجتنيه من الثمر ، ويريد ثمار العلم .
(٦٤) سمت : نهضت . تخطر : تختال مزهوة مدلة .
(٦٥) ابن إسماعيل : هو الملك أحمد فؤاد . النهى : العقول . ذخرها : أنفس ما عندها .
(٦٦) الندى : الكرم . وأشتاته : ألوانه وأنواعه .
(٦٨) الكرى : النعاس . ومسح عين الكرى : كناية عن النهوض والانتعاش .
(٦٩) دائبة : غير متقطعة السعى . أجهدها : أضناها وأتعبها . زجاها : ساقها ودفعها .

وَقُصُـــورًا لاَمِعَـــاتٍ كَـــالضُّحَـــا رَدَّدَ العِـرْفَـانَ فِى مِصْـرَ صَدَاهـا (٧١)
يَـــا نَصِيــــرَ العِلْمِ فِى مَمْلَكَـــةٍ بَلَغَتْ بِـالْعِلْمِ غَـايَـاتِ مُنَاهـا (٧٢)
كُـلَّ يَـــــوْمٍ لَـكَ حَفْـلٌ لِلْعُـــــلا وَأَيَـادٍ تَبْهَــرُ الـدُّنْيَـا لُهَـاهَـا (٧٣)
وَجَـــدَتْ بِنْتُ قُـــرَيْشٍ مَـــوْئِلاً فِى ذَرَا المُلْكِ وَحِصْنًا مِنْ عِداهـا (٧٤)
لُغَـــةُ القُــرْآنِ تُــزْهَى شَــرَفًــا أَنَّ حَـامِى الدِّيـنِ وَالمُلْكِ حَمَاهَـا (٧٥)
حِكْمَــــةُ المَأْمُــونِ عَـــادَتْ دارُهـــا بِـابْنِ إِسْمَـاعِيلَ مِنْ بَعْـدِ بِـلاَهـا (٧٦)
مَجْمَعُ الفُصْحَى تَجَلَّى مُشْــرِقًـــا فِى سَمَـاءِ المَجْـدِ مُجْتَازًا سُهَـاهـا (٧٧)
هُـــو فِى مِصْــــرَ مَنَــــارٌ كُلَّمَـــا أَرْسَلَ الأَضْـواءَ فِى مِصْـرَ هَـدَاهـا (٧٨)
رَأَتْ البَصْـــــرَةُ فِيــــهِ حَفْلَهَـــا وَرَأَتْ بَغْــدَادُ فِيـــهِ مُنْتَــدَاهَـــا (٧٩)
مَنْ رَسُـــولِى لأَعَـــارِيــبِ اللِّـــوَى ؟ أَيْنَ أَعْـرَابُ اللِّـوَى؟ أَيْنَ لِـوَاهـا ؟ (٨٠)
أَنَّ مِصْـــــرًا بَعَثَــتْ آدَابَهَـــــــا وَأَبَـا الفَـارُوقِ قَـدْ أَحْيَـا لُغَـاهـا (٨١)
وَبَنَى اليَــــوْمَ عُكَـــاظًـــا ثَـــانِيًـــا تَـاهَ إِعْجَـابًـا بِـهِ الـدَّهْـرُ وَبَـاهَى (٨٢)
هَلْ حَبَــــا الآدَابَ تَـــاجٌ مِثْلَمَـــــا صَاحِبُ التَّاجِ بِمِصْـرٍ قَـدْ حَبَاهـا (٨٣)

---

(٧٢) غايات مناها : منتهى ما تصبو إليه .
(٧٣) لهاها : عطاياها ومنحها .
(٧٤) بنت قريش : اللغة العربية . الموئل : الحصن والملجأ . وفى ذرا الملك : فى كنفه .
(٧٦) البلى : الفناء . يشير إلى دار الحكمة التى كانت قائمة أيام المأمون شبّه بها المجمع .
(٧٧) تجلى : ظهروبدا . السهى : نجم يضرب به المثل فى العلو .
(٧٩) البصرة وبغداد : مدينتان لهما تاريخهما الزاهر بالحضارة العربية . المنتدى : مجتمع القوم للسمر والتشاور .
(٨٠) يريد « بأعاريب اللوى » العرب فى باديتهم . اللوى : منعطف الوادى .
(٨٢) عكاظ : سوق للعرب معروفة ، كانوا يتناشدون فيها الأشعار ويخطبون .
(٨٣) حبا : أعطى ومنح . تاج : أى صاحب تاج ، ويريد ملكا .

نَهَضَ التَّأْلِيفَ مِنْ كَبْــوَتِــهِ فَسَقَى الأَحْـلامَ رُشْـدًا وَغَـذَاهـا (٨٤)
كَمْ كِتَـــابٍ دَوَّنَتْ أَخْبــارَهُ مِنَنًـا ، كَـانَ فُـؤادُ مُبْتَـدَاهـا (٨٥)
رَحَلَ الأَعْـلامُ فِي الغَـرْبِ إِلَى سُـدَّةٍ يَسْطَعُ بِـالْعِلْـمِ سَنَـاهـا (٨٦)
ـرَأَوْا مَمْلَكَــةً وَثَّــابَــةً وَمَلِيكًـا بِهُـدَى اللهِ رَعَـاهـا (٨٧)
دُمْ فُــؤَادَ القُطْـرِ ، تَحْيَـا أُمَّـةٌ لَمْ يَكُنْ إِلاَّكَ يَـوْمًـا مُـرْتَجَـاهـا (٨٨)
وَسَمَـا الفَـارُوقُ نَجْمًـا سَـاطِعًـا لِبَنِي مِصْـرَ وَعُنْـوانَ عُـلاَهَـا (٨٩)

(٨٤) الكبوة : العثرة والسقطة . الأحلام : العقول . الرشد : الهدى والصلاح . غذاها : أمدها بما ينميها وينشئها .

(٨٥) المنن : العطايا . مبتداها : أصلها .

(٨٦) للسدة : بيت الملك . السنا : الضوء .

(٨٨) مرتجاها : أملها ورجاؤها .

الشَّيخُ الغَـــزِل

عام ١٩٢٤م

لنَـــا شَيْخٌ تَـــوَلَّى أطْيَبَـــاهُ يَهِيمُ بِحُبِّ رَبَّـــاتِ القُـــدُودِ (١)
يُغَـــازِلُ إذْ يُغَـــازِلُ مِنْ قِيَـــامٍ وَإنْ صَلَّى يُصَلِّي مِنْ قُعُـــودِ (٢)

---

(١) تولى : ذهب . أطيباه : الشباب وسعة العيش .

(٢) قعود : جلوس .

الدكتور على إبراهيم باشا

أنشدت هذه القصيدة فى قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة فى حفل تكريم الدكتور الجرّاح على إبراهيم باشا بمناسبة بلوغه سن الستين عام ١٩٤١م وكان وزيرًا للصحة حينئذ .

ذُؤابَــةُ مَجْـدٍ مَــا أَجَلَّ وَمَــا أَسْمَى ... وَوَثْبَــةُ شَـأْوٍ كَـادَ يَسْتَبِقُ النَّجْمَــا (١)

وَمــاذا يَقُولُ الشِّعْـرُ وَالـوَهْمُ جُهْـدُهُ ... وَقَدْرُ « عَلِىٍّ » يَبْهَرُ الشِّعْـرَ وَالوَهْمَا ؟ (٢)

وَأَنَّى يَمُــدُّ ابْنُ القَــوافِى جَنَــاحَــهُ ... إِلَى رَقْمَـةٍ شَمَّاءَ أَعْجَـزَتِ العُصْمَا ؟ (٣)

يَضِيقُ البَيَــانُ العَبْقَــرِىُّ مَهَــابَــةً ... إِذا لَمَحَ الآثـارَ وَالحَسَبَ الضَّخْمَـا (٤)

يَهُـمُّ فَيَعْــــرُوهُ القُصُــــورُ فَيَنْثَنِى ... وَقَـدْ كَـانَ يَقْتَـادُ النُّجُـومَ إِذَا هَمَّـا (٥)

وَمَنْ رَامَ تَصْــوِيـرَ المَـلائِكِ جَـاهِـدًا ... فَكَيْفَ لَهُ أَنْ يُحْكِمَ النَّقْشَ وَالرَّسْمَا ؟ (٦)

رُوَيْـدَكَ قُلْ يـا شِعْـرُ مَــا تَسْتَطِيعُـهُ ... وَغَــرِّدْ بِمــالا تَسْتَطِيعُ لَــهُ كَتْمَــا (٧)

إِذا اليَمُّ أَعْيَــــا أَنْ تُلِمَّ بِحَــــدِّهِ ... فَيَكْفِيكَ عِنْدَ الشَّـطِّ أَنْ تَصِفَ اليَمَّا (٨)

وَيَكْفِيكَ أَنْ تَـدْعُـو أَبـا الطِّبِّ بِـاسْمِـهِ ... فَإِنَّ العُـلا صَـارَتْ لَـهُ لَقَبًـا وَاسْمَـا (٩)

---

(١) ذؤابة كل شىء : أعلاه . شأو : الغاية والأمد .

(٣) ابن القوافى : الشاعر . شماء : عالية مرتفعة . العُصما : جمع أعصم وهو الظبى فى ذراعيه أو إحداهما بياض وهو أقدر الحيوان على تسلق الجبال .

(٥) يعروه : يصيبه . يقتاد : يقود .

(٦) يحكم : يتقن . النقش : الزخرفة .

(٨) اليم : البحر . تلم :تحيط .

(٩) أبا الطب : الدكتور على إبراهيم باشا .

فَقُلْ وانْثُرِ الأزْهَارَ فَوْقَ مَنَاقِبٍ   تُمَاثِلُها حُسْنًا ، وَتُشْبِهُهَا شَمًّا (١٠)
وَخُذْ مِنْ فَمِ الدُّنْيَا الثَّنَاءَ فَطَالَما   أشَادَتْ بِهِ نَثْرًا ، وَغَنَّتْ بِهِ نَظْمًا (١١)
وَحَدِّثْ بِهِ الآفَاقَ إنْ شِئْتَ ، إنَّها   وَقَدْ عَرَفَتْهُ ، لَنْ تَزِيدَ بِهِ عِلْمًا (١٢)

* * *

دَعُونِى أُوَفِّى بِالْقَرِيضِ دُيُونَهُ   فَقَدْ عَادَ غُرْمًا مَا تَوَهَّمْتُهُ غُنْمًا (١٣)
سَمَوْتُ إلَيْهِ ، وَالظَّلامُ يَلُفُّنِى   فَيَمْلَؤُنِى رُعْبًا ، وَأمْلَؤُهُ هَمًّا (١٤)
أسِيرُ وَفِى قَلْبِى مِنَ الحُزْنِ لَوْعَةٌ   تَكَادُ تُذِيبُ الصُّمَّ لَوْ مَسَّتِ الصُّمَّا (١٥)
تَرَكْتُ بِبَيْتِى جُثَّةً آدَمِيَّةً   كَأنَّ هِلالَ الشَّكِّ كَانَ لَها جِسْمَا (١٦)
شَكَتْ سُقْمَها حَتَى بَكَاهَا وِسَادُهَا   وَكَادَ عَلَيْها يَشْتَكِى السُّهْدَ وَالسُّقْمَا (١٧)
يُمَزِّقُهَا المَوْتُ العَنِيفُ صِرَاعُهُ   بِأظْفَارِهِ حُمْرًا ، وَأنْيَابِهِ سُحْمَا (١٨)
فَفِى البَطْنِ قَرْحٌ لا يَكُفُّ لَهِيبُهُ   وَفِى الرَّأسِ نَارٌ لا تَبُوخُ مِنَ الْحُمَّى (١٩)
إذا قَلَّبَتْهَا العَائِدَاتُ حَسِبْنَهَا   خَيالاً ، فَلاَ عَظْمًا يَرَيْنَ وَلا لَحْمَا (٢٠)
وَقَدْ وَقَفَ الطِّبُّ الحَدِيثُ حِيَالَهَا   عَيِيًّا ، يَكَادُ العَجْزُ يَقْتُلُهُ غَمًّا (٢١)

---

(١٠) شما : شم الطيب ، تنفس رائحته بهدوء .

(١٤) يقص الشاعر هنا ما أصاب إحدى قريباته من مرض عضال وما كان من عناية الممدوح بها حتى شفيت .

(١٥) الصم : الحجارة الصلبة الملساء .

(١٦) هلال الشك : هو يوم استطلاع هلال أول الشهر العربى حيث يكون الهلال دقيقًا ويكاد لا يرى .

(١٨) صراعه : قتله . سحما : سودا .

(١٩) قرح : ألم الجراح . لا تبوخ : لا تطفأ ولا تسكن .

(٢٠) العائدات : زائراتها اللائى يعطفن عليها .

(٢١) عيا : عاجزاً .

وَغَـــادَرَهَـــا جَمْعُ الأُسَـــاةِ كَـأنَّهُمْ طُيورٌ رَمَى الـرَّامِى بِدَوْحَتِهـا سَهْمَا (٢٢)
فَلَمْ يَبْـقَ إلاَّ اليَأْسُ ، وَاليَـأْسُ قَـــاتِلٌ وَأَقْتَلُ مِنْـهُ نِيَّـةٌ لَمْ تَجِـدْ عَـزْمَـا (٢٣)
فَقُلْتُ « عَلِىٌّ » لَيْـسَ لِـلأمْــرِ غَيْـرُهُ إذا مـا أَدَارَ الـدَّهْرُ صَفْحَتَـهُ جَهْمَـا (٢٤)
أَبُــو الحَسَـنِ الْجَـرَّاحُ فَخْــرُ بِـلادِهِ وَأَكْرَمُ مَنْ يُرْجَى ، وَأَشْرَفُ مَنْ يُسْمَى (٢٥)
فَـــزُرْ دَارَهُ يَلْقَـــاكَ قَبْـلَ نِــدَائِهِ فَثَمَّ الَّـذى تَـرْجُـوهُ مِنْ أَمَلٍ ثَمَّـا (٢٦)
فَمَـا سِــرْتُ نَحْوَ البَـابِ حَتـى رَأيْتُـهُ تَقَــدَّمَ بَسَّـامَ الأَسَـارِيـرِ مُهْتَمَّــا (٢٧)
وَقَـــدْ فَهِمَتْنِى عَيْنُـــهُ وَفَهِمْتُـــهُ وَكَــانَ بِحَمْـدِ اللهِ أَسْـرَعَنَا فَهْمَــا (٢٨)
وَجَـــاءَ وَجِبْــرِيلُ الأَمِيـنُ أَمَــامَـــهُ يَمُدُّ جَنـاحًا مِنْ حَنـانٍ وَمِنْ رُحْمَى (٢٩)
وَجَسَّ مَكَـــانَ الـــدَّاءِ أَوَّلَ نَظْـــرَةٍ كَأنَّ لَـهُ عِلْمًــا بِمَـوْضِعِـهِ قِـدْمَـا (٣٠)
فَمَـــا هُـــوَ إلاَّ مِبْضَعٌ فِـى يَمِينِـــهِ أطاحَ بِبَابِ المَوْتِ ، واسْتَأْصَلَ السُّمَّا (٣١)
وَرَدَّ إلَى أَهْلِـى حَيَـــاةً عَــزِيـــزَةً وَبَـدَّلَهُمْ مِنْ بُـؤْسِ أَيَّـامِهِمْ نُعْمَى (٣٢)
مَتَى ذَكَــرُوهُ فِى خُشُــوعٍ تَـــذَكَّــرُوا مَـآثِـرَهُ الْجُلَّى ، وَنَـائِلَـهُ الْجَمَّــا (٣٣)
إذَا مَــا امْــرُؤٌ أَهْــدَى الحَيَــاةَ لِمَيِّتٍ فَذَلِكَ قَـدْ أَهْدَى الـوُجُودَومـا ضَمَّا (٣٤)

* * *

لَــهُ مِبْضَعٌ تَجْــرِى الحَيَـاةُ بِحَــدِّهِ يُصِيبُ حُشاشَـاتِ المَنُونِ إذَا أَدْمَى(٣٥)

---

(٢٢) الأساة : الأطباء .
(٢٤) أدار الدهر صفحته . قلب وجهه . جهما : كالح الوجه عابسًا .
(٢٦) فثم : فهناك .
(٣٠) قدما : قديما .
(٣١) مبضع : مشرط .
(٣٣) الجلى : الظاهرة الواضحة . نائله : عطاياه . الجما : الكثيرة .
(٣٥) بحده : بنصله. حشاشات : ما بداخلها . أدمى : أنزل الدم .

أَحَنُّ عَلَى المَجْرُوحِ مِنْ أُمٍّ وَاجِدٍ ... وَأَرْفَقُ مِنْ طِفْلٍ إِذَا دَاعَبَ الأُمَّا (٣٦)

تَعَلَّمَ مِنْهُ البَرْقُ سُرْعَةَ خَطْفِهِ ... إِذَا مَاجَرَى يَسْتَأْصِلُ اللَّحْمَ وَالعَظْمَا (٣٧)

تَكَادُ وَقَدْ شَاهَدْتَ وَمْضَ مَضَائِهِ ... تَظُنُّ الَّذِى شَاهَدْتَ مِنْ عَجَبٍ حُلْمَا (٣٨)

كَأَنَّ بِهِ نُورًا مِنَ اللهِ سَاطِعًا ... يُضِيءُ لَهُ نَهْجَ الطَّرِيقِ إِذَا أَمَّا (٣٩)

أَصَابِعُ أَجْدَى خِبْرَةً مِنْ أَشِعَّةٍ ... وَأَصْدَقُ إِنْ مَرَّتْ عَلَى جَسَدٍ حُكْمَا (٤٠)

فَكَمْ مِنْ حَيَاةٍ فِى أَنَامِلِهَا الَّتِى ... تَكَادُ شِفَاهُ الطِّبِّ تَلْثِمُهَا لَثْمَا (٤١)

وَكَمْ مِنْ يَدٍ أَسْدَتْ، إِذَا شِئْتَ وَصْفَهَا ... ضَلِلْتَ بِهَا كَيْفًا، وَأَخْطَأْتَهَا كَمَّا (٤٢)

زَهَا الشَّرْقُ إِعْجَابًا بِهِ وَبِمِثْلِهِ ... وَقَدْ عَاشَ دَهْرًا قَبْلَهُ يَشْتَكِى العُقْمَا (٤٣)

إِذَا قَسَمَ اللهُ الكَرِيمُ لِأُمَّةٍ ... بِنَابِغَةٍ فَرْدٍ، فَقَدْ أَجْزَلَ القَسْمَا (٤٤)

* * *

هَنِيئًا لَكَ العُمْرُ السَّعِيدُ فَإِنَّهُ ... عُصَارَةُ دَهْرٍ ضَمَّتِ العَزْمَ وَالحَزْمَا (٤٥)

بَلَغْتَ بِهِ عُلْيَا السِّنِينَ وَكُلُّهَا ... مَدَارِجُ مَجْدٍ تَفْرَعُ القِمَمَ الشُّمَّا (٤٦)

كَأَنَّكَ مِنْهُ فَوْقَ ذِرْوَةِ شَامِخٍ ... تَرَى مِنْ أُمُورِ الدَّهْرِ أَبْعَدَهَا مَرْمَى (٤٧)

زَمَانٌ مَضَى فِى الجِدِّ مَا مَسَّ شُبْهَةً ... وَلَا وَصَلَتْ كَفُّ الزَّمَانِ بِهِ ذَمَّا (٤٨)

---

(٣٨) ومض : لمعان . مضائه : سرعته وهمته .

(٣٩) نهج : الطريق أبانه وأوضحه. أمّا : قصد .

(٤١) أناملها : أطراف الأصابع . تلثمها : تقبلها .

(٤٢) ضللت : لم تهتد إليه . كمّا : عددًا .

(٤٣) زها : افتخر . العقما : عدم الإنجاب .

(٤٤) أجزل : أكثر له العطاء .

(٤٦) تفرع : تزيد ارتفاعا . الشما : العالية .

(٤٧) ذروة : قمة الشيء وأعلاه . شامخ : شاهق .

(٤٨) وصلت : اتصلت . ذما : ضد المدح .

بَنَيْتَ بِـــهِ عِـــزًّا لِمِصْـــرَ فَأَيْنَمَـــا تَلَفَّتَّ تَلْقَى صَرْحَـهُ سَامِقًـا فَخْمَـا (٤٩)
بَـذَلْـتَ لَهَـا مِنْ صِحَّـةٍ وَرَفَـاهَــةٍ فَأَوْلَتْكَ حُبًّـا مَـا أَبَـرَّ وَمَـا أَسْمَى (٥٠)
وَأَلْهَمْتَهَـــا مَعْنَـى الثَّنَـــاءِ وَلَفْظَـــهُ كَرِيمًـا ، فَخُذْهُ اليَوْمَ مِنْ فِمِهـا نَغْمَا (٥١)
إِذَا كَـانَ لِلـــرَّحْمَنِ فِي النَّـاسِ آيَـةٌ فَإِنَّكَ بَيْـنَ النَّـاسِ آيَتُـهُ العُظْمَى (٥٢)
تَـلأْلُــؤُ رَأْيٍ يَسْلُبُ الشَّمْسَ ضَــوْءَهَا وَكَـامِلُ خُلْـقٍ عَلَّمَ القَمَـرَ التِّمَّـا (٥٣)
فَإِنْ كَـــرَّمَتْكَ اليَــوْمَ مِصْـــرُ فَإِنَّمَـا تُكَــرِّمُ مِنْ أَبْنَـائِهَـا رَجُـلاً شَهْمَـا (٥٤)
فَقُلْ لِلَّـذِي يَبْغِي لَحَـاقَكَ جَـاهِـدًا رُوَيْـدَكَ حَتَّى يَدْخُلَ الْجَمَلُ السَّمَّـا (٥٥)
إِذَا مَـا رَأَى النَّـاسُ الْمَكَـارِمَ حِلْيَـةً فَأَنْتَ تَـرَاهَا فِي العُـلاَ واجِبًا حَتْمَـا (٥٦)
فَعِشْ وَامْـلأْ الـــدُّنْيـا حَيَـاةً وَذِكْـرَةً فَمِثْلُكَ يُعْلِي ذِكْرَهُ العُرْبَ وَالعُجْمَا (٥٧)

---

(٤٩) صرحه: البناء العالى الشامخ . سامقا : عاليا .
(٥٠) رفاهة : سعة من العيش . أولتك : أعطتك .
(٥٢) آية : علامة .
(٥٣) تلألؤ : إضاءة . يسلب : يسرق . التما : الكمال .
(٥٥) رويدك : مهـلا . الجمل :هو الحيـوان المعروف أو الحبل الغليظ . السمّـا : الثقب وهنا اقتبـاس من الآية الكريمة : حتى يلج الجمل فى سمّ الخياط .
(٥٧) ذكره : ذكرى .

لَيــلة وليـــلى

١٩١٧م

وَلَيْلَـــةٍ حَـــالِكَـــةِ الْجِلْبَـــابِ أغْطَشَ مِنْ خَـــافِيَـــةِ الْغُـــرَابِ (١)
كَـأنَّهَـــا صَحِيفَـــةُ الْمُغْتَـــابِ أَوْ حَظُّ مَحْـــدُودٍ مِنَ الْكُتَّـــابِ (٢)
أَوْ غَمَراتُ الزَّاخِرِ الْخِضَمِّ (٣)
وَقَفْتُ فيهـــا وِقْفَـــةَ الْمُلْتَـــاحِ أُسَـــائِلُ النَّجْمَ عَـنِ الصَّبـــاحِ (٤)
فَقَـــالَ سَلْ عَنْـــهُ عَتِيقَ الـــرَّاحِ أَوْ وَجَنَـــاتِ الْخُـــرَّدِ الْمِـــلاَحِ (٥)
فَلَيْسَ لِى بِشَأْنِهِ مِنْ عِلْمِ (٦)
إِنِّى رَأَيْتُ الْعُـــرُبَ الْحِسَـــانَـــا يَصْبَغْنَ مِنْـــهُ الْخَـــدَّ وَالْبَنَـــانَـــا (٧)

---

(١) أغطش : أظلم . وخافية الغراب : واحدة الخوافى وهى ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت ، أو هى الأربع اللواتى بعد المناكب ، أو هى سبع ريشات بعد السبع المقدمات، أو هى ما دون الريشات العشر من مقدم الجناح .

(٢) المغتاب : الذى يذكر غيره بما يكره .

(٣) الغمرات: جمع غمرة وهى كثرة الماء . الزاخر : الطامى الممتلىء . الخضم : البحر .

(٤) الملتاح : المتغير من هم أو سفر أو نحوهما .

(٥) العتيق : القديم. الراح : الخمر . الخرّد : جمع خريدة وهى البكر لم تمس ، أو الخفرة الطويلة السكوت الخافضة الصوت المستترة .

(٧) العرب : جمع عروب وهى المرأة الضاحكة المتغزلة .

وَرَاهِبًـــا ، أَظُنُّــــهُ فُـــلاتَـــا أَخْضَـرَ بِـــالأَمْسِ هُنَـا دِنَـــانَـــا (٨)

وَرَاحَ وَهْىَ مُفْعَمَاتٌ تَهْمِى (٩)

يـــا ســـارِقـــاتِ الصُّبْحِ طَـــالَ لَيْلِى ! فَـــدَيْتُكُنَّ بَعْضَ هَـــذَا الـــدَّلِّ ! (١٠)

هلْ جـــازَ فِى دِينِ الغَـــرامِ ذُلِّى ؟ مَنْ لِى بِأَنْ أَلْقَى الصَّبَاحَ مَنْ لِى ؟ (١١)

بِاللَّمْحِ أَوْ بِاللَّمْسِ أَوْ بِاللَّثْمِ (١٢)

فِيكُـــنَّ ذاتُ حَسَـــبٍ ودِيـــنِ مُشْـــرِقَـــةُ الطَّلْعَـــةِ وَالْجَبِينِ (١٣)

كَأَنَّهـــا إِحْـــدَى الظِّبَـــاءِ الْعِينِ مَنْ عَـــاذِرِى فِيهَـــا ، وَمَنْ مُعِينِى ؟ (١٤)

عِيلَ بِهَا صَبْرِى وَطَاشَ حِلْمِى (١٥)

عَلِقْتُهَـــا صَـــامِتَـــةَ الْحَجْلَيْنِ أَنْصَعَ مِنْ سَبِيكَـــةِ اللُّجَيْـنِ (١٦)

حَـــوْراءَ مِـلءَ الْقَلْـبِ ، مِلءَ الْعَيْـنِ كَأَنَّهـــا اللِّقَـــاءُ بَعْـــدَ الْبَيْنِ (١٧)

أَوْ عَوْدَةُ الشِّفَاءِ بَعْدَ السُّقْمِ (١٨)

حَـــدِيثُهَـــا سُـــلافَـــةُ النَّـــدِيمِ وَخُلْقُهَـــا تَـــوَاضُعُ الْيَتِيـمِ (١٩)

فَـــدَيْتُهَـــا مِـنْ مَلَكٍ كَـــرِيـمِ ! تَعْـــرِفُ فِيهَـــا نَضْـــرَةَ النَّعِيمِ (٢٠)

أَنْقَى وأَصْفَى مِنْ نِطَافِ الغَيْمِ (٢١)

---

(٨) الراهب : عابد النصارى . الدنان : جمع دن وهو وعاء للخمر.

(٩) راح : رجع . مفعمات : مملوءات . تهمى : تسيل .

(١٤) العين : جمع عيناء وهى الحسنة العينين الواسعتهما .

(١٥) عيل صبرى : غلب . الحلم : الأناة والعقل .

(١٦) علقتها: هويتها وأحببتها . الحجل: الخلخال ، وصامتة الخلخالين أى لا يسمع لهما حس ، وذلك كناية عن امتلاء ساقيها . اللجين : الفضة .

(١٧) حوراء : صفة من الحور وهو شدة بياض العين فى شدة سوادها . البين : الفراق .

(١٩) السلافة : الخمر . النديم : من ينادمك أى يجالسك على الشراب .

(٢١) النطاف : جمع نطفة وهى الماء الصافى . الغيم : السحاب .

أَبْـــرَزْتَهَـــا يَـــوْمًـــا فَقُلْتُ وَاهَـــا !   قُتِلْتُ إِنْ شَـبَّـبْتُ فِـى سِـواهَـا ! (٢٢)

كَأَنَّهَـــا ، والْحُسْنُ قَـــدْ جَـــلاَّهَـــا   لُـــؤْلُـــؤَةٌ ، تَبْهَـــرُ مَـنْ رَآهَـــا (٢٣)

أَلْقَى بِها الْغَوّاصُ قُرْبَ الْيَمِّ (٢٤)

لَيْـــلاَىَ يَـــا مُضِيئَـــةَ اللَّيْـــلاَتِ !   يَـــا مَلَكَ الـــرَّحْمَـــةِ وَالنَّجَـــاةِ ! (٢٥)

عَـــرَفْتُ مِنْكِ كَـــرَمَ الصِّفَـــاتِ   وَقِيمَـــةَ الْحَيَـــاةِ فِـى الْحَيَـــاةِ (٢٦)

إِنْ كانَ لِى نُعْمٌ فَأَنْتِ نُعْمِى (٢٧)

---

(٢٣) جلاها : كشفها وأوضحها .تبهر : تغلب بحسنها .

(٢٧) نعم :اسم فتاة شبب بها عمرو بن أبى ربيعة .

الصلح بين القبائل

حينما زار الشاعر بغداد فى عام ١٩٣٩ مع صديقه حمد الباسل باشا، وُفِّقَا لعقد الصلح بين قبائل شمر والعبيد، بعد أن استمر العداء بينهما زمنًا طويلاً. وقد أقيمت بهذه المناسبة حفلة بدار السفارة المصرية أنشد الشاعر فيها هذه القصيدة.

أجَابَتْ نِدَاءَ الحَقِّ سُمْرُ العَوَاسِلِ ... وَعَادَتْ إلَى الأغْمَادِ بِيضُ المَنَاصِلِ (١)
وَقَرَّتْ قُلُوبٌ جَازِعَاتٌ خَوَافِقٌ ... وَخَالَطَ دَمْعُ البِشْرِ دَمْعَ الثَّوَاكِلِ (٢)
وَطَافَتْ عَلَى الشَّرِّ المُنَاجِزِ حِكْمَةٌ ... أطَاحَتْ بِمَا قَدْ حَاكَهُ مِنْ حَبَائِلِ (٣)
وَأطْفَأ نِيرَانَ العَدَاوَةِ وَابِلٌ ... مِنَ الْحِلْمِ، حَيَّا صَوْبَهُ كُلُّ وَابِلِ (٤)
وَصَفَّقَ بِالبُشْرَى الفُرَاتُ وَدِجْلَةٌ ... عَلَى نَغَمَاتِ السَّاجِعَاتِ الهَوَادِلِ (٥)
وَحَطَّمَتِ السِّلْمُ الحُسَامَ فَلَمْ تَدَعْ ... بِهِ بَعْدَ طُولِ الفَتْكِ غَيْرَ الحَمَائِلِ (٦)



(١) نداء الحق: يراد هنا السلام. سمر العواسل: الرماح. الأغماد: جمع غمد وهو الجراب الذى يوضع فيه السيف. بيض المناصل: السيوف.
(٢) قرّت: هدأت وسكنت. جازعات خوافق: خائفات مضطربات. الثواكل: النساء اللاتى فقدن أبناءهن.
(٣) المناجز: المقاتل. حاكه: صنعه.
(٤) وابل: المطر الشديد.
(٥) الفرات ودجلة: نهران بالعراق. الساجعات الهوادل: الحمام.
(٦) الحسام: السيف. الحمائل: علاّقة السيف.

فَلَيْتَ زُهَيْـرًا بَيْنَنَـا بَعْـدَ مَـا خَبَتْ لَظَى الْحَرْبِ وَانْجَابَـتْ غُيُومُ القَسَاطِلِ (٧)

هُـوَ السَّيْفُ أطْغَى مَـا خَضَعْتُمْ لِحُكْمِـهِ إذا مَا انْتَضَاهُ الحِقْدُ فِي كَفِّ جَاهِلِ (٨)

يُقَطِّعُ أوْشَـاجًـا عَلَيْنَـا عَـزِيـزَةً وَيَبْتُـرُ جَبَّـارًا كَـرِيمَ الـوَصَـائِلِ (٩)

يَسِيلُ دَمُ القُـرْبَى عَلَيْـهِ مُطَهَّـرًا أعـزَّ وَأزْكَى مِنْ نَجِيعِ الأصَـائِلِ (١٠)

أخِي ، أنْـتَ دِرْعِي إنْ ألَمَّـتْ مُلِمَّـةٌ وَإنْ فَـدَحَتْنِـي عـابِسَـاتُ النَّـوَازِلِ (١١)

أخِي ، أنْتَ مِنْ نَفْسِي ، دِماؤُكَ مِنْ دَمِي «فَإنْ كُنْتُ مَأْكُـولاً فَكُنْ خَيْـرَ آكِلِ» (١٢)

أأرْمِي أخِي ؟ يَا وَيْلَ مَـا صَنَعَتْ يَدِي ! فَيَـا لَيْتَهَـا كَـانَتْ بِغَيْـرِ أنَـامِلِ ! (١٣)

إذَا مَسَّنِـي خَطْـبٌ فَـأوَّلُ رَاكِـبِ يَخُـوضُ لِيَ الْجُلَّى ، وَأسْرَعُ نَـازِلِ (١٤)

أكَلْتُ دَمًـا إنْ لَمْ أذُدْ عَنْ حِيَـاضِـهِ كَـرِيمًـا ، وأدْفَعْ عَنْـهُ كَيْـدَ الغَـوائِلِ (١٥)

أُضَـاحِكُـهُ وَالقَلْبُ مَـا عَبَثَتْ بِـهِ لِئَامُ المَسَاعِي ، أوْ سُمُومُ الدَّخَائِلِ (١٦)

---

(٧) زهيرا : هو زهير بن أبى سلمى الشاعر الجاهلى العظيم وأحد أصحاب المعلقات فى الجاهلية واشتهر بحبه للسلام وكراهيته للحرب ، له معلقة مشهورة مطلعها : أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدرّاج فالمتثلم . دعا فيها للسلام ونفّر من الحرب وويلاتها إذ قال :

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتمو وما هو عنها بالحديث المرجّم

متى تبعثوها تبعثوها ذميمة وتضر إذا ضريتموها فتضرم

القساطل : جمع قسطل وهو غبار الحرب .

(٨) أطغى : جاوز الحد .

(٩) أوشاجا : جمع وشج وهو صلة القرابة .

(١٠) نجيع : الدم من الجوف . الأصائل : الأصيل .

(١١) الدرع : ما يقى الإنسان أثناء الحرب . ألمت ملمة : نزلت نازلة . فدحتنى : أصابتنى بمصاب كبير . عابسات النوازل : شدة الكوارث .

(١٤) الجلّى : حلبة القتال ويقصد المخاطر والأهوال .

(١٥) أكلت دما : دعاء على نفسه . أذد : أدافع . حياضه : أراضيه . كيد : مكر . الغوائل : الذين يقفون له بالمرصاد لإهلاكه .

(١٦) الدخائل : الدخلاء المفسدون .

وَأَبْسُطُ كَفِّى نَحْـوَهُ غَيْـرَ جَـافِلٍ وَيَبْسُطُ نَحْـوِى كَفَّـهُ غَيْـرَ جَـافِلِ (١٧)
إذا البِيـدُ لَـمْ تُنْبِتْ نَبَـاتًـا فَحَسْبُهَـا فَقَـدْ أَنْبَتَتْ فِينَا كَـرِيمَ الشَّمَـائِلِ (١٨)
وَقَـدْ عَلَّمَتْنَـا أَنْ يَكُـونَ إخـاؤُنَـا كَشَـامِخِ رَضْـوَى رُكْنُـهُ غَيْـرُ زَائِلِ (١٩)
أَلَسْنَـا الكِـرَامَ الغُـرَّ مِنْ آلِ يَعْـرُبٍ لَدَى الرَّوْعِ، أَوْ عِنْدَ التِقَافِ المَحَافِلِ؟ (٢٠)
حَمَيْنَـا بِحَمْـدِ اللهِ أَنْسَـابَ قَـوْمِنَـا وَصُنَّـا عَلَى الأَيَّـامِ مَجْـدَ الأَوَائِلِ (٢١)
وَمَـا خُلِقَتْ إلاَّ لِعَـزْمٍ نُفُـوسُنَـا كَأَنَّـا خُلِقْنَـا مِنْ غُبَارِ الجَحَـافِلِ (٢٢)
إذا افْتَـرَقَتْ أَهْـوَاءُ قَـوْمٍ تَشَتَّتُـوا وَلَمْ يَـرْجِعُوا إلاَّ بِعَـارِ التَّخَـاذُلِ (٢٣)
عَـزِيـزٌ عَلَى الأَوْطَـانِ أَنَّ شَجَـاعَـةً تُمَـزِّقُهَا الشَّحْنَـاءُ فِى غَيْـرِ طَـائِلِ (٢٤)
حَمَـانَـا كِتَـابُ اللهِ مِنْ بَعْـدِ فُرْقَـةٍ فَكُنَّـا لِـدِينِ اللهِ خَيْـرَ المَعَـاقِلِ (٢٥)
وَصَـالَتْ بِنَـا مِنْ قُـوَّةِ البَأْسِ وَحْـدَةٌ عَلَى الكَـوْنِ، لَمْ تَتْرُكْ مَصَـالاً لِصَائِلِ (٢٦)
فَثُلَّتْ عُـرُوشٌ ، وَاسْتَطَـارَتْ أَسِـرَّةٌ مِنَ الـذُّعْـرِ فِى أَعْوادِهـا وَالـزلازِلِ (٢٧)

* * *

جَمَعْنَـا عَلَى الحُبِّ القُلُـوبَ فَأَشْرَقَتْ كَمَا أَشْرَقَتْ بِـالغَيْثِ زُهْرُ الخَمَائِلِ (٢٨)
وَعِفْنَـا وُرُودَ المَـاءِ أَكْـدَرَ آسِنًـا وَحَنَّتْ حَنَـايَـانَا لِعَـذْبِ المَنَـاهِلِ (٢٩)
وَعَادَتْ إلَى الحُسْنَى« العَبِيدُ » وَ «شَمَّرٌ» وَسَـارَ بَشِيـرُ السِّلْمِ بَيْنَ القَبَـائِلِ (٣٠)

---

(١٧) غير جافل : غير خائف .

(١٨) البيد : الصحراء .

(١٩) رضوى : جبل رضوى الشهير بالحجاز .

(٢٠) آل يعرب : يقصد العرب نسبة إلى يعرب بن قحطان وهو أبو العرب . الروع : الفزع والهول .

(٢٢) غبار الجحافل : غبار الجيوش الكبيرة .

(٢٩) عفنا : كرهنا - تجنبنا . أكدر آسنا : متغير اللون والطعم والرائحة. عذب المناهل : الماء العذب . وفى البيت طباق .

(٣٠) العبيد وشمر : القبيلتان المتحاربتان بالعراق .

وَأَصْغُوا إِلَى الرَّأْيِ السَّدِيدِ وَأَنْصَتُوا لِنُصْحِ نَصِيرٍ لِلْعُرُوبَةِ « بَاسِلِ » (٣١)
إِلَى « حَمَدٍ » تَرْنُو المَعَالِي مُدِلَّةً وَتُلْقِي بِأَسْبَابِ النُّهَى وَالفَضَائِلِ(٣٢)
عَرَفْنَاهُ وِرْدًا لِلنَّدَى غَيْرَ نَاضِبٍ لِرَاجٍ ، وَعَزْمًا لِلْعُلا غَيْرَ نَاكِلِ (٣٣)
وَقَدْ دَفَنَ القَوْمُ التِّراتِ وَأَقْبَلُوا إِلَى الحَقِّ يَمْحُو ضَوْؤُهُ كُلَّ بَاطِلِ (٣٤)
وَسَلُّوا لإِعْلاءِ العِرَاقِ عَزَائِمًا أَسَدَّ وَأَمْضَى مِنْ سِنَانِ الذَّوَابِلِ (٣٥)
يُفَدُّونَ بِالأَرْوَاحِ وَالأَهْلِ « فَيْصَلاً » مَنَاطَ المُنَى مِنْ كُلِّ رَاجٍ وَآمِلِ (٣٦)

---

(٣١) أصاخوا : استمعوا . باسل : هو حمد الباسل باشا وكان هو والشاعر أعضاء الوفد الذى أسهم فى إصلاح ذات البين بين القبيلتين المتحاربتين .
(٣٣) وردا : موردا . الندى : الكرم . غير ناضب : غير منقطع - وافر . ناكل : راجع عن .
(٣٤) الترات : الأحقاد التى أدت بهم إلى الحرب .
(٣٥) سلوا : أخرجوا . سل السيف : أخرجه من غمده استعدادًا للقتال . الذوابل : الرماح .
(٣٦) فيصلا : الملك فيصل الثانى ملك العراق حينئذ . راج : مرتجى - مؤمل .

ثقيــــل ! !

عام ١٩٣٠م

تَبًّـــــا لَــــــهُ مِـنْ ثَقِيـلٍ   دَمَـــاً وَرُوحًـــا وَطِينَــــةْ ! (١)
لَـــوْ كَـــانَ مِنْ قَـــوْمِ نُـــوحٍ   لَمَـــــا رَكِبْتُ السَّفِينَـــــةْ (٢)

---

(٢) السفينة : يقصد بها سفينة سيدنا نوح كما جاء ذكرها فى القرآن الكريم .

عيدُ دارِ الإذاعــــة

أذيعت هذه القصيدة فى ٣١ من مايو سنة ١٩٣٨م حينما احتفلت دار الإذاعة بانتهاء العام الرابع من إنشائها .

فَتَــاةَ الْقَــرِيضِ ، اهْبِطِى مِنْ عَلِ ... مَـدَدْتُ يَـدَىَّ ، فَـلاَ تَبْخَلِى (١)
كَبَــا بِفَتَى الشِّعْــرِ طُـولُ الصُّعُـودِ ... فَإِنْ كُنْتِ رَاحِمَــةً فَــانْــزِلِى (٢)
يَحِــنُّ إِلَيْــكِ حَنِيــنَ الْمَشِيــبِ ... إِلَى ضَحِكَـاتِ الصِّبَـا الْمُخْضِلِ (٣)
سَــلاَ بِكِ لَيْلَى وَأَتْــرَابَهَــا ... وَنَــامَ عَنِ الْعَــذْلِ وَالْعُــذَّلِ (٤)
شَغَلْتِ فَتَــاكِ بِسِحْــرِ الْبَيَــانِ ... وَلَــوْلاَ عُيُــونُكِ لَمْ يُشْغَلِ (٥)
يَــرَاكِ مِنَ اللَّيْلِ فِى بَــدْرِهِ ... وَفِى شَعْــرِهِ الْفَــاحِمِ الْمُسْبَلِ (٦)
وَفِى كُلِّ آهٍ رَمَــاهَــا الْهَــوَى ... عَلَى شَطِّ مَـدْمَعِـهِ الْمُـرْسَلِ (٧)
وَيَلْقَــاكِ فِى كُـلِّ وَجْــهٍ صَبِيحٍ ... بِغَيْــرِ الْمَــلاَحَــةِ لَمْ يُصْقَلِ (٨)
وَمِنْ فِيكِ يَسْمَعُ نَجْــوَى الْغُصُــونِ ... وَيُصْغِى إِلَـى هَمْسَــةِ الْجَـدْوَلِ (٩)
تَعِيشِيـنَ فِى زَاخِــرٍ مِنْ ضِيَــاءٍ ... يُصَفِّقُ بِــالأَمَلِ الْمُقْبِلِ (١٠)
تَحُــومُ الْمَــلاَئِكُ مِنْ فَــوْقِــهِ ... كَمَــا حَــامَ طَيْــرٌ عَلَـى مَنْهَلِ (١١)

---

(٢) كبا : انكب على وجهه وسقط .
(٣) المخضل : الندى الناعم . أخضل : ندى .
(٥) المراد بالعيون هنا : خيار الشعر وما كان منه معجبًا ساحرًا ، ففى هذه الكلمة تورية .
(٦) الفاحم : الأسود . أسبل الأزرار والستر ونحوهما : أرخاه .

رَوِينَـــا بِـــهِ فَنَسِينَـــا الْحَيَـــاةَ وَمَـــا دِيفَ فِيهِـــا مِنَ الْحَنْظَلِ (١٢)
وَذُقْنَـــا سُـــلاَفَـــا أَبَتْ أَنْ تَـــرِفَّ بِكَـفِّ النُّـــواسِيِّ وَالْأَخْطَـلِ (١٣)
إِذَا قُتِلَـتْ أَحْيَتْ الشَّـــــارِبِينَ فَكَيْـفَ إِذَا هِـــىَ لَـمْ تُقْتَـلِ (١٤)
كَـأَنَّ الْحَبَـــابَ عَلَـى وَجْهِهَـــا وُعُـــودٌ حَصَلْنَ وَلَـمْ تَحْصُـلِ (١٥)
عِـدِينِى عِـدِينِى فَتَـاةَ الْقَـرِيضِ وَإِيَّـــاكِ إِيَّـــاكِ أَنْ تَمْطُلِى (١٦)
تَعَـــالَىْ نُقَبِّلُ وَجْـــهَ الـــرَّبِيعِ بِشِيـــرِ الْمُنَـى وَمُنَى الْمُجْتَلِى (١٧)
وَنَجْمَعُ مِنْ زَهْـــرِهِ مَـــا نَشَـــاءُ وَنَـــرْفُلُ فِى ثَـــوْبِـــهِ الْمُخْمَلِ (١٨)
تَعَـــالَىْ نَطِيـــرُ بِـــرِيشِ الْأَثِيـــرِ وَنَعْلُـــو بِـــهِ حَيْثُمَـــا يَعْتَلِى (١٩)
نَمُـــرُّ كَمَـــا مَـــرَّ طَيْفُ الْخَيَـــالِ أَلَـمَّ لِمَـــامَـــا وَلَمْ يَحْلُـلِ (٢٠)
فَبَيْنَـــا نُحَـــدِّثُ أَهْلَ الْحِجَـــازِ إِذَا صَـوْتُكِ الْعَذْبُ فِى الْمَـوْصِلِ (٢١)
نُحَيِّى بَنِى الْعَـــرَبِ الْأَوْفِيَـــاءَ وَنُسْمِعُهُـمْ غَـــــرَدَ الْبُلْبُـلِ (٢٢)
أُولَئِكَ قَـــوْمِى بُنَـــاةُ الْفَخَـــارِ وَزَيْـنُ الْمَحَـــافِلِ وَالْجَحْفَلِ (٢٣)

---

(١٢) الحنظل : نبت مر .

(١٣) السلاف : الخمر . ترفّ : تبرق وتتلألأ . النواسى : هو أبو نواس الحسن بن هانىء شاعر فارسى الأصل . ولد بقرية من قرى خورستان شرقى البصرة سنة ١٤٥هـ ومات ببغداد سنة ١٩٩هـ ومدح الرشيد وابنه محمد الأمين من خلفاء الدولة العباسية . وهو أشهر الشعراء المحدثين بعد بشّار ، وأكثرهم تفنّنًا ، وقد امتاز بقصائده الخمريات ومقطعاته المجونيات. الأخطل : هو أبو مالك غياث ابن غوث التغلبى من الشعراء المتقدمين فى الدولة الأموية ، وقد اشتهر بالتعمق فى وصف الخمر وانفرد بذلك دون شعراء عصره . مات سنة ٩٥هـ .

(١٤) قتلت : مزجت بالماء .

(١٥) الحباب بفتح الحاء : النفاخات التى تعلو الماء ونحوه .

(١٧) المجتلى : اسم فاعل من اجتليت الشىء بمعنى نظرت إليه .

(٢١) الموصل : من بلاد العراق فى شماليها على نهر دجلة .

(٢٣) الجحفل : الجيش الكثير .

وَلَــوْلاَ الْإِذَاعَـــةُ عَــاشَ الْكِـــرَامُ حُمــاةُ الْعُــرُوبَــةِ فِى مَغْــزِلِ (٢٤)

* * *

أَدَارَ الإِذاعَـــــــــةِ مِــنْ مُخْلِـصِ عَنِ الْـــوُدِّ وَالْعَهْـــدِ لَـمْ يَنْكُلِ (٢٥)
هَنَــاءً بِأَعْــوامِكِ الْمُشْــرِقَــاتِ وَأَيَّـــــامِ نَهْضَتِـكِ الْحُفَّـلِ (٢٦)
وُلِــــدْتِ وَلِلْعِلْـمِ أَسْــــرَارُهُ وَقَــدْ كُنْـتِ مِنْ سِـــرِّهِ الْمُعْضَلِ (٢٧)
بَــذَلْتِ الثَّقَــافَـــةَ لِلْظَّــامِئِينَ وَلَـــوْلاَ يَمِينُكِ لَـمْ تُبْـــذَلِ (٢٨)
وَنَبَّهْـتِ وَسْنَـــانَ جَفْـنِ الصَّبَـــاحِ بِـــآيِ مِـنَ الْكَلِـمِ الْمُنْـــزَلِ (٢٩)
وَغَنَّيْـتِ حَتَّى تَعَـــزَّى الْحَـــزِيـنُ وَقَـــرَّ الشَّجِـيُّ وَهَـــامَ الْخَلِـى (٣٠)
تَــرانِيمُ مَـــا سَمِعَتْهَـــا الْفُنُــونُ بِأَوْتَـــارِ إِسْحَـــاقَ أَوْ زَلْـــزَلِ (٣١)
وَكَمْ قَــدْ هَــزَلْـتِ لِتَشْفِى النُّفُــوسَ فَكَــانَ مِـنَ الْجِـدِّ أَنْ تَهْــزِلِي (٣٢)

* * *

مَضَتْ مِصْــرُ تَصْعَــدُ نَحْــوَ السَّمـاءِ وَتَسْمُـــو عَلَى مَسْبَحِ الأَجْـــدَلِ (٣٣)
وَأَضْحَــتْ مِنَ الْعِلْـمِ فِـى رَوْضَـــةٍ وَمِـنْ عِـــزَّةِ الْمُلْـكِ فِي مَعْقِـلِ (٣٤)
تَتِيـــهُ بِتَـــارِيخِ أَمْجَـــادِهـــا وَتُـــزْهَـى بِفَـــارُوقِهَـــا الأَوَّلِ (٣٥)

---

(٢٩) الوسنان : صفة من الوسن وهو النعاس .
(٣١) إسحاق بن إبراهيم الموصلى كان مغنيًا ذائع الصيت فى عهد هارون الرشيد وابنه عبد الله المأمون . وهو فارسى الأصل ، وقد ورث الوَلوع بالغناء عن أبيه وأمه إذ كانا مغنيين مشهورين، وتعلم الضرب بالعود من « زلزل » وكان إلى جانب شهرته بالغناء فقيهًا عالمًا صادقًا عفيفًا . زلزل : مغن بغدادى مشهور ، كان يضرب المثل بضربه العود (وهو أول من أحدث العيدان) . واسمه منصور وأصله من سواد أهل الكوفة . وقد تعلم الغناء من إبراهيم الموصلى .
(٣٣) الأجدل : الصقر وهو أقوى جوارح الطير وأرفعها طيرانًا .

لبنـــان

ألقيت هذه القصيدة فى حفل افتتاح المؤتمر الطبى ببيروت فى صيف عام ١٩٤٤م .

أَلْقَيْتُ لِلْغِيدِ المِلاحِ سِلاَحِى ۞ وَرَجَعْتُ أغْسِلُ بِالدُّمُوعِ جِراحِى (١)
وَلَمَحْتُ رَيْحَانَ الصِّبَا فَرَأَيْتُهُ ۞ ذَبُلَتْ نَضَارَتُهُ عَلَى الأَقْدَاحِ ! (٢)
كَانَ الشَّبَابُ طِمَاحَ لاَعِجَةِ الهَوَى ۞ فَاليَوْمَ يَرْفَعُ سَاعِدَيْهِ طِمَاحِى (٣)
مَنْ لِى وَقَدْ عَبِثَ المَشِيبُ بِلُمَّتِى ۞ بِضِيَاءِ ذَاكَ الفَاحِمِ اللَّمَّاحِ ؟ ! (٤)
قَدْ كَانَ لِلَّذَّاتِ أَسْرَعَ نَاصِحِ ۞ فَغَدَا عَلَى الشُّبُهَاتِ أَوَّلَ لاَحِى (٥)
لَوْ أَسْتَطِيعُ لَبِعْتُ عُمْرِىَ كُلَّهُ ۞ لِمُنَى الصِّبَا وأرِيجِهِ النَّفَّاحِ ! (٦)
أَيَّامَ أَوْتَارِى تُغَرِّدُ وَحْدَهَا ۞ وَتَكَادُ تَسْكَرُ فِى الزُّجَاجَةِ رَاحِى (٧)
أَيَّامَ شِعْرِى لِلْفَوَاتِنِ رُقْيَةٌ ۞ تَسْتَلُّ كُلَّ تَدَلُّلٍ وَجِمَاحِ (٨)
« دُوجِينُ » لَمْ يُجْدِ الْفَتَى مِصْبَاحُهُ ۞ وَأَبَانَ أَسْرَارَ الهَوَى مِصْبَاحِى (٩)

---

(٢) ريحان الصبا : رائحة الشباب الذكية . نضارته : حسنه ورونقه .

(٣) طماح : مرتفع . لاعجة الهوى : الحب . يرفع ساعديه : كناية عن الاستسلام .

(٤) لمتى : الشعر الذى يلى شحمة الأذن .

(٥) لاحى : لائم .

(٦) أريجه : رائحته النفاذة .

(٧) راحى : خمرى .

(٨) الفواتن : جمع فاتنة . رقية : تعويذة . تستل : تخرج . جماح : شرود .

(٩) دوجين : فيلسوف يونانى قديم يسير فى الطرقات و يحمل مصباحًا باحثًا عن الحقيقة .

الفَلْسَفَاتُ وَمَا حَوَتْ فِى نَظْرَةٍ مِنْ لَحْظِ سَاجِيَةِ العُيُونِ رَدَاحِ (١٠)
تُغْرِى الهَوَى وَتَصُدُّهُ لَمَحَاتُهَا فَيَحَارُ بَيْنَ تَمَنُّعٍ وَسَمَاحِ (١١)
وَالنَّظْرَةُ البَهْمَاءُ أَفْتَكُ بِالفَتَى مِنْ كُلِّ وَاضِحَةِ المَرَامِ وَقَاحِ (١٢)
فَخُذُوا اليَقِينَ وَنُورَهُ لِعُقُولِكُمْ وَدَعُوا شُكُوكَ الحُبِّ لِلأَرْوَاحِ (١٣)

* * *

سِرْ يَا قِطَارُ فَفِى فُؤَادِى مِرْجَلٌ يُزْجِيكَ بَيْنَ مَتَالِعٍ وَبِطَاحِ (١٤)
لَوْ كُنْتَ شِعْرِى كُنْتَ أَسْبَقَ طَائِرٍ يَكْفِيهِ لِلْقُطْبَيْنِ خَفْقُ جَنَاحِ (١٥)
قَالُوا : هُنَا لُبْنَانُ ، قُلْتُ : وَهَلْ سِوَى لُبْنَانَ مَلْعَبُ صَبْوَتِى وَمِرَاحِى (١٦)
يَبْدُو أَشَمَّ عَلَى البِطَاحِ كَأَنَّهُ عَلَمٌ بِكَفِّ الفَارِسِ الجَحْجَاحِ (١٧)
نَسَجَتْ لَهُ سُحُبُ السَّمَاءِ مَطَارِفًا وَحَبَتْهُ زُهْرُ نُجُومِهَا بِوِشَاحِ (١٨)
طُرُقٌ كَمَا الْتَوَتْ الظُّنُونُ ، وَقِمَّةٌ قَامَتْ كَحَقٍّ لِلشُّعُوبِ صُرَاحِ (١٩)
النَّبْعُ خَمْرٌ ، وَالحَدَائِقُ نَشْوَةٌ وَالجَوُّ مِنْ مِسْكٍ وَمِنْ تُفَّاحِ (٢٠)

* * *

---

(١٠) ساجية : ساكنة . رداح : امرأة رابية الجسم .
(١٢) البهماء : التى لا يعرف مقصدها . المرام : المقصد . وقاح : البين الواضح .
(١٤) قطار : القطار الذى سافر به من القاهرة إلى بيروت عبر فلسطين وكان الوسيلة المعتادة للسفر حينئذ .
مرجل : غلاّية . يزجيك : يسوقك ويدفعك . متالع : الروابى . بطاح : جمع بطحاء وهو المسيل المنبسط .
(١٦) صبوتى : صباى .
(١٧) أشم: عالى . البطاح : المسيل الواسع . الجحجاح : المسارع إلى الكلام .
(١٨) مطارفًا : أردية من حرير . حبته : منحته . بوشاح : شىء يصنع من نسيج عريض ويرصع بالجواهر وقد تشده المرأة بين عاتقها وكشحها .
(٢٠) النبع : ما ينبع منه الماء . مسك : طيب .

لُبْنَــــانُ دَوْحُ الشِّعْــرِ أنْـتَ ، تَعَلَّمَتْ مِنْكَ الهَــدِيلَ سَــوَاجِعُ الأدْوَاحِ (٢١)

شِعْــرٌ لَـهُ فِعْلُ السُّــلافِ فَلَــوْ أتَى قَبْلَ الشَّــرَائِعِ كَــانَ غَيْــرَ مُبَــاحِ (٢٢)

وَنَضِيــرُ ألْفَــاظٍ كَـأزْهَــارِ الـرُّبَــا يَبْسِمْنَ غِبَّ العَــارِضِ السَّحَّــاحِ (٢٣)

وَخَمَــائِلٌ مِنْ أحْــرُفٍ قُــدْسِيَــةٍ أخْمَلْنَ صَـوْتَ الطَّـائِرِ الصَّـدَّاحِ (٢٤)

الفَنُّ مِـنْ سِــرِّ السَّمَــاءِ وَنَفْحَــةٌ مِنْ فَيْضِ نُــورِ الـوَاهِبِ الفَتَّــاحِ ! (٢٥)

وَالعَبْقَــرِيَّــةُ أنْ تُحَلِّقَ وَادِعَــا فَتَفُـوتَ جُهْـدَ النَّـاصِـبِ الكَـدَّاحِ (٢٦)

* * *

لُبْنَــانُ ، أنْتَ مِـنَ العَــزَائِمِ وَالنُّهَى مَــا أنْتَ مِنْ صَخْــرٍ وَلاَ صُفَّــاحِ (٢٧)

أبْطَــالُكَ الصِّيــدُ الكُمَــاةُ مَنَـاصِلٌ طُبِعَتْ لِيَــوْمِ كَــرِيهَــةٍ وَتَــلاحِي (٢٨)

شَحُّــوا عَلَى مُتَعِ الحَيَـاةِ بِلَحْظَــةٍ وَمَشَـوْا لِوِرْدِ المَـوْتِ غَيْرَ شِحَاحِ (٢٩)

قَهَــرُوا الـزَّمَــانَ ، وَلَنْ تَضِيعَ كَرَامَــةٌ لِلحَـقِّ بَيْنَ أسِنَّــــةٍ وَرِمَــــاحِ (٣٠)

المَجْــدُ بَــابٌ إنْ تَعَــاصَى فَتْحُــهُ فَــاسْـألْ كَتَـائِبَهُمْ عَـنِ المِفْتَــاحِ (٣١)

دَقُّــوا فَمَــا أوْدَى بِعَــزْمِ أكُفِّهِمْ بَأْسُ الحَـدِيـدِ وَقَسْـوَةُ الألْـوَاحِ (٣٢)

---

(٢١) دوح : حديقة . الهديل : صوت الحمام .

(٢٣) غِب : غبّ كل شيء عاقبته . العارض : السحاب المعترض فى الأفق . السحاح : الممطر .

(٢٤) أخملن : جعلته خاملاً ضعيف الذكر .

(٢٥) فيض : جود وكرم .

(٢٦) تفوت : تترك . الناصب : المتعب . الكداح : الذى يسعى ويكد فى عمله .

(٢٧) صفاح : حجارة عريض رقاق .

(٢٨) الصيد: رافعى الرأس. الكماة : الشجعان . مناصل : سيوف . طبعت : صنعت - جبلت . يوم كريهة : يوم الحرب . تلاحى : نزاع .

(٣١) تعاصى : استعصى .

(٣٢) أودى : أوهن . بأس : شدة وقوة .

وَمِن الْحِفَـاظِ المُـرِّ مَـا يُعْيِي الفَتَى
لَيْسَتْ تَكَـالِيفُ العُـلاَ بِمِـزَاحِ ! (٣٣)

كَمْ صَـابَـرُوا عَنَتَ الحيَـاةِ وَعُسْـرَهَـا
بِخَـلائِقٍ غُـرِّ الـوُجُـوهِ صِبَـاحِ (٣٤)

نَـزَحُـوا عَنْ الأوْطَانِ فِي طَلَبِ العُـلاَ
وَالعَـزْمُ مِلءُ حَقَـائِبِ النُّـزَّاحِ (٣٥)

وَسَرَوْا مَعَ الـرِّيحِ الهَبُوبِ فَـلاَ تَـرَى
إلاَّ رِيَـاحًـا زُوحِمَتْ بِـرِيَـاحِ (٣٦)

لَمْ يَسْتَكِينُـوا لِلـزَّمَـانِ وَوَعْـدِهِ
فَـالـدَّهْـرُ أكْذَبُ مِنْ نَبِيِّ سَجَاحِ (٣٧)

فِي أرْضِ «كُـولُمْبٍ» بَنَـوْا فِيمَا بَنُـوا
شَمَمَ الأبِيِّ وَعَـزْمَـةَ المِلْحَـاحِ (٣٨)

وَبِكُلِّ جَـوٍّ رَايَـةٌ هَفَّـافَـةٌ
تَهْتَـزُّ كَـالمُتَخَـايِلِ المَيَّـاحِ (٣٩)

لَـوْ أبْصَرُوا فِي الشَّمْسِ مَوْضِعَ مَهْجَرٍ
لَتَسَلَّقُـوا لِسَعِيـرِهَـا اللَّـوَّاحِ (٤٠)

وَالنَّفْسُ إنْ عَظُمَتْ يَضِيقُ بِسَعْيِهَـا
صَـدْرُ الفَضَـاءِ بِرَحْبِـهِ الفَيَّـاحِ (٤١)

لِلنَّـاسِ نَـاحِيَـةٌ تَلُمُّ شَتَـاتَهُمْ
وَالعَبْقَرِيُّ لَـهُ الـوُجُـودُ نَـوَاحِي ! (٤٢)

يَمْشِي الجرِيءُ عَلَى العُبَابِ مُخَاطِرًا
وَأرَى الجبَانَ يَمُوتُ فِي الضَحْضَاحِ (٤٣)



---

(٣٣) الحفاظ : الإباء والأنفة . يعيي : يتعب .

(٣٤) عنت : الأمر الشاق . عسرها : شدتها . غر الوجوه : بيض الوجوه . صباح : عليهم نور كنور الصبح .

(٣٥) نزحوا : تركوا وهاجروا .

(٣٦) سروا : مشوا . الهبوب : المثيرة للأتربة . والمقصود الشديدة .

(٣٧) سجاح : امرأة ادعت النبوة وادعى النبوة أيضًا مسيلمة الكذاب الذى تزوجته .

(٣٨) كولمب : هو كريستوفر كولمبس مكتشف القارة الأمريكية والمقصود بأرض كولمب الولايات المتحدة الأمريكية. شمم : علو وأنفة . الأبى : الشريف . عزمة : عزيمة . الملحاح : الملح فى طلب الشىء .

(٣٩) هفافة : مرفوفة . المتخايل : المعجب بنفسه . المياح : المعجب المتمايل .

(٤٠) مهجر : مكان يهاجر إليه . لسعيرها : لنارها . اللواح : الذى يغير لون وجهه .

(٤١) برحبه : بسعته . الفياح : المنتشر .

(٤٢) ناحية : جهة – مكان . شتاتهم : تفرقهم .

(٤٣) العباب : الموج المرتفع . الضحضاح : القليل الماء .

لُبْنَانُ ، صُنْتَ الضَّادَ فِي لأْوَائِهَا مِنْ شَرِّ مَاحٍ أَوْ هَوَى مُجْتَاحِ (٤٤)
فِي البَدْوِ لَوَّحَهَا الهَجِيرُ فَلَمْ تَجِدْ إلاَّ ظِلالَكَ نُجْعَةَ المُلْتَاحِ (٤٥)
جَمَعَتْ رِجَالُكَ زَهْرَهَا فِي طَاقَةٍ عَبِقَ الوُجُودُ بِنَشْرِهَا الفَوَّاحِ (٤٦)
نَظَمُوا لَهَا عِقْدًا يَرِفُّ شُعَاعُهُ بِلآلِيءِ مِلْءِ العُيُونِ صِحَاحِ (٤٧)
وَحَمَوْا كِتَابَ اللهِ جَلَّ جَلالُهُ مِنْ لَغْوِ فَدْمٍ أَوْ هُرَاءِ إِبَاحِي (٤٨)
فَانْظُرْ إِلَى « البُسْتَانِ » هَلْ تَلْقَى بِهِ إلاَّ وُرُودًا أَوْ ثُغُورَ أَقَاحِي ؟ (٤٩)

* * *

لُبْنَانُ ، وَالفِرْدَوسُ أَنْتَ لَقِيتُهُ فَطَرَحْتُ عِنْدَ لِقَائِهِ أَتْرَاحِي (٥٠)
وَتَرَكْتُ لِلهْوِ العِنَانَ وَأَطْلَقَتْ أَيْدِي الزَّمانِ العَاتِيَاتُ سَرَاحِي (٥١)
وَشَهِدْتُ فِيكَ الْحُورَ تَسْبَحُ فِي السَّنا نَفْسِي فِدَاءُ ضِيَائِهَا السَّبَّاحِ ! (٥٢)
طَاوَعْتُ فِي نَجْلائِهِنَّ صَبَابَتِي وَعَصَيْتُ مَا تَهْذِي بِهِ نُصَّاحِي (٥٣)
مَا الفِتْنَةُ الشَّعْوَاءُ إلاَّ أَعْيُنٌ سُودٌ ، تَلأْلأُ فِي وُجُوهٍ مِلاحِ ! (٥٤)
دَافَعْتُ بِالغَزَلِ الْحَنُونِ لِحَاظَهَا شَتَّانَ بَيْنَ سِلاحِهَا وَسِلاحِي ! (٥٥)

---

(٤٤) الضاد : اللغة العربية . لأوائها : شدتها . ماح : مبيد . مجتاح : يريد اجتياحها وإبادتها .
(٤٥) البدو : البادية . لوحها : غير لون وجهها . الهجير : شدة حرارة الشمس . ظلالك : ظلك . نجعة : طلب الكلأ . الملتاح : المتغير من نصب أو سفر .
(٤٧) يرف : يتحرك . صحاح : صحيحة - سليمة .
(٤٨) لغو : باطل . فدم : أحمق . هراء : عبث - استهزاء . إباحى : متصف بالرذيلة .
(٤٩) البستان : حديقة بلبنان تشتهر بجمال تنسيقها وأشجارها وزهورها ويرتادها الأدباء والشعراء والفنانون . أقاحي : زهر له ورق أبيض ووسطه أصفر .
(٥٠) طرحت : تركت . أتراحي : أحزاني .
(٥٣) نجلائهن : عيونهن الواسعة . صبابتي : رقة الشوق وحرارته .
(٥٤) الشعواء : المتفرقة . تلألأ : تضيء .
(٥٥) لحاظها : عيونها . شتان : هيهات - بعد ما بينهما .

وَبَعَثْتُ أَنَّـاتِي وَقُلْتُ لَعَلَّهَـا ... تُغْنِي إِشَارَتُهَا عَنِ الإِفْصَاحِ ! (٥٦)
فَتَجَاهَلَتْ لُغَةَ الغَرَامِ وَتَابَعَتْ ... خُطُوَاتِهَا فِي عِزَّةٍ وَشِيَاحِ (٥٧)
عَادَتْ إِلَىَّ حَبَائِلِي فَلَمَمْتُهَا ... وَرَضِيتُ مِنْ ضَحِكِ الهَوَى بِنُوَاحِي (٥٨)
لَمْ يُبْقِ مِنِّي الوَجْدُ غَيْرَ حُشَاشَةٍ ... لَوْلاَ التَّعَلُّلُ آذَنَتْ بِرَوَاحِ (٥٩)
أَشْكُو ، وَمَا الطِّبُّ الحَدِيثُ بِرَاحِمٍ ... شَجْوِي ، وَلا مُتَسَمِّعٍ لِصِيَاحِي (٦٠)
هَلْ بَيْنَ مُؤْتَمَرِ الأُسَاةِ مُجَرِّبٌ ... شَافٍ لأَدْوَاءِ الصَّبَابَةِ مَاحِي ؟ (٦١)
وَالطِّبُّ لا يَصِلُ المَدَى إِنْ لَمْ تَصِلْ ... جَدْوَاهُ لِلأَرْوَاحِ وَالأَشْبَاحِ (٦٢)

* * *

مَرْحَى بِمُؤْتَمَرٍ تَبَلَّجَ نُورُهُ ... فِي الشَّرْقِ ، مِثْلَ تَبَلُّجِ الإِصْبَاحِ (٦٣)
زُمَرٌ مِنَ البَشَرِ المَلائِكِ كَمْ لَهُمْ ... فِي الطِّبِّ مِنْ غُرَرٍ وَمِنْ أَوْضَاحِ (٦٤)
بَذَلُوا النُّفُوسَ ، فَكَمْ شَهِيدِ جِرَاحَةٍ ... مِنْهُمْ ، وَكَمْ مِنْهُمْ شَهِيدِ كِفَاحِ (٦٥)
وَتَفَهَّمُوا سِرَّ الحَيَاةِ وَلَمْ يَكُنْ ... سِرُّ الحَيَاةِ لِغَيْرِهِمْ بِمُبَاحِ (٦٦)
دَهَتِ البِلادَ بَعُوضَةٌ أَجَمِيَّةٌ ... جَاءَتْ عَلَى قَدَرٍ لِمِصْرَ مُتَاحِ (٦٧)

---

(٥٧) شياح : حذر .
(٥٨) حبائلي : حيلي . نواحي : بكائي .
(٥٩) الوجد : الشوق . برواح : بذهاب .
(٦٠) شجوى : حزني .
(٦١) مؤتمر الأساة : المؤتمر الطبي . أدواء : أمراض . ماحي : مزيل .
(٦٢) المدى : الهدف . جدواه : فائدته – عطاياه . للأرواح : للأنفس . الأشباح : الأشخاص .
(٦٣) تبلّج : أشرق وأضاء .
(٦٤) زمر : جماعات . غرر : سيادة وشرف .
(٦٧) أجمية : نسبة إلى الأجمة وهي الغابة والمقصود بها بعوضة « الجامبيا » التي غزت مصر وفتكت بالكثير من أبناء الصعيد ولم تنج مصر من شرها إلا بعد نحو أربع سنوات . متاح : مهيأ .

دَقَّتْ لِغَيْـرِ تَـرَحُّلٍ أَطْنَـابَهَـا وَرَمَتْ مَـرَاسِيَهَـا لِغَيْـرِ بَـرَاحِ (٦٨)
وَعَـدَتْ عَلَى المـاءِ القَـرَاحِ جُيُوشُهَـا فَغَـدَا النَّمِيـرُ العَـذْبُ غَيْـرَ قَـرَاحِ (٦٩)
السُّمُّ أَقْـوَى فِي شَبَـا خُـرْطُـومِهَـا مِنْ حَـدِّ كُلِّ مُهَنَّـدٍ سَفَّـاحِ (٧٠)
كَـالْجِنِّ تَهْـوَى اللَّيْـلَ فِي وَثَبَـاتِهَـا وَتَفِـرُّ ذُعْـرًا مِنْ بُـزُوغِ صَبَـاحِ (٧١)

* * *

يَـا خِيـرَةَ الشَّـرْقِ المُـدِلِّ بِقَـوْمِـهِ هَـذَا أَوَانُ البَعْـثِ وَالإِصْـلَاحِ (٧٢)
المَجْـدُ فَـوْقَكُمُ دَنَتْ أَفْنَـانُـهُ فَتَلَقَّفُـوا ثَمَـرَاتِـهِ بِـالـرَّاحِ (٧٣)
وَتَـرَسَّمُـوا سَنَنَ الـرَّئِيسِ وَهَـدْيَـهُ شَيْخِ الأُسَـاةِ « عَلَىٍّ » الْجَـرَّاحِ (٧٤)
وَانْفُـوا عَـنِ الطِّبِّ الـرَّطَـانَـةَ إِنَّهَـا نَمَشٌ يَعِيثُ بِـوَجْهِهَـا الـوَضَّـاحِ (٧٥)
كَمْ فِي حِمَى الفُصْحَى وَبَيْنَ كُنُوزِهَا مِنْ مُشْـرِقَـاتٍ بِالبَيَـانِ فِصَاحِ ! (٧٦)
مَـا أَنْكَـرَتْ أُمَمٌ لِسَـانَ جُـدُودِهَـا يَـوْمًا وَسَـارَتْ فِي طَـرِيقِ فَـلَاحِ (٧٧)

* * *

---

(٦٨) أطنابها : حبالها الطويلة . مراسيها : ما تثبت به .

(٦٩) عدت : اعتدت . القراح : الصافي الذي لا يشوبه شيء .

(٧٠) شبا : طرفه الحاد . خرطومها : أنفها . مهند : السيف .

(٧١) بزوغ : طلوع . إشارة إلى أن البعوض يكثر ليلاً وكذلك إلى أن حُمّاها لا تزور المريض إلا ليلاً في الغالب .

(٧٢) المدل : المفتخر – المباهي .

(٧٣) أفنانه : أغصانه . الراح : الكف .

(٧٤) ترسموا : تتبعوا . سنن : طريق – أسلوب – منهاج . الرئيس : رئيس المؤتمر الدكتور على إبراهيم باشا . هديه: إرشاده . الأساة : الأطباء .

(٧٥) انفوا : اطردوا – ابعدوا . الرطانة : الكلام بالأعجمية . نمش : نقط بيض وسود . يعيث : يفسد .

(٧٦) حمى : كنف . الفصحى : اللغة العربية . فصاح : بليغة .

لُبْنَـانُ ، مُـذْ حَلَّتْ ذَرَاكَ رِكَـابُنَـا حَلَّتْ مِنَ الـدُّنْيَـا بِأَكْـرَمِ سَـاحِ (٧٨)
الأَرْزُ فِيكَ وَنَخْلُ مِصْـرَ كِـلاَهُمَـا أَخَـوَانِ فِى الأَتْـرَاحِ وَالأَفْـرَاحِ (٧٩)
وَالنِّيلُ مِنْكَ ، فَلَـوْ بَكَيْتَ لِفَـادِحٍ غَمَرَ الشُّطُوطَ بِـدَمْعِهِ النَّضَّـاحِ (٨٠)
لُبْنَـانُ ، آنَ لَكَ الفَخَـارُ بِسَـادَةٍ عُـرْبٍ كِـرَامِ المَنْبِتَيْنِ سِمَـاحِ (٨١)
مَجْـدٌ إِذَا مَـا أَشْـرَقَتْ صَفَحَـاتُـهُ أَزْرَتْ بِمُـؤْتَلِقِ النَّهَـارِ الضَّـاحِى (٨٢)

---

(٧٨) حلّت : نزلت . ذراك : كنفك . ساح : المكان الذى يسيح منه الماء والمقصود أرض لبنان .
(٧٩) الأرز : شجر الأرز وهو الشجر المشهور لبنان بزراعته واتخذوه علمًا لهم .
(٨٠) النضاح : الكثير .
(٨١) سماح : كرام .
(٨٢) أزرت : فاقت وغلبت . مؤتلق : مشرق .

برنادوت

رجل عمل من أجل السلام فكان من أوائل ضحاياه ممّا حرّك أحاسيس الشاعر فكانت هذه الأبيات عام ١٩٤٨م

حَسْرَتَا لِلْكُونْتِ بِرْنَا ... دُوتَ لَوْ تَنْفَعُ حَسْرَه ! (١)

رَامَ أَنْ يَسْتَنْقِذَ الكَوْ ... نَ وَيَسْتَأْصِلَ شَرَّهْ (٢)

قَتَلَهُ جُبْنٌ وَخُذْلا ... نٌ وَلُؤْمٌ وَمَعَرَّهْ (٣)

طَلَبَ الكَفَّ عَنِ الحَرْ ... بِ ، فَمَنْ نَفَّذَ أَمْرَهْ ؟ (٤)

خَرَقَ الهُدْنَةَ أَبْنَا ... ءُ يَهُوذَا أَلْفَ مَرَّهْ ! (٥)

وَهْوَ لاَ يُؤْمِنُ حَتَّى ... سَلَبُوهُ الرُّوحَ جَهْرَهْ (٦)

أَتُرَى آمَنَ لَمَّا ... خَرَقَ الأَنْذَالُ صَدْرَهْ ؟ (٧)

رُبَّمَا يَخْفِرُ ذُو الآ ... مَالِ بِالآمَالِ قَبْرَهْ (٨)

---

(١) برنادوت : هو الكونت فولك برنادوت مسئول هيئة الأمم المتحدة . عمل من أجل السلام بين العرب والإسرائيليين ولكنه قتل فى حادث سقوط طائرته وأشارت أصابع الاتهام حينئذ إلى اليهود عندما ظهر تفهمه للحق العربى .

(٢) رام :أراد .

(٥) أبناء يهوذا : اليهود .

(٦) جهرة : علنا .

الـوبَـاء

انتشـر وبـاء الهيضة المعـويـة (الكـوليـرا) برشيـد سنـة ١٨٩٥م وحصد الأرواح ، فـراع الشاعر الصغيـر ما رأى ، وأثار عاطفته الشعرية ، فقال هذه القصيدة :

أَيُّ هَـذَا (المِكْـرُوبُ) مَهْـلاً قَلِيـلاً ... قَـدْ تَجَاوَزْتَ فِى سُرَاكَ السَّبِيـلا ! (١)

لَسْتَ كَالْوَاوِ ، أنْتَ كَالْمِنْجَلِ الْحَصَّا ... دِ ، إنْ أَحْسَنُـوا لَكَ التَّمْثِيـلاَ (٢)

مَـا غَلَبْتَ النُّفُـوسَ بِـالْعَـزْمِ لَكِنْ ... هَكَـذَا يَغْلِبُ الْكَثِيـرُ الْقَلِيـلاَ (٣)

أَنْتَ فِى الْهِنْـدِ فِى مَكَـانٍ خَصِيبٍ ... فَلِمَـاذَا رَضِيتَ هـذَا الْمُحُـولاَ ؟ (٤)

أَنْتَ كَـالشَّيْبِ إنْ دَهِمْتَ ابْنَ أُنْثَى ... لَمْ تُـزَايِلْ جَنْبَيْـهِ حَتَّى يَـزُولاَ (٥)

حَـارَ « بِنْشِنْجُ» فِيكَ يَـابْنَ شَعُـوبٍ ... وَنَقَضْتَ الْمُجَـرَّبَ الْمَعْقُـولاَ (٦)

عَقَـدَ الأَمْـرَ فَـابْتَكَـرْتَ لَـهُ الْحَـ ... ـلَّ ، ومَـا كَـانَ عَقْـدُهُ مَحْلُـولاَ (٧)

قَـامَ يَغْـزُوكَ بَيْنَ جَيْشِ الْقَـوارِيـرِ ... فَـوَلَّى بِجَيْشِـهِ مَخْـذُولاَ (٨)

وَتَـرَكْـتَ الْحُمُـوضَ تَجْـرَعُهَـا الأَرْ ... ضُ ، وَجَـرَّعْتَنَـا الْعَذَابَ الْـوَبِيـلاَ (٩)

---

(٢) يشير إلى شبه الميكروب : بحرف « الواو » .

(٤) خصيب : صفة من الخصب وهو النماء والبركة ، والخصب أيضًا ضد الجدب . المحول : الجدب .

(٥) دهمت : غشيت وفاجأت . تزايل : تفارق . يزول : يذهب ويهلك .

(٦) حار : تحيّر فى أمرك . بنشنج : اسم لمدير الصحـة بمصر فى ذلك الزمن . شعوب : اسم للمنيـة وهو الموت ، وكنّى هذا الميكروب بابن شعوب لشدة فتكه بالناس . نقضت : هدمت وأبطلت .

(٩) الحموض : جمع حمض ، والمراد بـه هنا العقاقير التى كانت قد أعدت للقضـاء على هذه الجراثيم . تجرعها : تبتلعها ، وذلك أنهم إذا أرادوا تطهير بيت مثلاً صبوا العقـاقير على أرضه وجدرانه . جرعتنا : سقيتنا . الوبيل : الوخيم الثقيل .

« وَبِمُوشَى » أَرَادَ حَصْرَكَ بِالْجُنْدِ ، وَهَلْ تَحْصُرُ الْجُنُودُ السُّيُولاَ ؟ (١٠)
يَا أَخَا الاحتِلالِ آذَيْتَ بِالْمَالِ وَبِالنَّفْسِ فَالرَّحِيلَ الرَّحِيلاَ (١١)
مَنْ يَبِتْ عَنْدَهُ الْهِزَبْرُ نَزِيلاً كَانَ مِنْ قَبْلِ زَادِهِ مَأْكُولاً ! (١٢)
رُبَّ طِفْلٍ تَرَكْتَ مِنْ غَيْرِ ثَدْيٍ يَضْرِبُ الأَرْضَ ضَجَّةً وَعَوِيلاً ! (١٣)
وَفَتَاةٍ طَرَقْتَهَا لَيْلَةَ العُرْسِ وَقَبْلَ الْحَلِيلِ كُنْتَ الْحَلِيلاَ (١٤)
كَحَّلُوا جَفْنَهَا فَكَحَّلْتَ فِيهَا كُلَّ جَفْنٍ أَسًى وَسُهْدًا طَوِيلاً (١٥)
خَضَّبَتْهَا يَدُ الْمَوَاشِطِ صُبْحًا فَمَحَاهُ الْمُطَهِّرُونَ أَصِيلاً (١٦)
مَا رَحِمْتَ الْعُيُونَ تِلْكَ اللَّوَاتِى تَرَكْتَ كُلَّ عَاشِقٍ مَذْهُولاً (١٧)
لَوْ رَآهَا جِبْرِيلُ - أَسْتَغْفِرُ اللهَ - لأَلْهَتْ عَنْ وَحْيِهِ جِبْرِيلاً (١٨)
يَا قَتِيلَ (الْفِينِيكِ) يَكْفِيكَ قَتْلاً كَ فَأَغْمِدْ حُسَامَكَ الْمَسْلُولاَ ! (١٩)
إِنَّ فِى مِصْرَ غَيْرَ مَوْتِكَ مَوْتًا تَرَكَ الأَرْوَعَ الأَعَزَّ ذَلِيلاً (٢٠)
فَارْتَحِلْ بَارِدَ الْفُؤَادِ قَرِيرًا مُرْوِيًا مِنْ دَمِ الْعِبَادِ الْغَلِيلاَ (٢١)

---

(١٠) « موشى » بلدة من أعمال أسيوط ظهر فيها هذا الوباء أول ما ظهر .
(١٢) الهزبر: الأسد القوى . النزيل : الضيف . الزاد : طعام يتخذ للسفر .
(١٤) طرقتها : نزلت بدارها . الحليل : الزوج .
(١٦) خضبت اليد خضبًا من باب ضرب بالخضاب وهو الحناء ونحوه . والمواشط جمع ماشطة وهى التى تحسن تطرية العروس وتجميلها ومشط شعرها أى تسريحه .
(١٨) جبريل : ملك الوحى . ألهاه : شغله .
(١٩) « الفينيك » كلمة أعجمية تطلق على بعض السوائل المطهرة القاتلة لجراثيم الأمراض ، وأغمدت السيف إغمادًا جعلته فى غمده . الحسام : السيف القاطع . المسلول : المنتزع من غمده .
(٢٠) الأروع : من يعجبك بشجاعته . الأعز : اسم تفضيل من العز وهو ضد الذل . وفى هذا البيت إشارة إلى المستعمر الإنجليزى الذى كان يحتل مصر فى ذلك الوقت .
(٢١) بارد الفؤاد : ريان القلب . قرير : مسرور . الغليل : حرارة العطش .

ذكرى وتاريخ

أنشدت هذه القصيدة بدار المعارف سنة ١٩٤٥م بمناسبة احتفالها بمرور عامين على إصدار سلسلة « إقرأ » :

لَسْتِ مِنْ شَأْنِـهِ وَلاَ بَعْضِ شَـانِـهْ ... كَبَحَ الشَّيْبُ وَالنُّهَى مِنْ عَنَـانِـهْ(١)
فَـاذْهَبِى ، مَـا سَـلا الفُـؤَادُ وَلَكِنْ ... سَـاقَـهُ يَأْسُـهُ إلَى سُلْـوَانِـهْ (٢)
وَبِـدَارِ الفِـرْدَوْسِ مَنْ جَـانَبُـوا الإثْـ ... ـمَ ، لِعَجْزِ النُّفُـوسِ عَنْ إتْيَانِـهْ (٣)
قَـدْ تَـوَلَى الشَّبَـابُ رَيْحَـانَـةُ الحُـ ... ـبِّ ، فَمَنْ لِى بِـالحُبِّ أوْ رَيْحَانَهْ ؟ (٤)
آهِ مِـنْ حَيْـرَةِ المَشِيبِ : سَـوَاءٌ ... هُـوَ فِى بَـوْحِـهِ وَفِى كِتْمَـانِـهْ ! (٥)
إنْ كَتَمْنَـاهُ قَهْقَـهَ الـدَّهْـرُ جَـذْلا ... نَ ، وَمَدَّ الخبيثُ طَرْفَ لِسَـانِـهْ (٦)
أوْ أبَحْنَـاهُ رَاعَنَـا كُـلَّ يَـوْمٍ ... شُـرُفَـاتٌ يَهْـوِينَ مِنْ بُنْيَـانِـهْ (٧)
وَرَأيْنَـا الغِيـدَ الأمَـالِيـدَ حُلْمًـا ... ضَنَّ بِـالْمُلْتَقَى عَلَى وَسْنَـانِـهْ (٨)
كُـلُّ شَىْءٍ لَـهُ أوانٌ يُـوَفِّيـ ... ـهِ ، وَفَـوْتُ الشَّبَـابِ قَبْلَ أوَانِـهْ (٩)

---

(١) النهى : العقل : عنانه : مقود الفرس .
(٢) سلا : نسى .
(٣) دار الفردوس : الجنة .
(٤) ريحانة : رائحته الطيبة والريحان نبات ذو رائحة جميلة .
(٦) جذلان : فرحان .
(٨) الأماليد : ناعمة الخد . وسنانة : نائمة.
(٩) أوان : وقت . يوفيه : يعطيه حقه .

كَمْ نَعِمْنــا بِــهِ زَمَــانًــا فَلَمّــا ... طَاحَ ، عِشْنَا فِى ذِكْرَيَاتِ زَمَانِهْ (١٠)
طَــائِرٌ كَــانَ إنْ تَغَنَّ إِلَى الــرَّوْ ... ضِ ، شَجَا الحَالِياتِ مِنْ أغْصَانِهْ (١١)
عَسْجَــدِيُّ الجَنَــاحِ وَدَّ العَــذَارَى ... لَــوْ خَضَبْنَ البَنَــانَ مِـنْ أَلْــوَانِــهْ (١٢)
وَتَمنَّى الأصِيلُ لَــوْ نَــالَ يَــوْمًــا ... لَمْحَةَ الحُسْنِ مِنْ سَنَا لَمَعَانِـهْ (١٣)
أَيْنَ تَصْفِيقُــهُ؟ وَأَيْنَ مَجَــالِيـــ ... ـهِ ؟ وَأَيْنَ الرَّخِيمُ مِنْ أَلْحَانِـهْ ؟ (١٤)
جَــالَ فِى الأُفْقِ جَــوْلَــةً ثُمَّ وَلَّى ... هَلْ يَعُودُ الشَّادِى إلَى جَوَلانِـهْ ؟ (١٥)
وَمَضَى خَــافِقَ الْجَنَــاحِ وَلَمْ يَتْـــ ... ـرُكْ لِقَلْبِى مِنْـهُ سِـوَى خَفَقَانِـهْ (١٦)
وَحَــوَاهُ المَــاضِى الْخِضَمُّ وَأَبْقَى ... ذِكْـرَيَاتٍ تَطْفُــو عَلَى شُطْئَانِــهْ (١٧)
مَــرَّةً نَسْتَــرِيحُ شَــوْقًــا لِــذِكْــرا ... هُ ، وَحِينًـا نَجِــدُّ فِى نِسْيَــانِــهْ (١٨)
أَنَــا عَــزْمِى مِـنْ آلِ صَخْـرٍ ، وَرَأْسِى ... لَقِيَ الــوَيْـلَ مِنْ بَنِى شَيْبَــانِــهْ (١٩)
وَلِنَفْسِى مُنَى الشَّبَـــابِ ، وَإنْ أَذْ ... رَجَ وَجْهِى الشَّبابَ فِى أَغْصَانِـهْ (٢٠)

* * *

مَــا أُحَيْلَى الصِّبَا ، فَهَلْ لَمْحَةٌ مِنْــ ... ـهُ ، وَمِنْ زَهْـوِهِ وَمِـنْ رَيْعَانِـهْ ! ؟ (٢١)
بَــانَ بِــالأَمْسِ رَكْبُــهُ فَتَطَلَّعْـــ ... ـتُ ، أَعُدُّ الطُّيُوفَ مِنْ أَظْعَانِـهْ (٢٢)

---

(١٠) طاح : سقط وولى وراح .
(١١) شجا : طرب . الحاليات : المظهرات حلاوة وعجبا .
(١٢) عسجدى : ذهبى . خضبن : دهن أيديهن بالحناء .
(١٣) الأصيل : الوقت بعد العصر إلى المغرب .
(١٤) الرخيم: الرقيق .
(١٥) جال : طاف .
(١٦) خافق الجناح : مضطرب مرفرف .
(١٩) آل صخر وبنى شيبان : أسماء لقبائل عربية .
(٢١) ريعانه : قوته وفتوته .
(٢٢) الطيوف : الأخيلة . أظعانه : أسفارة ومشيه .

وَبَــدَا فِى طَلِيعَــةِ الــرَّكْبِ طَيْفٌ لَجَّ مِنْــهُ الفُــؤَادُ فِـى تَحْنَـانِــهْ (٢٣)
هَـاجَ ذِكْـرَى « دَارِ المَعَـارِفِ » وَالغُصْـ ـنُ رَطِيبٌ ، وَالعُمْـرُ فِـى عُنْفُـوَانِهْ (٢٤)
جَمَعَتْنَــا رَوْضًــا جَنًى وَظِــلالاً تَتَــدَانَـى القُطُـوفُ مِنْ أَفنَــانِـهْ (٢٥)
فَشَــدَوْنــا عَنَـادِلاً هَــزَّتْ الــدَّهْـ ـرَ ، وَكَـادَتْ تُلْهِيهِ عَـنْ حَدَثَـانِـهْ (٢٦)
وَصَحَـا الشَّـرْقُ نَـاشِطًـا يَجْبَـهُ الدُّنْـ ـيَا ، وَيَنْفِى النُّعَـاسَ عَـنْ أجْفَـانِـهْ (٢٧)
وَكَتَبْنَــا فِى رَوْعَــةٍ وَبَيَــانٍ يُقْسِمُ السِّحْـرُ : إنَّــهُ مِنْ بَيَـانِـهْ (٢٨)
مِـنْ إمَــامٍ وَشَــاعِــرٍ وَأَدِيـبٍ مُعْجِـزَاتُ الفُنُــونِ طَـوْعُ بَنَـانِـهْ (٢٩)
جَمَعَتْنــا « دارُ المَعَــارِفِ » أحْــرَا رًا ، فَكُنَّــا لِلْعِلْمِ مِنْ عُبْـدَانِــهْ (٣٠)
إنَّ عُنْــوانَهَــا جَهَــابِــذُ مِصْــرٍ وَجَـلالُ الكِتَـابِ فِى عُنْـوَانِـهْ ! (٣١)
مَصْنَـعٌ مِنْ ثَقَــافَــةٍ وَضِيــاءٍ كُلُّ قُطْــرٍ يَعْشُــو إلَى نِيـرَانِــهْ (٣٢)
يُنْضِجُ الخُبْــزَ لِلعُقُــولِ نَقِيًّــا لَمْ يُـرَوَّعْ بِـالبَخْـسِ فِى مِيـزَانِـهْ (٣٣)
كُلَّمَــا دَارَ دَوْرَةً نَهَضَ العَقْــ ـلُ ، وَأَلْقَى العَتِيـقَ مِنْ أكْفَـانِـهْ (٣٤)
طَبَعَــاتٌ فِيهــا مِنَ الحُسْنِ طَبْعٌ قِيمَـةُ المَـرْءِ فِى مَـدَى إحْسَانِـهْ ! (٣٥)
وَإذا رَاعَــكَ الجَمَـالُ لِفَــنٍّ عَبْقَـرِىٍّ فَـاسْألْـهُ عَنْ فَنَّـانِـهْ (٣٦)

---

(٢٣) لجّ : تردد .
(٢٥) جنى : ثمار . القطوف : العناقيد .
(٢٦) عنادلاً : طيور يقال لها الهزار صوتها حسن . حدثانه : أحداثه .
(٢٧) يجبه : يستقبل .
(٢٩) طوع بنانه : منقادة له .
(٣٠) عبدانه : خاضعين له .
(٣١) جهابذ : عظماء .
(٣٢) قطر : الناحية والجانب . يعشو : هنا بمعنى يقصد .
(٣٣) يروع : يفزع . البخس : النقص .

نَجْمَعُ الـدُّرَّ تَـوْءَمًـا وَفَـرِيـدًا ثُمَّ نَـأْتِى بِـهِ إِلَى دَهْقَـانِـهْ (٣٧)

قُلْ كَمَـا شِئْتَ فِى مَـدِيحِ « شَفِيقٍ » وَالكِـرَامِ الثِّقَـاتِ مِنْ أَعْـوَانِـهْ (٣٨)

بَـاعِثُ الفِكْـرِ مِثْلُـهُ نَـاشِـرُ الفِكْـ ـرِ . لَـهُ فَضْلُـهُ وَرِفْعَـةُ شَـانِـهْ (٣٩)

أَىُّ نَفْعٍ لِلمِسْكِ فِى حُقَّـةِ المِسْـ ـكِ ، وَلِلمَالِ فِى يَدَىْ خَزَّانِـهْ ؟ (٤٠)

يَنْشَطُ الفِكْـرُ بِـالـذُّيُـوعِ وَيَـزْكُـو وَزَكَـاءُ اليَنْبُـوعِ فِى جَرَيَـانِـهْ ! (٤١)

* * *

يَـا ابْنَ « مِتْـرِى » بَلَغْتَ مَـدْحِى ، وَهَـذَا مَنْزِلُ النَّجْـمِ ، أَوْ قَـرِيبٌ مَكَـانِـهْ (٤٢)

صُنْتُ شِعْرِى عَنْ أَن يَهُونَ وَبَعْضُ الشِّـ ـعْرِ يَسْعَى لِـذُلِّـهِ بِهَـوَانِـهْ (٤٣)

يَصْغُـرُ الفَنُّ حِينَمَـا تَصْغُـرُ النَّفْـ ـسُ ، وَيَنْحَـطُّ مِنْ رَفِيعِ قِنَـانِـهْ (٤٤)

إِنَّ شِعْـرِى أَجَـرُ النُّبُـوغِ فَمَـا بَـ ـضَّ لِغَيْـرِ المُجِيـدِ فِى مَيْدَانِـهْ (٤٥)

* * *

أَشَفِيقٌ ، سِـرْ بِـالشَّبَـابِ حَثِيثًـا أَمَلُ الشَّـرْقِ فِى يَـدَىْ شُبَّـانِـهْ ! (٤٦)

قَـدْ قَرَأْنَـا فِى « اقْـرَأْ » صَحَائِفَ أَبْـدَتْ صَفَحَـاتِ الـرَّبِيعِ فِـى إِبَّـانِـهِ (٤٧)

نَهَضَتْ بِـالشَّـرِيفِ مِنْ لُغَـةِ الضَّـا دِ ، وَجَـاءَتْ بِـالسِّحْـرِ مِنْ تِبْيَـانِـهْ (٤٨)

---

(٣٧) التوءم : اثنان فى بطن واحدة . فريدًا : واحدًا . دهقانه : تاجر الجواهر .

(٣٨) شفيق : هو شفيق نجيب مترى صاحب دار المعارف فى ذلك الحين . الثقات : أهل الثقة .

(٤٠) المسك : الطيب . حقة : المكان الذى يوضع فيه .

(٤١) الذيوع : الانتشار . زكاء : نماء . الينبوع : عين الماء .

(٤٤) قناته : مكانته العالية – أعلى الجبل .

(٤٥) بضّ : رق ولان – استجاب .

(٤٧) اقرأ : هو اسم سلسلة كتيبات تصدرها دار المعارف . إبانه : أوانه .

(٤٨) لغة الضاد : اللغة العربية .

فَهَنَـــاءً « دارَ المعَــــارِفِ » لا زِلْـــــ ـــتِ مَنَـارَ الحِجَـا وَمَجْلَى افْتِنَـانِـهْ (٤٩)
لَقِـيَ الشَّــــرْقُ فِـي ذَرَاكِ مَـــــلاذًا مُـــذْ بَعَثْتِ الحيَـاةَ فِي أَوْطَـانِـهْ (٥٠)

(٤٩) منار الحجا : منار العقل . مجلى : موضح .

(٥٠) ذراك : ظلك . ملاذا : ملجأ ومأوى .

باريس

يتألم الشاعر لذكرى سقوط باريس فى الحرب العالمية الثانية ، ويتحسّر لسرعة استسلامها . ثم يذكر إنقاذ الحلفاء والفرنسيين الأحرار لها من أيدى الألمان عام ١٩٤٤م فضمّن هذه القصيدة مشاعره وخوالج نفسه .

عُرْسٌ أُقِيمَ عَلَى الدَّمِ المَسْفُوكِ ... أأُرَدِّدُ الأَلْحَانَ أَمْ أَبْكِيكِ (١)

بَارِيسُ حَيَّرْتِ القَرِيضَ ، فَمَرَّةً ... يَشْدُو ، وَحِينًا وَالِهًا يَرْثِيكِ (٢)

نَهَكَتْكِ دَاهِيَةُ الخُطُوبِ فَلَمْ تَدَعْ ... لِلْفَوْزِ غَيْرَ حُشَاشَةِ المَنْهُوكِ (٣)

إنْ كَانَ مَا تَعْنِى الحَيَاةُ تَنَفُّسًا ... « فَالعَيْشُ خَيْرٌ فِى ظِلالِ النُّوكِ» (٤)

لَهْفِى عَلَيْكِ ! وَلَهَفَ شِعْرِى ! مَا الَّذِي ... لاقَيْتِ مِنْ جَبَرِيَّةٍ وَفُتُوكِ ؟ (٥)

مَا بَيْنَ ظُلْمٍ كَالمَنُونِ مُحَجَّبٍ ... عَاتٍ ، وَظُلْمٍ كَاسْمِهِ مَهْتُوكِ (٦)

أَلْقَيْتِ نَفْسَكِ لِلطُّغَاةِ غَنِيمَةً ... وَمَضَى القَضَاءُ فَعَزَّ مَنْ يُنْجِيكِ (٧)

جُرْحُ الهَزِيمَةِ لا تَجِفُّ دِمَاؤُهُ ... وَتَجِفُّ دَامِيَةُ القَنَا المَشْكُوكِ (٨)

نَادَيْتِ لاَ « بِيتَانُ » فِى تِسْعِينِهِ ... مُصْغٍ ، وَلاَ « لاَفَالُ » بَيْنَ ذَوِيكِ (٩)

---

(٢) القريض : الشعر . والهًا : مستجيرًا حزينًا جزعًا .

(٣) نهكتك : أتعبتك . داهية الخطوب : الأمور الشديدة . حشاشة : حشوة البطن - بقية الروح . المنهوك : المكدود - المتعب .

(٤) النوك : الحمقى .

(٥) جبرية : التجبّر والكبرياء . وفتوك : القتل غيلة .

(٦) كالمنون : كالموت . محجب : مستور . عات : متكبر مجاوز للحد . مهتوك : مقطوع - مفضوح .

(٨) دامية : الشجة تدمى ولا تسيل . القنا : الرماح . المشكوك : الداخل فى الجسم .

(٩) بيتان ولافال : قائدان فرنسيان لجيوش الحلفاء (إنجلترا وفرنسا وأمريكا) فى الحرب العالمية الثانية ضد دولتى المحور (ألمانيا وإيطاليا) .

وَلَقِيتِ مِنْ عَسْفِ العَـــدُوِّ وَكَيْـــدِهِ دُونَ الَّـــذى لاَقَيْتِ مِـنْ أَهْلِيكِ ! (١٠)
وَلَّى الْحُمَـــاةُ فَمَـا أجَـابُـوا دَعْـوَةً لَمَّــا دَعَـــاهُمْ لِلـــرَّدَى دَاعِيكِ (١١)
تَــرَكُــوكِ لِلْمَــوْتِ الـــزُّؤَامِ وَأَدْبَـرُوا يَــا لَيْتَهُمْ لِلْمَـوْتِ مَــا تَـرَكُــوكِ ! (١٢)
وَمَضَــوْا حَيَـارَى ذَاهِلِينَ ، فَمَـــا رَأَوْا كَفَّيْكِ ضَــارِعَــةً ، وَلا سَمِعُــوكِ (١٣)
قَــذَفـوا السِّــلاحَ فَصَبَّـــهُ أعْــدَاؤُهُمْ غُــلاًّ ، فَكَـادَ حَـدِيـدُهُ يُـرْدِيكِ (١٤)
وَنُعِيتِ لِلــــدُّنْيَـــا فَشَبَّتْ لَـــوْعَـــةٌ أَصْلَى القُلُـوبَ بِحَرِّهَـا نَــاعِيكِ (١٥)

* * *

وَيْلَ الشَّبَـــابِ مِنَ النُّعُــومَـةِ إِنَّهــا أعْـــرَاضُ سُمٍّ لِلشُّعُـــوبِ وَشِيكِ (١٦)
مَــا أتْعَسَ الــزَّمَنَ الجَـدِيـدَ بِفِتْيَـةٍ قَتَلُــوهُ فِى التَّصْفِيـفِ وَالتَّـدْلِيكِ ! (١٧)
قَلْبٌ كَقُـــرْطِ الغَـــانِيـاتِ مُفَــزَّعٌ وَ إِرَادَةٌ مِـنْ حَيْـــرَةٍ وَشُكُـــوكِ (١٨)
عَــاشُـــوا صَعَــالِيكَ الْحَيَـــاةِ وَلَيْتَهُمْ فَــازُوا بِصِـدْقِ عَزِيمَـةِ الصُّعْلُـوكِ ! (١٩)

---

(١٠) عسف : ظلم . دون : أقل .

(١١) الحماة : الذين يدافعون عن حماك . للردى : للموت .

(١٢) الزؤام : الكريه . أدبروا : فروا .

(١٣) ضارعة : متوسلة ، مبتهلة داعية .

(١٤) غلا : حقدًا وكراهية . يرديك : يغتالك ويهلكك .

(١٥) نعيت : جاء خبر موتك (هزيمتك) . شبت : توقـدت . أصلى : أحرق . بحرّها : بحرارتها . ناعيك : الذى جاء بخبر سقوطك وهزيمتك .

(١٦) وشيك : سريع الحدوث .

(١٧) قتلـوه : قضوا عليـه والمقصـود أضاعـوا وقتهم . التصفيـف : تنظيم الشعـر . التـدليك : دلك الجسم بالطيب .

(١٨) قط : ما تتحلى به النساء ويوضع فى شحمة الأذن . مفزع : خائف .

أبقَتْ لَيَــالِى الأُنْسِ مِنْ أخْــلاقِهِم فَـزَعَ النَّعَـامَـةِ وَازْدِهَـاءَ الـدِّيكِ (٢٠)

* * *

بَـارِيسُ هَـالَتْكِ الـدِّمَـاءُ غَـزِيـرَةً فَسَقَطْتِ بَيْنَ نِصَـالِ جَـزَّارِيكِ ! (٢١)
خِفْتِ القَــذَائِفَ أنْ تَهُـدَّ مَعَـالِمًـا فَتَهَــدَّمَ التَّـارِيخُ فِى أيْـدِيكِ ! (٢٢)
مَـا كَـانَ أحْـرَى لَـوْ دُكِكْتِ إلَى الثَّـرَى وَتَـرَكْتِ ذِكْـرًا لَيْسَ بِـالمَـدْكُـوكِ ! (٢٣)
مَـا بُـرْجُ « إيفِلَ » حِيـنَ يَسْلَمُ مَـانِعٌ هَمْسًـا يَطِنُّ غَــدًا بِأُذْنِ بَنِيكِ (٢٤)
لَـوْ طَـالَ صَبْـرُكِ فِـى المكَـارِهِ سَـاعَـةً لَـرَأيْتِ أنَّ المَـوْتَ قَـدْ يُنْجِيكِ (٢٥)
إنَّ الَّــذِى خَلَقَ الكَـرَامَـةَ صَـانَهـا بِـالسَّيْفِ يَمْحُـو رَأىَ كُـلِّ أفِيكِ (٢٦)
بَيْنَ المَهَــانَــةِ وَالمَعَــزَّةِ خَطْـوَةٌ فَإذا ضَلِلْـتِ فَقُلْ مَـنْ يَهْــدِيكِ (٢٧)
شَتَّــانَ بَيْنَ فَتَى يَمُـوتُ مُجَـالِـدًا وَفتًى يَمُوتُ بِجُـرْعَةِ « الفِينِيكِ » ! (٢٨)
شَتَّى أسَــالِيبُ الحَيَــاةِ ، وَلا أرَى لِلمَجْدِ غَيْـرَ طَرِيقِـهِ المَسْلُـوكِ (٢٩)
سِـرُّ البُطُـولَـةِ فِـى الشَّـدائِدِ جُـرْأةٌ سِيَّانِ : تَفْـرِى الخَطْبَ أمْ يَفْـرِيكِ (٣٠)

---

(٢٠) ازدهاء : افتخار .
(٢١) هالتك : أفزعتك . نصال : جمع نصل وهو حد السكين .
(٢٣) أحرى : أجدى . دككت : سويت بالأرض .
(٢٤) برج إيفل : هو برج عظيم وأحد معالم باريس . يطن : يسمع (والطنين صوت الذباب) .
(٢٦) أفيك : كاذب فاسد الرأى .
(٢٧) ضللت : بعدت عن الرشاد .
(٢٨) مجالدًا : مجاهدًا ومقاومًا . جرعة : كمية صغيرة . الفينيك : سائل مطهر مبيد . ويموت بجرعة الفينيك يقصد يموت منتحرًا .
(٢٩) شتى : كثيرة . أساليب : طرق . المسلوك : السائر فيه .
(٣٠) سيان : يستوى . تفرى : تقطع وتمحو . الخطب : الشدة .

قَدْ كُنْتِ فِى « السَّبْعِينَ » أَكْرَمَ مَوْقِفًا   وَالغَانِيَاتُ بِشَعْرِهَا تَفْدِيكِ (٣١)

* * *

بَارِيسُ ، قَدْ ضُرِبَ الثَّبَاتُ بِلُنْدُنٍ   مَثَلاً إِلَى أَمْثَالِهِ يَدْعُوكِ (٣٢)

عَبَسَتْ لَهُمْ « دَنْكِرْكُ » فَاقْتَحَمُوا الرَّدَى   وَمَشَوْا بِوَجْهٍ لِلْمَنُونِ ضَحُوكِ (٣٣)

واسْتَقْبَلُوا نُوَبَ الزَّمَانِ ضَرَاغِمًا   لَمَّا تَخَلَّفَ عَاهِلُ « البَلْجِيكِ » (٣٤)

جَعَلُوا الهَزَائِمَ سُلَّمًا ، فَتَسَلَّقُوا   لِلنَّصْرِ فَوْقَ جَمَاجِمٍ وَتَرِيكِ (٣٥)

أَصْلَتْهُمُ الهَيْجَاءُ نَارَ جَحِيمِهَا   فَتَخَلَّصُوا كَالْعَسْجَدِ المَسْبُوكِ (٣٦)

لَوْ أَنَّهُمْ وَهَنُوا لَزَالَتْ رِيحُهُمْ   وَقَضَوْا عَبِيدَ الذُّلِّ وَالتَّفْكِيكِ (٣٧)

وَلَمَا رَمَى « شُرْ بُرْجَ » مِنْهُمْ جَحْفَلٌ   فِى مَأْزِقٍ كَفَمِ اللُّيُوثِ ضَنِيكِ (٣٨)

وَلَمَا رَأَتْ « رُومَا » طَلائِعَ نَجْدَةٍ   تَشْرِى المَحَامِدَ بِالدَّمِ المَسْفُوكِ (٣٩)

وَلَمَا مَضَى « رُومِيلُ » يَلْعَقُ جُرْحَهُ   وَيَجُرُّ ذَيْلَ العَاثِرِ المَفْلُوكِ (٤٠)

---

(٣١) السبعين : حرب السبعين الشهيرة .

(٣٣) دانكرك : مدينة ساحلية بفرنسا تجاه انجلترا اشتهرت بحركة انسحاب جيوش الحلفاء (انجلترا وفرنسا) من فرنسا إلى انجلترا فى الحرب العالمية الثانية .

(٣٤) نوب : مصائب . ضراغمًا : أسودًا . عاهل البلجيك : ملك بلجيكا .

(٣٥) تريك : جمع تريكة وهى خوذة لوقاية الرأس فى الحرب .

(٣٦) أصلتهم : أصابتهم . الهيجاء : الحرب . العسجد : الذهب . المسبوك : المذاب .

(٣٧) وهنوا : ضعفوا . زالت ريحهم : هزموا . قضوا : حكم عليهم . التفكيك : التفرق .

(٣٨) شربرج : قائد فى الحرب العالمية الثانية . الليوث : الأسود . ضنيك : ضيق .

(٣٩) تشرى : تشترى . المحامد : الخصال الحميدة .

(٤٠) روميل: قائد ألمانى شهير هُزم فى معركة العلمين الحاسمة فى الحرب العالمية الثانية . يلعق: يلحس . العاثر : الساقط المهزوم . المفلوك : البائس المسكين .

وَلَمَا حَـرَتْ فِي البَحْـرِتَخْطِـرُ سُفْنُهُمْ مِنْ آخِرِ «الهَادِى» إلَى « البَلْطِيكِ » (٤١)

* * *

بَـارِيسُ – وَالذِّكْرَى جَحِيمٌ – فَانْظُرِى نَحْـوَ السَّمَـاءِ لَعَلَّهَـا تُنْسِيكِ ! (٤٢)

وَتَـذَكَّـرِى مَـاضِيكِ فَهْـوَ مَجَـادَةٌ قَـدْ كَـانَ أُسْتَاذَ الـوَرَى مَـاضِيكِ (٤٣)

يَـا أُمَّ « هُـوجُـو » كُلُّ شِعْـرٍ يَـرْتَجِى لَــوْ كَـانَ يَلْقَـى وَحْيَـهُ مِـنْ فِيكِ (٤٤)

أشْعَلْتِ مِصْبَـاحَ الفُنُـونِ فَأَشْـرَقَتْ بِضِيَـائِهِ الأَيَّـامُ بَعْـدَ حُلُـوكِ (٤٥)

فِيكِ الثَّقَـافَـةُ بِـالمَجَـانَـةِ تَلْتَقِى مَـاذَا أقُـولُ وَكُلُّ شَـىْءٍ فِيكِ ؟ (٤٦)

يَـا كَعْبَـةَ الـدُّنْيـا ، وَيـا نَـادِى الهَـوى الآنَ كَيْفَ الحَـالُ فِـى نَـادِيكِ ؟ (٤٧)

أتُـرَى البَـلابِلُ لا تَـزَالُ صَـوادِحًـا ام رَاعَهَـا الغِـرْبَـانُ فِى وَادِيكِ ؟ (٤٨)

وَالغَـانِيَـاتُ ؟ أفُـزِّعَتْ أسْـرَابُهَـا وَتَفَـرَّقَ السُّمَّـارُ عَـنْ شَـادِيكِ ؟ (٤٩)

طَلَعَتْ عَلَيْـكَ مَعَ الصَّبَـاحِ فَـوَارِسٌ وَمشَى الغَـرِيـمُ لِحَقِّـهِ المَتْـرُوكِ (٥٠)

---

(٤١) تخطر : تسير متبخترة . الهادى : المحيط الهادى . البلطيك : بحر البلطيك .

(٤٢) جحيم : نار عظيمة .

(٤٣) مجادة : مجد وشرف . الورى : الخلق .

(٤٤) هوجو : فيكتور هوجو شاعر فرنسى عظيم وصاحب قصة البؤساء الشهيرة . يرتجى : يأمل فيه . يلقى وحيه : يستقبل ويأخذ إلهامه . من فيك : من فمك .

(٤٥) أشعلت : أنرت . حلوك : ظلام .

(٤٦) المجانة : اللهو .

(٤٧) يا كعبة الدنيا : يا مقصد كل العالم .

(٤٨) صوادحًا : مغرّدات بصوت جميل . الغربان : طيور سوداء صوتها مزعج وشكلها مقبض .

(٤٩) أسرابها : جماعات . السمّار : المتحدثون ليلاً للتسلية .

(٥٠) الغريم : المقصود جيوش الحلفاء التى هاجمت أوروبا بعد هزيمتها فى دنكرك وحاربت الألمان وهزمتهم وخلصت فرنسا ودول أوروبا الغربية من الاحتلال .

طَاحُوا بِقَيْدِكِ فِى الهَواءِ ، وَكَمْ لَهُمْ ... مِنَنٌ عَلَى المَأْسُورِ وَالمَمْلُوكِ ؟ (٥١)
وَجُنُودُكِ الأحْرَارُ تَسْتَبِقُ الْخُطا ... لِتَرُدَّ صَفْعَتَها إلَى غَازِيكِ (٥٢)
فَتَفَرَّقَ الأعْدَاءُ عَنْكِ بَدَائِدًا ... وَالطَّعْنُ فَوْقَ قَفَاهُمُ المَصْكُوكِ (٥٣)
سُبْحَانَ مَنْ لاَ حُكْمَ إلاَّ حُكْمُهُ ... يُمْضِى إرَادَتَهُ بِغَيْرِ شَرِيكِ (٥٤)
عُودِى إلَى ظِلِّ السَّلامِ وَأشْرِقِى ... كَالشَّمْسِ تَعْلُو الأُفْقَ بَعْدَ دُلُوكِ (٥٥)
واسْتَقْبِلِى الدُّنْيَا جَدِيدًا وَاعْلَمِى ... أَنَّ الأسَى وَالحُزْنَ لا يُجْدِيكِ (٥٦)
قَدَرُ الإلهِ إذَا كَرِهْتِ لِقَاءَهُ ... فَلَعَلَّ فِى عُقْبَاهُ مَا يُرْضِيكِ (٥٧)

---

(٥١) منن : أيادى بيضاء .

(٥٢) جنودك الأحرار : يقصد جيشها الحر الذى كونه الجنرال ديجول لمحاربة الألمان . غازيك : محتلك وهم الألمان .

(٥٣) المصكوك : المضروب .

(٥٥) دلوك : زوال وغروب .

(٥٧) عقباه : آخرته .

صَحوةُ مصر

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية هبّت مصر حكومة وشعبًا ضد الاحتلال الإنجليزى ، فعلى المستوى الشعبى قامت المظاهرات من جميع طوائف الشعب ومن جميع الأحزاب تطالب بالجلاء وباستقلال البلاد استقلالاً غير منقوص ، وعلى المستوى الحكومى ذهب محمود فهمى النقراشى على رأس وفد مصرى فى مجلس الأمن فى أمريكا وقال قولته المشهورة : « أيها القراصنة (الإنجليز) أخرجوا من بلادنا » كما ألغى مصطفى النحاس عندما كان رئيسًا للوزراء بعد ذلك معاهدة ١٩٣٦م التى كانت معقودة بين مصر وبريطانيا لعدم استجابتها فى هذا الوقت لمطالب مصر المشروعة من الحرّية والاستقلال التام عن بريطانيا .

ولقد انفعل الشاعر بالرغم من شيخوخته بهذه الأحداث الوطنية فأنشأ هذه القصيدة التى نُشرت فى مجلة الراديو المصرى بالعدد ٦٥٩ فى نوفمبر ١٩٤٧م وأنشدتها إحدى كبار مطربات هذا العهد بالإذاعة المصرية .

لَــوَّحَ الصُّبْحُ بِأعْــلامِ الــرَّجَــاءْ　　وَمَضَتْ تَخْطُــرُ فِـى الأُفْقِ ذُكَــاءْ (١)

وَمَحَـــا النِّيلُ عَـنْ العَيْنِ الكَــرَى　　وَتَلظَّـى مُسْتَجِيبًـــا لِلنِّـــدَاءْ (٢)

وَصَحَـــا النَّـــائِمُ مِنْ رَقْــدَتِــهِ　　صَــارِمًــا أَسْأَمَــهُ طُـولُ الثَّــوَاءْ (٣)

أَرْهَفَتْــــهُ حَـــادِثـــاتٌ إِنْ مَضَتْ　　فَلَقَــدْ أَبْقَتْ بِحَــدَّيْـهِ المَضَــاءْ (٤)

وَبَـــدَا الحَقُّ عَلَـى صَفْحَتِـــــهِ　　قُــدُسِيًّــا لَمْ يُــدَنَّسْ بِــدِمَــاءْ (٥)

فَــانْظُــرْ اليَــوْمَ تَجِــدْهُ شُعْلَــةً　　تَمْــلأُ الأَرْضَ شَــرَارًا وَالسَّمَــاءْ (٦)

خُلِقَ النَّــاسُ سَــواءً مَــا لَهُـمْ　　عِنْدَ أَهْلِ الغَـرْبِ لَيْسُـوا بِسَوَاءْ (٧)

قَــدْ حَفَظْـتِ اللَّــوْحَ يَـا مِصْــرُ فَكَمْ　　أَلِفُ مَــرَّتْ بِــوَادِيكِ وَيَــاءْ (٨)

---

(١) الذكاء : الشمس .

(٢) الكرى : النوم . تلظّى : اشتدت حرارته .

(٣) الثواء : الاستكانة فى مكان يبيت فيه .

وَعَرَفْتِ الخَيْرَ فِى الشَّرِّ كَما   تكْمُنُ الصِّحَّةُ فِى مُرِّ الدَّوَاءْ (٩)
فَأَمَامَا لا تَنِى أوْ تَنْقَضِى   لَيْسَ لِلغَايَاتِ يا مِصْرُ انْتِهَاءْ (١٠)
لا تَقُولِى إنَّ قَوْمِى فَعَلُوا   كُلُّ عَصْرٍ بِجُهُودٍ وَبِنَاءْ (١١)
أمْرُكِ اليَوْمَ بِكَفَّيْكِ فَلاَ   تَقْنَعِى إلاَّ بِتَحْقِيقِ الجَلاءْ (١٢)
قَدْ لَقِيتِ الأُسْدَ فِى آجَامِها   وَتَلَقَّيْتِ دَهَاءً بِدَهَاءْ (١٣)
حَسْبُ أمْرِيكَا الَّذى قَدْ سَمِعَتْ   وَرَأتْ مِنْ حُجَجٍ بِيضٍ وِضَاءْ (١٤)
وَجِدالٍ هَادِئٍ مُتَّزِنٍ   وَنِضَالٍ وَصِيَالٍ وَإِبَاءْ (١٥)
كُلُّنا يَا مِصْرُ حِصْنٌ وَحِمَى   وَفِداءٌ لَكِ إنْ عَزَّ الفِدَاءْ (١٦)

---

(١٠) تنى : تبعدى وتتباطئى . تَنْقَضِى : تنتهى .

(١٣) آجامها : جاء فى مختار الصحاح الأجم موضع بالشام وهو هنا كناية عن الغابات كثيرة الأشجار تبيت فيها الأسود .

(١٤) إشارة إلى سفر محمود فهمى النقراشى رئيس وزراء مصر إلى مجلس الأمن فى أمريكا عارضًا قضية مصر ومطلبها بالاستقلال التام وجلاء الانجليز عن البلاد .

فهرس

تعوّد نقادنا عند الكلام على جيل الجارم والجيل الذى تقدمه أن يقرنوا كل شاعر حديث بشاعر مجيد ممن تقدموه ولاح للناقد أنه قدوة للناشئين من بعده ، ولكننا لا نحسب أننا نقيّم الجارم فى مقامه إذا قلنا إنه شبيه بالبارودى أو بصبرى أو بشوقى أو بحافظ أو بشعراء هذه الطبقة السابقين لجيله . فإن للجارم مدرسة خاصة من مدارس الشعر الحديث تقوم على قواعد غير تلك القواعد كلها عند إجمالها أو إفرادها وتخصيصها باسم كل شاعر معدود فى أولئك الشعراء .

تجلس إليه فتسمع ما شئت من نادرة أدبية أو ملحة اجتماعية أو شاهد من شواهد اللغة أو نكتة من نكت الفكاهة ، ولا تدرى كلما تهيأ للكلام : ماذا أنت سامع بعد هنيهة ... فقد تترقب النكتة فتسمع الفائدة ، وقد تسأل عن الشاهد فتسمع «القافية» التى لا تعذر كما يقول أبناء البلد كلما عرضت المناسبة « لقفشة » من القفشات لا تهمل فى سياقها ، ولكنك واثق فى النهاية أنك خرجت بفصل ممتع من طراز فصول العقد أو الكامل أو نفح الطيب ، وأنك لو اخترت الحديث واقترحته لما ظفرت بخير مما استوفيته عفو الخاطر بغير سؤال .

إن الجارم ركن من أركان مدرسة شعرية تستحق الآن أن تعرف بملامحها وأن تستقل بعنوانها ، فلا تلتبس بمدرسة أخرى تنسب إلى علم من أعلام الشعر المخضرمين بين القرن التاسع عشر والقرن العشرين .